تراث الشيخ الأوحد

شيخ المتألهين الأوحد

الشيخ أحمد الشيخ زين الدين الأحسائي

١١٦٦هـ - ١٢٤١هـ

أعلى الله مقامه

تقديم

توفيق ناصر البوعلي

تحقيق ومراجعة

مجموعة من الفضلاء

شرح العرشية

الجزء الثاني

مؤسسة الإحقاق

© جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الثانية
١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م

تراث الشيخ الأوحد ١٦

تقديم

توفيق ناصر البوعلي

- اسم الكتاب .... شرح العرشية - الجزء الثاني
- المؤلف .... الشيخ أحمد الأحسائي
- الناشر .... مؤسسة الإحقاقي للتحقيق والطباعة والنشر
- تحقيق ومراجعة .... مجموعة من الفضلاء
- الإشراف الطباعي .... الأميرة للطباعة والنشر

للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان
هاتف: ٠١/٩٤٦١٦١ - ٠٢/١١٥٤٢٥ - ٠٣/١١٥٤٢٥ - تلفاكس: ٠١/٢٧٦٩٨٨
http://www.Dar-Alamira.com
e-mail:info@dar-alamira.com

مؤسسة الإحقاقي
للتحقيق والطباعة
والنشر

تراث الشيخ الأوحد

شيخ المتألهين الأوحد

الشيخ أحمد الشيخ زين الدين الأحسائي

١١٦٦هـ - ١٢٤١هـ

أعلى الله مقامه

الأوحد
موقع الأوحد
Awhad.com

تقديم

توفيق ناصر البوعلي

تحقيق ومراجعة

مجموعة من الفضلاء

شرح العرشية

الجزء الثاني

مؤسسة الإحقاقي

بسم الله الرحمن الرحیم

اللهم صل علی محمد وآل محمد

القاعدة التاسعة في العاقل والمعقول

قال : (قاعدة عرشية : كلّ معقول الوجود فهو عاقل أيضاً ، بل كلّ صورة إدراكية سواء كانت معقولةً ، أو محسوسةً ، فهي متحدة الوجود مع مدركها وبرهانه الفائض من عند الله ، هو أن كلّ صورة إدراكية لها ضرب من التجرد عن المادة ، وإن كانت حسية مثلاً ، فوجودها في نفسه ، وكونها محسوسة شيء واحد ، لا تغاير فيه أصلاً ، ولا يمكن أن يفرض لتلك الصورة المخصوصة نحو من الوجود ، لم تكن هي بحسبه محسوسة) .

قول المصنف : قاعدة عرشية :
كلّ معقول الوجود فهو عاقل أيضاً

أقول : يريد في هذه القاعدة يقرر مسألة قد ملأ كتبه منها ، وهي اتحاد العاقل بالمعقول ، وتجري في اتحاد الحاس بالمحسوس ، والفاعل التام بالمفعول ، وهي مسألة عويصة على أذهانهم ، والشبهة دخلت عليهم من دعوى أن وجودها إدراكي ، ولهذه إذا سلّمت إنما يلزم منها اتحاد العقل بالمعقول على توجيه نذكره .

رأي الشيخ الأوحد في اتحاد العاقل والمعقول

والباب الذي دخلت عليهم منه الشبهة توهم أن العاقل يعقل غيره بنفس ذاته ، كما يسمع بذاته ، ويرى بذاته ، وقد بيّنا فيما تقدّم أن الإدراك معنى فعلي لأن السمع الذي هو الذات وكذا البصر والعلم المعبّر عنه بالعقل هو الذات ، فسمه باسمه الحق ، وهو الذات ، ثم انظر هل تقدر أن تنسب إليه إدراك مسموع ، أو مرئي ، أو معلوم ، لأنه تعالى إنما هو هو ، فلا مسموع ، ولا مبصر ، ولا مدرك ، فإذا وجد المسموع والمبصر والمدرك ، حصل الإشراقي بها ، وهو الوجود الإدراكي النسبي ، وهو ظهور المدرِك ـ بكسر الراء ـ بالمدرَك بفتح الراء .

والظهور أثر الظاهر فالاتحاد في الظهور إذ ليس للمدرَك ـ بفتح الراء ـ حقيقة غير الظهور ، إذ هو الظهور به ، لأن مادته ذلك الطارئ المتجدد الذي هو تأكيد الفعل ، وصورته ظل هيئة الفعل ، كما أن صورة الكتابة ظل هيئة حركة يد الكاتب ، وكما أن هيئة حركة يد الكاتب ، ليست هي يد الكاتب ، ولا ذات الكاتب ، وإنما يحدثها الكاتب عند إرادة الكتابة بنفسها ، كذلك الوجود الإدراكي ليس هو نفس الفعل ، ولا ذات الفاعل .

وكلام المصنف يلزم منه أن تكون هيئة الكتابة القائمة في القرطاس التي هي بمنزلة الصورة المعقولة ، هي نفس حركة يد

الكاتب ونفس يد الكاتب ، بل نفس الكاتب ، ومع هذا كلّه يدّعي أن برهان ما ذكره فائض عن الله سبحانه ، أخذه من الآيات الآفاقية والأنفسية ، فانظر ماذا ترى .

وقوله : (كلّ معقول الوجود فهو عاقل) أيضاً يدخل فيه كلّ معلوم ، ليصح للمصنف قوله : (بسيط الحقيقة كلّ الأشياء) ، لأنه إذا خصص المعقول بالمجرد عن المواد لم يبق عنده شيء ، إذ كلّ مخلوق فمن مادة خلقه خالقه تعالى ، وإنما معنًى أنه خلقها لا من شيء ، أي : لا من شيء معه قديم ، لا أن معناه أنه خلقه لا من مادة ، ولو سكتنا عن هذا لزمه أن بسيط الحقيقة بعض الأشياء ، لأن الماديات من الأشياء ، مع أنه أخرجها من الاتحاد .

ولو سكتنا عنه أيضاً لزمه أن الأشياء المجردة هي التي معه في صقعه في أزله ، فهو كلها لبساطتها ، ولا يلزم التركيب والتغيير بالمتباينات لأنها في أنفسها مجردة .

وأما الماديات فلكونها خارجة عن صقعه ، وواقعة في الإمكان ، لم يصح اتحادها به ، فلا تكون معلومة له ، لأن المعلوم الحادث بجميع أقسامه ، يجب أن يكون وجوده إدراكيّاً ، لأنه غاية الفعل ، فلا ينقص في تحققه بالفعل عن كون تحققه إدراكيّاً ، فإذا لم تكن بذاتها معلومةً له ، لم تكن مفعولةً له .

بيان أن العالمية عين الفاعلية والمعلومية عين المفعولية

قال الملّا محسن في رسالة العلم التي وضعها لابنه علم الهدى : (اعلم أن العالمية والمعلومية هما عين الفاعلية والمفعولية ؛ أو لازمتان لهما ، لأن العلم عبارة عن حصول المعلوم للعالم ، وليس الفاعلية إلّا حصول المفعول للفاعل ، أو تحصيل الفاعل للمفعول ، فإنك إذا تصوّرت صورة في نفسك فعين تصوّرك إياها عين حصولها لك ، وعين علمك بها ، وتصوّرك إياها ليس إلّا إنشاؤك لها في ذاتك ، وإبدالها إياها ، مع أنك لست مستقلاً لها في هذا الإنشاء والإبداء ، بل أنت محل لها ، وإنما يفيض عليك مما فوقك حين حصول شرائطها فيك ، واستعدادك لها ، فلو كان الإنشاء منك بالاستقلال ، لكان أولى بأن يكون علماً لك بها) انتهى .

فإذا كان عندهم أن العالمية عين الفاعلية ، والمعلومية عين المفعولية ، دارت المعلومية مدار المفعولية وجوداً وعدماً فيلزم إما معقولية الماديات ، أو عدم مفعوليتها ، واعتبار الوسائط في الماديات في المعلومية والمفعولية دون المجردات ، يلزم منه اختلاف نسبة الذات الحق تعالى إلى بعض الأشياء ، وهذه صفة الخلق على أن المصنف لا يفرق بين الوجودات ، فكيف جعل هنا بعضها معقولاً كالمجردات ، وبعضها غير معقول كالماديات ،

فيلزمه أن يكون بعض الوجودات مجردة ، وبعضها مادية ، فلا يصح قوله : بكون الوجود صادقاً على جميع أفراده بالاشتراك المعنوي ، فمرة قال : هكذا ومرة قال : إن الحق وجودات الأشياء مما شابها من النقائص والأعدام ليس لذاتها ، وإنما هي عوارض مراتب تنزلاته ، وذاته بريئة من هذه الأعدام والنقائص .

ومرة قال : إن ما كان منها معقول الوجود ، فهو متحد بالعاقل المعبود تعالى ، وما كان مادياً فلا .

ومرة قال : تفريعاً على هذه القواعد القاعدات أن بسيط الحقيقة كلّ الأشياء ، وإلّا لزم تركّبه من وجود وعدم .

ومرة قال : إلّا ما كان من النقائص والأعدام ؛ يعني أن بسيط الحقيقة لا يُسلب عنه شيء ، إلّا ما كان من نحو النقائص والأعدام ، وكل هذه المتناقضات والاضطرابات منشؤها القول بوحدة الوجود .

وأنا أقول للمصنف : لا يتعب نفسه ، فإنه إن صعد السماء ، أو نزل الأرض ، أو قتل نفسه ، أو غير ذلك لا يكون رباً ، ولا يكون قديماً ولا أصل له في الأزل أبداً ، ولا يقبل منه إلّا من كان يريد هذه المرتبة ، وهم معه مثل ما قيل في ذم أبي الحسين الجزار :

إِن تَاه جَزّارُكُم عَلَيكُم بِفطَنَة فِي الوَرَى[1] وَكَيسِ

---

(١) في بعض المصادر : (بفطنة نالها) ، وفي البعض الآخر : (بفطنة عنده) .

فَلَيسَ يَرجُوهُ غَيرَ كَلب وَلَيسَ يَخشَاهُ غَيرَ تَيسِ[١]

بيان العاقلية والمعقولية

وأيضاً قوله : (فهو عاقل أيضاً) ، يشير به إلى دليل الاتحاد من أنّا إذا لم نقل بالاتحاد لزم أمر محال ، فقال في بيان لزوم المحال في كتابه المشاعر : (لأنّا إذا نظرنا إلى الصورة العقلية ولاحظناها ، وقطعنا النظر عن الجوهر العاقل ، فهل هي في تلك الملاحظة معقولة ، وإلّا لم يكن نحو وجودها بعينها معقوليتها ، بل كانت معقولة بالقوة لا بالفعل ، والمقدر خلاف هذا ، وهو أن وجودها بعينه معقوليتها ، وإن كانت تلك الملاحظة إياها التي تكون مع قطع النظر إلى ما سواه معقولة ، فهي لا محالة في تلك الملاحظة عاقلة أيضاً ، إذ المعقولية لا يتصور حصولها بدون العاقلية ، كما هو شأن المتضائفين ، وحيث فرضنا وجودها مجردةً عمّا عداها ، فتكون معقولة لذاتها . ثم المفروض أولاً أن هنا ذاتاً تعقل الأشياء المعقولة له ، ولزم من البرهان أن معقولاتها متحدة مع من يعقلها وليس إلّا الذي فرضناه) انتهى .

ويريد أنّا إذا نظرنا إلى الصورة المعقولة ، لم نجد منها إلّا كونها معقولة لعاقلها ، لأنها هي حظها من التحقق ، فتكون هي بذلك عاقلة إذ كونها معقولة لا ينفك عن عاقل لها ، كما هو شأن

---

(١) تاريخ الإسلام : ٥٠ / ١١٨، وأعيان الشيعة : ١٠ / ٣٠١.

سائر المتضايفات ، وهذا في حال قطع النظر عن عاقلية عاقلها ، وإنما فهمنا العاقلية من المعقولية ، فلولا تحقق الاتحاد لما فهمنا العاقلية من المعقولية ، مع قطع النظر عن عاقلية عاقلها .

وأقول : إذا تأملت هذا الكلام ، وجدته مغالطة ، خفي التخلص منها على المصنف ، وعلى أهل الاتحاد .

وبيان التخلص منها هو أن فهمك العاقلية إنما هو لأجل مأخذ الاشتقاق ، بمعنى أن تحقق المعقولية مأخوذة فيه لحاظ العاقلية ، كالأبوة والبنوة ، فإن تحقّق كلّ منهما مأخوذ فيه لحاظ الآخر ولكن كما لا تتّحد الأبّوة بالبنوّة مع أخذ لحاظ أحدهما في تسمية الآخر ، بل الأبوة منسوبة للأب والبنوة منسوبة للابن ليس بينهما اتّحاد وإنّما اعتبر لحاظ الجهة الملائمة يعني أنّ جهة الأب إلى الابن دون غيرها من جهات الأب جعلت صفةً لجهة الابن إلى الأب في أخذها لجهة الابن وجعلت جهة الابن إلى الأب صفة لجهة الأب في أخذها لجهة الأب فالأبوة صفة الأب الموصوفة بجهة الابن ، والبنوة صفة الابن الموصوفة بجهة الأب ، كالضارب صفة لزيد باعتبار فعله الموصوف بالضرب ، وليس صفة لذات زيد ، فالأبوة مركبة من صفة هي جهة الابن ، وموصوف هي جهة الأب ، والبنوة مركبة من صفة هي جهة الأب ، وموصوف هو جهة الابن ، وليس بينهما اتحاد ، بل الأبوة غير البنوة كذلك المعقولية والعاقلية فإن المعقولية التي هي

صفة الصورة المعقولة ، لحظ في الاتصاف بها تعقل عاقلها ، وهو فعل العاقل ، والعاقلية التي هي صفة فعلية للعاقل كذلك ، فالصورة هي نفسها هيئة المحدث والمتصور لها ، إما بأن انتزعها من صاحبها ، أو اخترعها لصاحبها ، وعلى كلّ حال هي صفة غير العاقل لها ، أما في التسمية فأخذ فيها هيئة تعقل عاقلها كما قلنا في المتضايفين ، بل هذان متضايفان .

وأما في الذات فلأن الصورة لم يكن لها تحقق في التقدير ، إلّا هيئة تعقل عاقلها ، لأنها عبارة عن ظهوره بها ، أي : عبارة عن تعقله لها ، فحيث قام الدليل القطعي على أنها ممكنة ، وكل ممكن زوج تركيبي ، وجب أن تكون الصورة المعقولة مركبة من مادة هي هيئة صاحبها ، سواء كانت منتزعة من موجود ، أم مخترعة لما يوجد ، ومن صورة هي هيئة محلها الذي هو الخيال ، أو النفس ، أو ما يشابه ذلك ، لأن الصورة المعقولة لا بدّ لها من محل تقوم فيه كالصورة في المرآة ، فإن محلها زجاجة المرآة بما هي عليه من بياض وصفاء وكبر واستقامة وأضدادها .

فالمصنف فيما هو فيه لا بدّ له أن يجعل للصورة التي فرض أن عاقلها هو الحق سبحانه محلاً إما ذاته ، أو علمه إن فرضه غير ذاته ، أو شيئاً خارج ذاته .

والحاصل لا بدّ للصورة المعقولة من محل تقوم به وهيئته ، كما قلنا في زجاجة المرآة هي صورتها ، فلا بدّ للصورة

المعقولة إن كانت ممكنة من مادة وصورة فمادتها نفس ظهوره بها ، وهو تعقله لها وصورتها محلها منه ، وكل هذه المراتب لم تكن نفس العاقل إذ غاية ما يسامح فيه أن يقال : هي ظهوره بها ، وليس ظهوره بها ذاته ، لأنه كان قبل أن يتعقلها ، فلمّا تعقلها اتحدت به ، كيف يكون وقبل ذلك تكون حاله مغايرة لحال الاتحاد .

وأيضاً إذا تعددت الصور المعقولات ، وهي لاشك أنها المتعددة من الحوادث متغايرة ، وجب أن تكون كلّ صورة معقولة بما هي به هي من التعدد والتمايز ، واعتبار التعدد والتغاير ينافي الاتحاد ، واعتبار الاتحاد ينافي ما هي عليه إذ لا يتعقل المختلف بغير الاختلاف وإلّا كان المتعقل غيره ، ألا ترى أن نور الشمس الواقع على الزجاجات المختلفة الألوان ، لا يكون ما في الزجاجات ، وما انعكس عن كلّ منها متحداً بنور الشمس الواقع عليها ، لا في لونه ، ولا وحدته ، ولا في أوضاع ما فيها ، ولا المنعكس عنها ، وإن كان نور الشمس واحداً ، وبإشراق واحد ، بل وجب التعدد والاختلاف لاختلاف القوابل والأوضاع . على أن نور الشمس الذي هو بمنزلة تعقل العاقل للصورة ، وإن جوّزنا كونه في ظاهر النظر متحداً بالواقع على الزجاجات ، أو بالمنعكس عنه ، لا يكون متحداً بالشمس ، وكيف يتحد ما في السماء الرابعة بما في الأرض ، وإن عوَّل إلى

مفاهيم الألفاظ الاشتقاقية فليس في معرفتها معرفة الحق ، ولا صفاته ، لأنه عزّ وجلّ هو وصفاته ليس من الألفاظ ، ولا مفاهيمها ، وإنما نتكلم في الموجود في الخارج المتحقق في نفسه ، قبل أن نتكلم ، وقبل أن نفهم ، ألا ترى المصنف كيف استدل على كون الصورة المعقولة عاقلة ، إنك إذا لحظتها مع قطع النظر عن عاقلها أنها تكون عاقلة ، إذ لا يتصور معقول بدون تصور عاقل له ، فلأجل أن ملاحظتها من حيث هي معقولة تستلزم حضور عاقل لها في ذهن ملاحظها تكون عاقلة لحضور عاقل لها ، ولأجل فهم كونها عاقلة يكون وجود عاقلها وجودها ، وإلّا لما فهم من نفس وجودها العاقلية ، فانظر كيف هذا الاستدلال الذي يزعم أنه فائض من الله تعالى ، ولا أدري هل يريد أنه فائض من الذات البحت ، أم من فعله .

وهذا البرهان الذي ذكره هو قوله : إن كلّ صورة إدراكية لها ضرب من التجرد عن المادة ، وإن كانت حسية مثلاً ، فوجودها في نفسه ، وكونها محسوسة شيء واحد لا تغاير فيه أصلاً .

أقول : أما كون وجودها من حيث هي مدركة ، وكونها معقولة ، وكذلك المحسوسة من حيث الإحساس شيئاً واحداً ، فظاهر من حيث إن وجودها ظهور المدرِك لها بها .

وأما أن ظهور الشيء بشيء هو نفس ذلك الظاهر ، فشيء لا يوجد في الأذهان ، ولا في نفس الأمر ، ولا في الخارج ، بل

الموجود فيها خلاف ذلك والله الحق سبحانه لا يفيض عنه إلّا الحق ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾(١) .

بيان الصور المعقولة والمحسوسة

وقوله : (ولا يمكن أن يفرض لتلك الصورة المخصوصة نحو من الوجود لم تكن هي بحسبه محسوسة فيه) ، أنه لا يقول به إلّا فيما فيه نحو من التجرد .

وأما الماديات فإنه يقول : إن لها نحواً من الوجود ، لم تكن هي به محسوسة ، ونحن نمنع التفاوت في خلق الرحمن ، فإن الماديات إن كان لها نحو من الوجود غير ما هي به معلومة ، كان للمجردات وإلّا فلا ، لأن الصانع واحد والصنع واحد والمصنوع واحد وهذا الكلام محكم قطعي ، كلّ من له معرفة بدليل الحكمة ، يقطع به ، ولا يخفى إلّا على أهل الظواهر ، وقد دلّ على هذا أدلة العقل ، وأدلة النقل ، بأن الأشياء إنما تختلف في نسبها إلى أنفسها ، فتقرب منه تعالى بنسبة قوابلها ، وتبعد بنسبة قوابلها ، وكل ذلك نسبها إلى ذواتها .

وأما هو تعالى فليس عنده قريب ، ولا بعيد ، لا في علمه بها ، ولا في إيجادها ، ولا في قيّوميّته لها ، ولا غير ذلك على

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٤ .

أنه ذكر في قاعدة حدوث العالم : (أن الوجود كما جاز أن يكون كيفاً ، أو غيره من الأعراض ، فجاز أن يكون جوهراً صورياً مادياً ، متجدد الذات والهوية) انتهى .

ونقول : كما جاز أن يكون الوجود جوهراً صورياً مادياً متجدد الذات والهوية ، جاز أن يكون للصورة المعقولة والمحسوسة نحو من الوجود ، مادي لم تكن به مدركة ، لأن التعقل عنده لا يجريه في الماديات ، وإنما يجريه في المجردات والمعقولة ، والمحسوسة لا بد لها من نحو وجود مادي ، إما في محلها ، أو في شيء من أركان ما تتقوم به ، إذ لا يمكن أن تعقل الصورة لا في محلّ ، ولا لمتصور ، ولا على نوع التأليف ، لأن الممكن المصنوع لا يكون إلّا هكذا ، خصوصاً الصور التي لا تتقوم بدون الحدود والهندسة ، وإلى هذا النحو قلت : إنّا نمنع التفاوت في خلق الرحمن ، ﴿ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾(١) .

قال : (لأن وجودها وجود إدراكي ، لا كوجود السماء والأرض وغيرهما في الخارج ، فإن وجودها ليس وجوداً إدراكياً ، ولا ينالها الحس ، ولا العقل إلّا بالعرض وتبعية صورة إدراكية مطابقة لها ، فإذا كان الأمر كذلك ، فنقول تلك الصورة المحسوسة التي

---

(١) سورة الملك ، الآية : ٣.

وجودها نفس محسوسيتها ، لا يمكن أن يكون وجودها مبايناً لوجود الجوهر الحاس بها ، حتى يكون لها وجود ، وللجوهر الحاس وجود آخر قد لحقتهما إضافة الحاسية والمحسوسية ، كما للأب والابن اللذين هما ذاتان ، ووجوب كلّ منهما غير عارض الإضافة ، وقد يعقلان لا من جهة الأبوة والبنوة ، لأن ذلك ممتنع مثله فيما نحن فيه ، لأن هذه الصورة الحسية ليست مما يتصور أن يكون لها وجود ، لا تكون هي بحسبه محسوسة ، فتكون ذاتها بذاتها غير محسوسة ، كالإنسان الذي ليس في وجود ذاته بذاته أباً ، ولكن صار بالعرض حاله إضافية ، تعرّض لوجود ذاته ، بل ذات الصورة الحسية بذاتها محسوسة) .

قول المصنف : لأن وجودها وجود إدراكي لا كوجود السماء

أقول : قوله : (لأن وجودها إدراكي) ، هو ما ذكرناه من أن وجود الصورة المعقولة ليس شيئاً غير ما هي به مدركة ، ومعناه : أن نفس وجودها ظهور عاقلها بها ، وظهور عاقلها بها هو نفس تعقله لها ، وهذا ظاهر .

وقوله : (لا كوجود السماء والأرض وغيرهما) ، يعني به أن وجود الماديات بمادياتها ، ويرد على هذا أنه يلزمه أن تكون وجودات الأشياء قديمة غير مخلوقة ، وإنما صنعه تعالى لها

كصنع البنّاء للجدار ، فإن الحجارة والطين لم تكن من صنعه ، وإنما أحدث الهيئة .

هل وجودات الأشياء وماهياتها ليست محدثة ؟

والمصنف هو وأتباعه قائلون بذلك ، كما ذكره في سائر كتبه ، من أن وجودات الأشياء وماهياتها ليس محدثة ، وإنما الحادث إفاضة الوجود عليها ، وقد تقدم ما نقلنا عن صهره الملا محسن من الكلمات المكنونة ، ومنه قوله : (وسرُّ سرِّ القدر أن هذه الأعيان الناشئة ليست أموراً خارجية عن الحق ، بل هي نسب وشؤون ذاتية ، فلا يمكن أن تتغيّر عن حقائقها ، فإنها حقائق ذاتيات ، وذاتيات الحق سبحانه لا تقبل الجعل والتغيير والتبديل والمزيد والنقصان ، فبهذا علم أن الحق لا يعيّن من نفسه شيئاً لشيء أصلاً ، صفة كان ، أو فعلاً ، أو حالاً ، أو غير ذلك ، لأن أمره واحد كما أنه واحد وأمره الواحد عبارة عن تأثيره الذاتي الوحداني بإفاضة الوجود الواحد المنبسط على الممكنات القابلة له ، الظاهرة به ، المظهرة إياه متعدداً ومتنوعاً مختلف الأحوال والصفات ، بحسب ما اقتضته حقائقها غير المجعولة المعينة في عالم الأزل)[1] انتهى .

---

(١) الكلمات المكنونة من علوم أهل الحكمة والمعرفة للفيض الكاشاني : ١٥١ كلمة فيها إشارة إلى معنى القضاء والقدر وسرّ القدر وسرّ سرّه .

وإنما أكرر كلماتهم لتتأمل أيها الناظر فيها ، في كلّ موضع ، وإن استلزم التطويل ، فإذا كانت حقائق كلّ شيء ذاتياته تعالى ، وهي غير مجعولة لا تقبل التغيير والتبديل ، وهو تعالى لم يعيّن من نفسه شيئاً لشيء أصلاً ، بل هي متعينة في نفسها بنفسها ووجوداتها من وجوده ، وهي غير مجعولة ، بل هي باقية على تقدّسها في ذواتها عن رذائل النقائص والأعدام والطبائع ، فما الذي صنع سبحانه ، وأي شيء أحدث إلّا إفاضة الوجود ، وإرساله على تلك الأعيان الثابتة ، فإذا كان حاله تعالى عندهم هكذا ، فالسماوات والأرضون وغيرهما لم يحدث منها شيئاً ، إلّا كما يحدث البنّاء ، فلا تكون وجوداتها إدراكية فلا تتحد بوجود مدركها ، وينبغي أن تكون الصور المعقولة أيضاً كذلك لأنها أيضاً بموجب كلامهم ليست وجوداتها إدراكية فلا تتحد وجودها بوجود مدركها ، ألا تسمع كلام الملا محسن : (إن الحق لا يعيّن من نفسه شيئاً لشيء أصلاً صفةً كان ، أو فعلاً ، أو حالاً ، أو غير ذلك) ، لأنهم إذا حكموا بكون ماهيات الأشياء وحقائقها كلها ذاتيات له غير مجعولة ، ولا فرق بين الذوات والصفات ، والأفعال والأحوال ، ووجوداتها من وجوده ، وهي غير مجعولة ، فالصور المعقولة من الأشياء ، لأنها إما ذوات ، أو صفات ، أو أفعال ، أو أحوال فإن قالوا : بأن وجوداتها إدراكية ، كان قولهم : إنه لا يعين من نفسه شيئاً لشيء أصلاً

باطلاً ؛ لأنه إن لم يعين لها شيئاً كان لها نحو ، بل أنحاء من الوجود ، لم تكن بها معقولة ، وإن كانت بها معقولة لأن تلك الأعيان والحقائق صور علمية له تعالى ، كما قاله في الوافي ، في باب السعادة والشقاوة .

فلا فرق بينها وبين السماء والأرض ، فعليه أن يجعل وجودها متحداً بوجود عاقلها العالم بها . على أن الذي قام عليه الدليل القطعي من العقل والنقل والإجماع من المسلمين ، أن كلّ ما سوى الله حادث ، وكل حادث فهو بجميع أجزائه وما ينسب إليه ، أو ما يتقوّم به فهو حادث ليس فيه شيء ، لم يكن بمخترع لا من شيء ، وكل شيء منها فهو قائم بأمره الفعلي قيام صدور ، وبأمره المفعولي قيام تحقق ، فأي شيء من السواء مستثنى ، وأي شيء ليس بسوى الله تعالى لا يكون معقولاً له ، فنحو السماء والأرض إذا جعله غير إدراكي لزمه أنه غير مصنوع له وكون غير مصنوع له تعالى يلتزمه ، ولا يبالي ، ولكن حكم الصور المعقولة حكمه في النفي والإثبات كما ذكرنا .

بيان أن علم الله بكلِّ شيء بنفس حضوره

وقوله : (ولا ينالها الحس ، ولا العقل إلّا بالعرض ، وتبعية صورة إدراكية مطابقة لها) ، قد ذكرنا سابقاً اتحاد العلم والمعلوم ، وأشرنا إلى دليله ، ولكن المصنف ذهب فيه إلى رأي

المشائين ، من حصر العلم في الصور ، وجعل الذوات معلومةً بالعرض ، وهو قوله : (وتبعية صورة إدراكية مطابقة لها) ، وقد بيّنا أن العلم إذا كان هو الصورة ، فالصورة العلمية معلومة للعالم بنفسها أم بصورة أخرى ، فإن كانت بصورة أخرى لزم التسلسل ، أو الدور ، وإن كانت معلومة بنفسها فما الفرق بينها وبين زيد الذي هو ذو الصورة ، مع أنهم يفسرون علمه تعالى بالأشياء أنه عبارة عن حضور الأشياء وانكشافها ، فلا أدري هل يرون أن الصور المعقولة حاضرة لديه ، دون الذوات الماديات ، أم الماديات غائبة عنه ، إلا بصورة إدراكية مطابقة لها ، فكيف قال تعالى : ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾(١) ، أم جميع الأشياء المجردة والمادية كلها لديه على حدّ واحد في الحضور ، فإن رأوا الوجه الأول جهّلوه تعالى بأكثر الأشياء ، لجعلهم المجردات حاضرة لديه دون غيرها وما علمه بالأشياء إلّا حضورها لديه .

وإن رأوا الوجه الثاني جعلوه تعالى في علمه بالماديات محتاجاً إلى الصور الإدراكية المطابقة لها .

وإن رأوا الوجه الثالث ، وهو أن جميع الأشياء مجردها وماديها حاضرة لديه على حدّ واحد ، كلّ في مكان حدوده ، وزمان

(١) سورة سبأ ، الآية : ٣.

وجوده ، وجب عليهم التسوية بينها ، كما ذكره سبحانه في قوله : ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾(١) ، وقوله : ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾(٢) ، لأن الجميع حاضر لديه .

وعندنا إنما نعلم بصورة زيد التي في خيالنا حالة حضوره ، لأنه حالة حضوره لم تكن عندنا صورة خيالية ، إلّا نفس حضوره ، فإنه علمنا به ، فإذا غاب عنا انتزع خيالنا صورة حضوره المنفصلة ، كما في المرآة ، ولا نعلم منه شيئاً في غيبته إلّا صورة الحضور ، فلو تحرّك في غيبته عنا ، أو سكن ، أو قام ، أو قعد ، أو مات لم نعلم به ، ولو كانت الصورة التي في خيالنا هي علمنا به مطلقاً ، لَما جهلنا في غيبته حالاً من أحواله ، فلما لم نعلم من أحواله شيئاً غير حالة حضوره عندنا ، دل بأن الصورة لا نعلم بها أحوال زيد ، أما في غيبته فلا نعلم بها إلّا هيئة حضوره ، لأنها هي هيئة حضوره ، وأما في حضوره فلا صورة عندنا غير حضوره المدرك بأبصارنا .

والواجب عزّ وجلّ لم يغب عنه شيء ولم تكن عنده صورة في ذاته ، ولا خيال له كما في خلقه ، وكل شيء يعلمه بنفس حضوره ، فالصور التي هي سائر كتبه كالكتب العقلية والروحية ،

---

(١) سورة يونس ، الآية : ٦١.

(٢) سورة الملك ، الآية : ١٤.

والنفسية والطبيعية ، والمادية والمثالية ، والجسمانية والجسمية ، معلومة بأنفسها ، وهي علمه تعالى بتلك الأعيان ، لأن تلك الأعيان لا تغيب عنه ، ولكن لمّا كانت تغيب عنا وقال الكافر : ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾(١) قال سبحانه في جوابهم : ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴾(٢) فخاطبهم بنمط ما يعرفون من أن الشيء إذا غاب عنهم من مكان وطور ، وكان في موضع آخر محفوظاً يكون معلوماً بحكم الحاضر ، وإلّا فإن الأشياء إذا تغيرت عن أماكنها وأوقاتها وأطوارها لم تتغير عنده تعالى عمّا هي عليه إذ لا تغيب عنه تعالى حالتها عمّا هي عليه ، قبل التغيّر ليكون إنما يعلمها بما في كتب أطوارها ، بل إذا تغيرت عندنا وعند أنفسها لم تتغيّر عنده ، إذ كلّ شيء عنده فيما أقامه فيه ، لأن كلّ ما دخل في ملكه وسلطانه لا يخرج عنه بل هو فيما أقامه عنده وإلّالفاته شيء ، أو حال .

بيان أن الصورة نفس فعل المدرك

وقوله : (فإذا كان الأمر كذلك فنقول : تلك الصورة المحسوسة التي وجودها نفس محسوسيتها ، لا يمكن أن يكون وجودها مبايناً لوجود الجوهر الحاس بها) ؛ فيه ما قلنا : من أنّا

(١) سورة ق ، الآية : ٣.
(٢) سورة ق ، الآية : ٤.

إنما نثبت أن إدراكه لها هو نفس وجودها بناءً على أن الإدراك لها هو ظهور الحاس بها ، وتجلّيه صفة فعلية ، وظهوره بها نفس تجلّيه لها ، وذلك على تسامح منا .

ولو سلكنا الحقيقة قلنا للمصنف ، هذه الصورة الإدراكية والمحسوسة هي نفس فعل المدرك والحاس الذي هو الحركة الإيجادية أم هي أثر الحركة .

فإن قلتَ : إنها هي الحركة نفسها ، كابرت عقلك إن كنت تفهم .

وإن قلتَ : هي أثر الحركة ، فمرحباً بالوفاق ثم أسألك الأثر عين المؤثر أم غيره ؟

فإن قلت : الأثر عين المؤثر ، كابرت مقتضى عقلك .

وإن قلت : الأثر غير المؤثر ، فهو حق ، ولكن الإدراك فعل المدرك ، وهو غير الفاعل ، والصورة أثر الفعل ، وهو غير المؤثر فمن أين طفرت الصورة حتىٰ اتحدت بالفاعل ، بل لا شك أن لها وجوداً ، وللحاس وجوداً آخر ، ولو كان وجوده وجودها لما فقدها ، ولكانت موجودة قديمة بقدمه .

والمصنف لما جعل الصورة المحسوسة علماً للحاس ، والعلم عين العالم ، قال بقدمها ، وإنه تعالى ما فقدها مع أنه لم يحصر هذا الحكم في القديم ، لقوله الجوهر الحاس فنقول :

أنت بعد أن مضى من عمرك خمسين سنة ، تخيلت صورة فلمّا تخيلتها كانت موجودة بوجودك لم تفقدها من أول كونك ، أم كانت كامنة في ذاتك ، ثم تولدت منك ، فكانت لك حالتان ؛ فأنت إذا اختلفت أحوالك فأنت مختلف الأحوال .

وأما إذا قستَ هذا في شأن الحق ، كان مختلف الأحوال تعالى عن اختلاف الأحوال ، وعن هذه الأقوال .

اتحاد أم تغاير الصور الحسية والمحسوسة ؟

وقوله : (قد لحقتهما إضافة الحاسية والمحسوسية ـ إلى قوله ـ : من جهة الأبوة والبنوة) ؛ يريد به أن ما يدّعيه لا يكون بينهما الإضافة المشار إليها مدركةً ، بل يكون فيهما الاتحاد الذاتي ، بمعنى أنه شيء واحد لا تعدد فيه ، إلّا بحسب المفهوم ، لأن الصورة هي العلم ، والعلم هو العالم على قاعدته ، وقد بيّنا بطلان ما ذكر بأن الصورة الإدراكية يراد منهما صورة موجود محدث ، أو صورة لما يوجد ، وهي بعينها هي العلم ، وهي المعلوم ، لأنها حقيقةً هي هيئة حضور صاحبها عند العالم ، وهو علم إشراقي ، يوجد بوجود المعلوم ، وينتفي بانتفائه ، فكيف تكون هيئة حضور زيد عندك التي هي الصورة نفسك ، ووجودها وجودك ؟ ونحن قلنا لك : إن هذه الصورة حقيقتها ظهور فاعلها ، ونعني بالظهور الأثري ، أي : الذي هو أثر فعل الفاعل ، وهذا

الأثر ظل الفعل المنفصل ، ونعني بالمنفصل أنه هو الهيئة المشرقة من المتجلّى على القابل ، وليس نريد بالمنفصل أنه مقطوع عنه .

ومثاله : الصورة الموجودة في المرآة ، فإنها هيئة الشخص المنفصلة المشرقة على المرآة ، لا الهيئة المتصلة التي هي القائمة بالشّخص العارضة فيه ، وإنما نعني بالمنفصلة التي في المرآة وهي قائمة بالشخص قيام صدور ، وهذه المنفصلة المشرقة على المرآة هي مادة الصورة التي في المرآة ، وصورتها هيئة المرآة من صفاء وبياض ، وكبر واستقامة ، أو أضدادها ، وقد ذكرنا هذا مراراً ونذكره كما يذكر الله سبحانه قصة موسى عليه السلام مثلاً في القرآن في مواضع متعددة .

واعلم أنّا قد نقول : ظهور الشيء ، ونريد به فعله ؛ أعني الحركة الإيجادية ، وقد نقول : ظهور الشيء و(يريد كذا) به أثر فعله ، وهو الذي أحدثه بفعله ، والصورة الإدراكية من الظهور الثاني ، فكما أن القيام الذي هو أثر زيد القائم ، لا يكون وجوده وجود زيد ، ولا يتحد به ، بل فعل زيد الذي حدث القيام به لا يكون وجوده وجود زيد ، كذلك الصورة الإدراكية ، التي هي أثر فعل المدرك ، لا يكون وجودها وجود فعله ، فضلاً عن أين يكون وجودها وجود الفاعل ، وأين وجودها من وجوده ؟ .

وقولنا سابقاً : إن الصورة هي ظهور الظاهر بها بعينه ، نريد

بالظهور الظهور الثاني ؛ الذي هو أثر فعله ، فراجع حتى لا يلتبس عليك المراد .

وقوله : (لأن ذلك ممتنع فيما نحن فيه) ، يريد أن كون الصورة المحسوسة هي ووجود الحاس لها متغايرين إنما يكون لو كانا شيئين متغايرين في ذاتيهما ، وإنما لحقتهما الإضافة كما في الأب والابن ، لكن الصورة ليس كذلك ، إذ ليس لها وجود تحس به غير ما هي به محسوسة ، فلذا قلنا : إن المغايرة ممتنعة .

وأقول : قد بيّنا في نقض كلامه ما سمعت من أن الصورة إنما يمكن فرض اتحادها بنفسها ، إذ لا يتحد شيء بغيره ، والحاس غيرها قطعاً ، وإنما تتحد بظهورها الثاني ، أعني الأثر الذي ظهر به الحاس ، لأنه في الحقيقة هو الصورة .

وأما المصور فهو غير الصورة ، لأن الشيء لا يُصوِّر نفسه ، ولا ما يكون نفسه ، وكذلك المتصور فلا تتوهم فرقاً ، إذ الصورة في العبارتين محدثة بهما ، والشيء لا يحدث نفسه ، وباقي كلامه كأوله لا يحتاج إلى كلام أكثر مما ذكرنا ، بل بعض ما ذكرنا كاف في بيان فساده ، وإنما أكرر للبيان .

قال : (فإذا كانت نفس وجودها محسوسة الذات ، سواء وجد في العالم جوهر حاس مباين لها أم لا ، حتى أنه لو قطع النظر عن غيرها ، أو فرض ليس في العالم جوهر حساس مباين ، كانت هي

في تلك الحالة ، وفي ذلك الفرض محسوسة الذات ، فتكون ذاتها محسوسة لذاتها ، فتكون ذاتها بذاتها حِسّاً وحاسة ومحسوسة ، لأن أحد المتضايفَين بما هو مضاف لا ينفك عن صاحبه في الوجود ، ولا في مرتبة من مراتب ذلك الوجود ، وعلى قياس حكم الصورة المتخيلة والمعقولة في كونهما عين المتخيل والعاقل) .

قول المصنف : فإذا كانت نفس وجودها محسوسة الذات عدم لزوم حضور الصورة الحسية عند ملاحظة المحسوسة

أقول : قوله : (فإذا كانت نفس وجودها محسوسة ، إلى آخره) ، تفريع على ما ذكر قبل ، والمعنى في الكل واحد ، فإن ملاحظة الصورة مع قطع النظر عن ملاحظة الحاس ، إنما يلزم منه حضور الحاس في الذهن ، لا أن الصورة حاسة كما توهمه ، كما إذا تصورت البصر حضر العمى ، وإذا تصورت الأب حضر الابن وبالعكس ، ولا يلزم من حضور اللازم في الذهن من ملاحظة ملزومه ، أو ذكره كونه إياه ، وما أشبه هذا الوهم بما نقل عن بعض الأشاعرة ، حيث قال : القرآن قديم ، وجلده قديم ، لأنه تعلق به ، وكيسه قديم لإحاطته به ، وخيطه قديم ؛ لأنه يربط الكيس عليه .

فقوله : (فتكون ذاتها محسوسة لذاتها) ؛ غلط ، بل إنما لزم من كون المحسوس له حاس ، وهو مقتض للمغايرة .

وأما إنه يلزم من كونها محسوسة كونها حاسةً ، فإنما يلزم عند من ليس له حاسة ولا شعور ، وتعليله عليل ؛ فإن أحد المتضايفَين بما هو مضاف لا ينفك عن صاحبه في التضايف والتلازم ، وفي الوجود الذي هو التحقق والثبوت ، لكن لا مع الاتحاد في الذات ، بل مع المغايرة في الذات .

وقوله : (ولا في مرتبة من مراتب الوجود) ، غير صحيح ، لأنه لو أريد بالمراتب أطوار الملزوم ، لم يلزم وجود اللازم في جميع ذلك ، إلّا إذا لازم الماهية ، بأن يكون جزؤها ، إذ قد يكون لازماً خارجاً عنها ، فيكون من المعقولات الثانية ، كالزوجية للأربعة ، وهي مع هذا التلازم الشديد لم تتحد مع الأربعة ، بل جزء الماهية كالحيوان والناطق اللذين منهما يكون إنسان واحد ، لا يكونان متحدّين ، لأن الاتحاد الذي يريده المصنف ، وإن صح في شيء من الخلق ، لم يصح في الخالق تعالى ، وما يدّعونه أصحاب وحدة الوجود ، لا يصح لهم ، ولا يوصلهم إلى شيء من العلم إلّا نفي التوحيد ، وإنكار الصانع ، لأنهم يقولون مثلاً : هو واحد باعتبار وكثير باعتبار ، ولذا يقولون : هو واحد في كثرة ، وهو الكل في وحدته ، فيا سبحان الله ، كيف طاوعتهم أنفسهم حتى جعلوه من مفاهيم متعددة ، وهو

واحد ، لأن هذه بوجود واحد ، وقد قبلوا هذا التوحيد ، وجعلوه غير مناف للبساطة الحقيقيّة ، مع أن المفاهيم إنما تتعدد وتختلف ، ليس لأن الاختلاف اعتباري فلا يضر ، بل إذا كانت مفاهيم متعددة ، ووجودها واحد .

بيان هذا أن مادتها واحدة ، كالباب والسرير والصندوق ، فإن وجودها الذي هو الخشب واحد ، ولكن صورها متعددة ، ولولا تعدد الصور واختلافها لما اختلفت ، كذلك ما ذهبوا إليه حرفاً بحرف .

قال : (وقول بعض المتقدمين من الحكماء باتحاد العاقل والمعقول ، لعلّه رامَ بذلك ما قررناه ، ومن قدح على مذهبه ، وطعن فيه من الاتحاد بين العاقل والمعقول ، وهم أكثر المتأخرين ، فلم يدرك غوره ، ولم ينل طوره ، ولم يصل إلى منشئه الذي أقيم البرهان على نفيه ، من الاتحاد بين أمرين ، هو أن يكون هناك أمران موجودان بالفعل متعددان ، ثم صار موجوداً واحداً وهذا مما لا شبهة في استحالته . وأما صيرورة ذات واحدة ، بحيث يستكمل وتقوى في ذاتها ، وتشتد في طورها ، إلى أن تصير بذاتها مصداقاً له من قبل ، وتنشأ منها أمور لم تنشأ منها سابقاً ، فذلك غير مستحيل لسعة دائرة وجودها) .

قول المصنف : وقول بعض المتقدمين من الحكماء باتحاد العاقل

بيان اتحاد العاقل والمعقول عند الحكماء

أقول : انتصاره لمن اقتدى به من الحكماء ، حيث وافق رأيه زعماً منه أنه من البرهان الفائض عن الله تعالى ، وقد أشرنا ونشير إلى أن كلّ برهان لله تعالى أظهره من كتم الإمكان لعِباده من الأنبياء والمرسلين ، والأولياء الصالحين ، والحكماء المتقدمين ، والعارفين من المؤمنين ، والعلماء الراسخين ، وسائر عباده أجمعين ، فقد أظهره على أكمل وجه ، وأتم بيان لا يمكن أزيد منه في الإحكام ، والإتقان في ما أراهم من آياته في الآفاق ، وفي الأنفس وبيّنا في عدة مواضع ونبيّن أن ما ذكره المصنف مخالف لما أراه الله عباده من آياته في الآفاق ، وفي أنفسهم ، إلا أنه جعل ما فاض من نفسه فائضاً عن الله ، وتعالى وتقدس عن نسبة ما صدر عن الظنون والتخمينات وما تهوى الأنفس ، إلّا أن انتصاره على نحو ما ذكر ويذكر هنا ، وفي سائر كتبه ، فكلّ إناء بالذي فيه ينضح .

واعلم أيها الناظر أني ما أفرطت في ردي عليه ، فإني والله ليس بيني وبينه شيء إلّا أني والله ما رأيت له اعتقاداً ، ولا دليلاً يوافق ما عليه أئمة الهدى عليهم السلام ، ولا يطابق دليل عقلي ، لأن عقلي يحكي عنهم عليهم السلام ، وكل ما أقول فقليل في

حق من لا يقول كلمة على ما ينبغي ، مع ما هو عليه من العلم ، ودقة النظر ، وحصر همّه في علم واحد ، وافتتان الناس بكتبه .

وأما قوله : (وأما صيرورة ذات واحدة بحيث تستكمل وتقوى في ذاتها ، إلى آخره) ، فإن صح في الجملة في الظاهر في الذات الحادثة ، كالشاة الضعيفة ترعى وتسمن ، وأجريناه له على ظاهره ، لم يصح في شأن الحق تبارك وتعالى ، لأنه لا تختلف أحوال ذاته لا في الذهن ، ولا في الخارج ، ولا في نفس الأمر .

وقوله : (لسعة دائرة وجودها) ، يعني به أنها بسعته تتناول أشياء تحيلها إليها ، وهذا في الذوات الناقصة التي تستكمل تدريجاً ، وأما في الذات الكاملة التي لا تحتمل الزيادة والنقصان فدون إثباته خرط القتاد .

قال : (وليس اتحاد النفس بالعقل الفعّال إلّا صيرورتها في ذاتها عقلاً فعّالاً للصور ، و(وحدة) العقل ليس يمكن تكثرها بالعدد ، بل له وحدة أخرى جمعية ، لا كوحدة عددية لشخص من أشخاص نوع واحد بالعموم ، فالعقل الفعال مع كونه فاعلاً لهذه النفوس المتعلقة بالأبدان ، فهو أيضاً غاية كمالية مترتبة عليها ، وصورة عقلية لها محيطة بها ، هذه النفوس كأنها دقائق منشعبة عنه إلى الأبدان ، ثم راجعة إليه عند استكمالها وتجردها ، وتحقيق هذه المباحث تستدعي كلاماً مبسوطاً لا تسعه هذه الرسالة) .

قول المصنف : وليس اتحاد النفس بالعقل الفعّال إلّا صيرورتها

بيان أن العقل الفعال هو العقل الكلي

أقول : ذكر هنا العقل وأنه يتحد بالنفوس المنشعبة عنه ، استشهاداً للصورة العلمية بالعالم ، والحسية بالحاس ، بأن العقل الفعال ، وهو العقل الكلي أعني عقل الكل وتسميته بالفعال غير ما يقصدون أصحاب العقول العشرة ، فإن العقل الفعال هو العقل العاشر عقل العناصر ، لأن مطمح نظرهم الأجسام وطبائعها ، وعقل الكل هو الأول من العشرة ، وهو عقل الفلك الأطلس .

وأما غيرهم فينكرون العشرة ، ويثبتون واحداً ، وهو عقل الكل ، وهو أول ما خلق الله من الوجود المقيد .

رأي الشيخ الأوحد في مسألة العقل الفعال

والحق في هذه المسألة مع هؤلاء ، بدليل أن الإنسان يوجد فيه جميع ما يوجد في العالم الكبير ، لأنه أنموذج منه ، وآية له ، وليس للإنسان إلا عقل واحد وهؤلاء يقولون : هذا الفعّال أمره الله سبحانه فقال له : (**أدبر فأدبر**) فنزل فكوّن بإذن الله ما شاء تكوينه ، ثم قال له : (**أقبل فأقبل**)[1] إلى مقامه من الكون فكان مما كوّن النفوس .

---

(١) الخصال للصدوق : ٤٢٧ باب أن الله تبارك وتعالى قوّى العقل بعشرة أشياء ح ٤، وعلل الشرائع : ١ / ١١٤ ح ١٠. =

أثر العقل الفعّال على النفس

قال المصنف في الاستدلال على مطلبه : إن العقل الفعال كوّن النفس ، فلمّا كملت بنظره كانت عقلاً فعّالاً للصور ، واستدلاله غير مسلّم .

أما أولاً : فلأن العقل الكلي الفعال هو المشار إله بالألف القائم كناية عن بساطته ، وعدم تعدده بالصور الجوهرية والمثالية وإنما هو معنًى ، ولا يكون فيه إلّا ما كان معنًى مجرّداً عن المادة العنصرية ، والمدة الزمانية ، والصورة الجوهرية والمثالية ، فلا

= قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (إن الله عزّ وجلّ خلق العقل من نور مخزون مكنون في سابق علمه التي لم يطلع عليه نبي مرسل ولا ملك مقرب فجعل العلم نفسه والفهم روحه والزهد رأسه والحياء عينيه والحكمة لسانه والرأفة همه والرحمة قلبه ثم حشاه وقواه بعشرة أشياء باليقين والإيمان والصدق والسكينة والإخلاص والرفق والعطية والقنوع والتسليم والشكر ثم قال عزّ وجلّ له : أدبر فأدبر ثم قال له : أقبل فأقبل ثم قال له : تكلم فقال : الحمد لله الذي ليس له ضد ولا ند ولا شبيه ولا كفو ولا عديل ولا مثل الذي كل شيء لعظمته خاضع ذليل ، فقال الرب تبارك وتعالى : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحسن منك ولا أطوع لي منك ولا أرفع منك ولا أشرف منك ولا أعز منك بك أؤاخذ وبك أعطي وبك أوحد وبك أعبد وبك أدعى وبك أرتجى وبك أبتغى وبك أخاف وبك أحذر وبك الثواب وبك العقاب فخر العقل عند ذلك ساجداً فكان في سجوده ألف عام فقال الرب تبارك وتعالى : ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع ، فرفع العقل رأسه فقال : إلهي أسألك أن تشفعني فيمن خلقتني فيه فقال الله جل جلاله لملائكته : أشهدكم أني قد شفعته فيمن خلقته فيه) .

تكون ذاته صورة ، ولا محلاً للصور ، فتنزّل عن رتبته المعنوية بفعله لا بذاته فأحدث بإذن الله النفس ، وهي الجوهر المجرد عن المادة العنصرية ، والمدة الزمانية ، وعن الصورة المثالية بذاته ، وهي الألف المبسوط لأنها الكتاب المسطور ، ولا يكون فيها إلّا ما كان صورة مجردة مثلها ، وبه تكون متخيلة للصور ، فالعقل هو الطور ، والألف القائم ، فليس فيه كثرة صورية ، وإنما كثرته معنوية لا تعدد فيها بالتمايز المقداري الهندسي .

والنفس هي الكتاب المسطور ، في رقّ منشور ، وهي الألف المبسوط ، كناية عن الكثرة والتعدد ، ففيها كثرة صورية وتمايز هندسي ، لأنها كتاب مجموع من الصور المختلفة حساً ، كالكتاب المجموع من الخطوط والحروف ، والكلمات المختلفة حساً ، ولا يكون المتكثر في ذاته بسيطاً وبالعكس .

وأما ثانياً : فلأن النفس إنما هي تتصور الصور المقدارية الهندسية ، فإذا كملت في فعلها فإنما يصدر عنها ذلك ، أو ما يرتبط به ، ولهذا تسمعهم يقولون : العقل مفارق لا تعلق له بالأجسام والجسمانيات ، لا في ذاته ، ولا في فعله .

وأما النفس فهي في ذاتها مفارقة كالعقل لا في فعلها ، بل فعلها مقترن بالأجسام والجسمانيات ، فيكون إحداثها للصور بإمداد العقل ، وإذنه لا تكون عقلاً ، كما أن العقل بكونه محدثاً بإذن الله تعالى ، لا يكون هو الله تعالى ، وإنما تشبهه في مطلق

الفعل ، لا أنها تكون مفارقةً في أفعالها ، كما أن العقل مفارق في أفعاله وأين هذا من ذاك ؟ .

وكما قال أيضاً : (وحدة العقل ليس يمكن تكثرها بالعدد) ؛ يعني الصوري ، بل له وحدة أخرى بسيطة جمعية ، يعني لا تعدد فيها إلّا بالمعنى لا كوحدة عددية يكون لها تعدد صوري ، مثل ما لشخص من أشخاص نوع واحد ، كزيد وعمرو ، فإن لهما تعدداً صورياً ، وتمايزاً بالهيئات الحسية ، وإن جمعهما الإنسان والعقل إذا اعتبر السكنى من معنى البيت ، والزينة من معنى الخاتم ، لم يكن فيه بين السكنى وبين الزينة تمايز حسي صوري ، بل تمايز معنوي .

وأما النفس إذا اعتبرت صورة البيت والخاتم ، كان فيها بينهما تمايز حسي صوري ، لأن صورة البيت تنتقش فيها بهيئته بما فيه من الصور والحجر والمنازل ، وصورة الخاتم تنتقش فيها بهيئته من كونه ذا حلقة واسعة ، أو ضيقة ، وذا فصّ ياقوت ، أو عقيق كبير ، أو صغير فتمايزهما صوري ، والعقل لا يكون نفساً صورية ، وإلّا لما كان معنوياً مفارقاً ، والنفس لا تكون عقلاً معنوياً وإلّا لما كانت صورية مقارنة في أفعالها .

وقوله : (فالعقل الفعّال مع كونه فاعلاً لهذه النفوس المتعلقة بالأبدان . . . إلخ) ، يريد أنّ كونه فاعلاً لها غاية كمالية له ،

تترتب على فعلها . وهذا كمال اكتسابي استكمالي إذا صلح للحادث لا يصلح للقديم .

وقوله : (وصورة عقلية) ، فيه تناقض ، فإن الصورة لا تكون عقلية ، إذ ليس في العقل إلّا معان ، لأنها من نوعه ، والصورة نفسية ، فلا تكون العقلية التي هي مجردة عن الصورة مطلقاً صورة ، ولاحظ ما ذكرنا قبل هذا من المعنى من العقل والنفس ، وأدلة أمثال هذه الأمور يطول ذكرها ، خصوصاً عند من ليس له أنس بطريقتنا .

إحاطة الأشعة بالمنير والنار

وقوله : (محيطة بها هذه النفوس) ، يعني به كما تحيط الأشعة بالمنير ، وقد بيّنا نحن فيما سبق ، وفي سائر كتبنا ونبيّن أن الأشعة لا تحيط بنفس النار التي هي الفاعلة ، وهي مثال العقل الذي هو الفاعل ، وإنما تحيط بما تستمد منه ، وهي الشعلة ، وقد بيّنا أنها دخان أحالته بحرارة فعلها من الدهن ، فاستنار الدخان بمس النار وفعلها ، والأشعة خلقت منه ، وتستمد منه ، أي : من هذه الشعلة المرئية ، ولا تعلق لها بغير الشعلة التي هي الدخان المستنير بمس النار ، كما قال ابن سيناء[1] في

(١) هو الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا البلخي ، ثم البخاري ، ويلقب بالشيخ الرئيس (أبو علي) فيلسوف ، طبيب ، شاعر ، مشارك في أنواع من العلوم .
=

الإشارات ، قال : (اعلم أن استضاءة النار السائرة لما وراءها إنما تكون إذا عُلِفت شيئاً أرضيّاً ينفعل بالضوء عنها) انتهى .

فالعلف المشار إليه في السراج هو الدهن ، فإنه بمس النار يكون دخاناً ، ينفعل بالضوء عن النار وهذا مما لا إشكال فيه .

والأشعة التي هي مثل النفوس المتعلقة بالأبدان ، محيطة بالشعلة التي هي من الدهن ، استنار من فعل النار فالأشعة لم تحط بالفاعل الذي هو النار ، التي هي مثال العقل ، الذي هو فاعل النفوس ، فالنفوس محيطة بأثر فعل العقل ، لأنها إنما تستمد منه لا من النار ، فكما لا تكون الأشعة باستكمالها واستمدادها من الشعلة ، هي الشعلة فضلاً عن أن تكون هي النار الفاعلة ، كذلك لا تكون النفوس التي هي متقوّمة بأثر فعل العقل باستكمالها واستمدادها هي ذلك الأثر ، فضلاً عن أن تكون هي العقل ولكن أكثرهم لا يعقلون .

وكونها كأنها دقائق منشعبة عنه إلى الأبدان ، ثم هي راجعة

= ولد بخرميشن من قرى بخارى في صفر (٣٧٠ هـ ـ ٩٨٠ م) ، وتوفي بهمذان في رمضان سنة (٤٢٨ هـ ـ ١٠٣٧ م) .

وفي الكامل لابن الأثير : مات بأصبهان في شعبان .

من تصانيفه الكثيرة : القانون في الطب ، تقاسيم الحكمة ، لسان العرب في اللغة ، الموجز الكبير في المنطق ، وديوان شعر .

انظر معجم المؤلفين لعمر كحالة : ٤ / ١٩ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٩ / ١٥٧.

إليه عند استكمالها ، لا يكون ما أراد ، بل هي مثل الأشعة ، فإنها منشعبة عن أثر فعل النار ، كما بيّنا إلى الجدار مثلاً ، فإذا استكملت فإنما استكمالها بصفاء قابليتها ، كالجدار إذا صقل حتى كان كالزجاج ، فإن الأشعة تستنير كمال استنارتها ، ولا تخرج عن كونها أشعة ، وإن حكت صورة السراج كالمرآة ، لا تكون هي السراج المحرق والمنير ، وليس رجوعها إليه إلى حيث بُدِئَت ، وما بُدئت من ذاته ، وإنما بُدئت وصُنعت بفعله من أثر فعله ، فافهم إن كنت تفهم وإلّا فأمسك .

القاعدة العاشرة في أسماء الله تعالى

قال : (قاعدة في أسمائه تعالى : قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾[(١)] ، الآية ، وقال الله : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ ﴾[(٢)] الآية . اعلم أن عالم الأسماء الإلهية ، عالم عظيم الفسحة ، فيه جميع الحقائق متصلة ، وهي مفاتح الغيب ، ومناط علمه تعالى التفصيلي بجميع الموجودات ، لقوله : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ ﴾[(٣)] ، إذ ما من شيء إلّا ويوجد في

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٣١.

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٨٠.

(٣) سورة الأنعام ، الآية : ٥٩.

أسمائه تعالى الموجودة أعيانها ، بوجود ذاته على وجه أشرف وأعلى ، الواجبة بوجوب ذاته) .

قول المصنف : قاعدة في أسمائه تعالى قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ﴾

أقول : لما فرغ من ذكر الذات وذكر الصفات ، شرع في ذكر الأسماء .

أقسام أسماء الله تعالى

وهي على أقسام : فعلية وصورية ولفظية .

١ ـ الأسماء الفعلية

والفعلية عين أفعاله ، وآثارها معاني أفعاله ، وهي أسماء أفعاله ؛ أي : أسماء أسمائه .

٢ ـ الأسماء الصورية

والصورية هيئات أفعاله ، منها هيئات متصلة ، وهي هيئاته في تقلباته في تأثيراته وهيئات منفصلة ، وهي ما تتصور آثارها به ، كتصور الحروف بهيئات حركة يد الكاتب .

٣ ـ الأسماء اللفظية

واللفظية أسماء للنوعين ؛ من الأسماء الفعلية والصورية .

سعة عالم الأسماء

ثم ذكر أن عالم الأسماء عظيم الفسحة ، وذلك لأنه طبق الإمكان الراجح الوجود ، أعني العمق الأكبر ، وما نيط به من فعله الذي هو المشيئة والاختراع ، والإرادة والإبداع ، لصدق الأسماء على كلّ ما يصدق عليه اسم الشيء من الذوات والصفات ، والأفعال والأقوال ، والأحوال والأعمال الإمكانية والكونية ، مما تَسمى بها عزّ وجلّ صريحاً وضمناً في قوله تعالى : ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾(١) .

منها أسماء حيث يحب ، وأسماء حيث يكره ، فأسماؤه التي حيث يحب فروع أوليائه ، وأهل طاعته وصفاتهم ، وأسماؤه التي حيث يكره فروع أعدائه ، وأهل معصيته وصفاتهم ، ومرجع النوعين إلى أفعاله :

١ ـ الأسماء الحسنى العليا

أما الأولى : الحسنى العليا ، فبامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه على وفق محبته تكون ، ولا غاية لها ، ولا نهاية .

٢ ـ الأسماء السوأى السفلى

وأما الثانية : السوأى السفلى ، فبمخالفة أوامره ونواهيه على

---

(١) سورة النمل ، الآية : ٩١.

وفق كراهته تكون ، ولا غاية لها ، ولا نهاية ، والكل من الإمكان الراجح غير المتناهي ، فلذا كان أهل الجنة خالدين ، ونعيمهم دائماً ، وأصحاب النار خالدين ، وتألّمهم دائماً ، والكل قسمان ؛ أسماء وتجليات أسماء ، والمكونات منها تخرج من ﴿ بَابٌ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾(١) ، وذلك الباب معاني أفعاله ، وهو صفة الرحمن التي تجلى بها الرحمن على عرشه ، بأركان الوجود الأربعة ؛ وهي الخلق والرزق ، والممات ، والحياة ، التي ذكرها تعالى في كتابه فقال : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٢) .

فأعطى كلّ ذي حق حقه ، وساق إلى كلّ مخلوق رزقه .

بيان الأسماء التي علّمها الله لآدم

وقول المصنف : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾(٣) ، في هذا المقام غلط عند أهل البيت عليهم السلام ، لأن الأسماء التي علمها آدم هي أسماء الكائنات في رتبته حين التعليم ، وهي رتبة أسماء الأسماء ، سواء أريد منها المعنوية أم اللفظية ، إذ ليس كلّ

---

(١) سورة الحديد ، الآية : ١٣.

(٢) سورة الروم ، الآية : ٤٠.

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٣١.

اسم له سبحانه علمه آدم ، وليس كل مسمى عرضه على الملائكة ، وإنما علّمه ما كان منها رتبة كونه تحت جوهر الهباء ، مما في عالم المثال ، فما دونه مما كان في وقت التعليم لا مطلقاً ، فإنه لم يعرض ما في اللوح عليه ، ولا يعلم كلّ ما في اللوح الذي هو النفس الإلهية ، التي قال فيها عيسى عليه السلام : ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾(١) ، وعيسى أعلم من آدم ، وإذا كان عيسى من أولي العزم واعترف بعدم علمه بما في النفس الكلية ، فآدم لا يعلم ذلك بالطريق الأولى ، فكيف بما في الروح الكلية ، وكيف بما في العقل الكلي ، وهو غصن من نور الأنوار ، والحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله ، وإلى ما ذكرنا يشير قوله تعالى : (**لا يسعني أرضي ، ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن**)(٢) ؛ يعني أن الأرض والسماء ، وهو كناية عن الكل ، ما وسعت ما أُريد من أحكام تكاليف عبادي ، وأسرار أفعالي ، وما يتعلق بأركان الوجود الأربعة ؛ الخلق والرزق ، والممات والحياة ، وإنما يسعه قلب محمد ، وقلوب أهل بيته الطاهرين عليهم السلام ، وأين آدم مما ذكر المصنف من مراده ، نعم هو تعالى علّم آدم ما يحتمله .

(١) سورة المائدة ، الآية : ١١٦ .

(٢) عوالي اللآلي : ٤ / ٧ ح ٧، بحار الأنوار : ٥٥ / ٣٩.

وقولنا : أي كلّ ما يحتمله ، مما هو قد كان حين التعليم والكلية عرفية .

بيان معنى الأسماء الحسنى في الظاهر والباطن

وأما قوله : (﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾(١)) ، فلها إطلاقان ، إطلاق عام يصلح لاستشهاده ، لأنها حينئذ في مقابلة السوأى ، إلّا أن مراد المصنف كلّ اسم ، وربما أنه لا يعلم أنّ الأسماء السوأى له من حيث يكره ، لأن المراد بالأسماء الفعلية ، إذ الذات ليس لها اسم ، ولا يكون بإزائها شيء غيرها ، فإذا كان المراد بالأسماء الفعلية ، صح نسبتها إليه ، كما في الحديث القدسي المشير إلى ذلك قوله تعالى : (**إني أنا الله لا إله إلّا أنا خلقت الخير فطوبى لمن أجريته على يديه ، وأنا الله لا إله إلّا أنا خلقت الشرَّ فويل لمن أجريته على يديه**)(٢) .

خلق الله للخير والشرّ وتأويله

وأحاديث أنه تعالى خلق الإيمان والكفر وخلق الخير والشر ، لأن الشر والسوء وكل شيء فالله خالقه إلّا أن الشر غير محب له ، ولا راض به ، ولكنه خلقه بمقتضى فعل العاصي ما يوجبه ،

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٨٠ .
(٢) محاسن البرقي : ١ / ٢٨٣ ح ٤١٤ ، والكافي : ١ / ١٥٤ ح ١ .

فإنه لا يحب أن يضع الزاني نطفته في رحم الأجنبية وقد نهاه ، فإذا خالف الزاني أَمْرَه تعالى وزنى وألقى نطفته في رحم الأجنبية ، خلق الله منها ولد الزنى ، وإن كان لا يحبه .

وإذا غصب الظالم الذي نهاه الله عن الظلم حنطة زيد المؤمن عدواناً ، وزرعها في أرض عمرو ظلماً ، وسقاها بالماء المغصوب أيضاً ، فإن الله يزرعه وينبت ما زرع لأنه تعالى أعطى الحنطة ، والأرض والماء ذلك الموجب والمقتضي تفضّلاً ، ولا يكون تعالى مانعاً لما أعطى من فضله ، وليس معيناً للزاني ، ولا للظالم ، ولكنه تكرّم على خلقه فجعل لما خلق مقتضيات ، وجعل بعضها أسباباً فإذا فعل العاصي ما يقتضي شراً وأتى بسببه ، وإن كان منهيّاً عنه وجب في الحكمة أن يحدث ما أوجبه ذلك السبب وذلك المقتضي كما قال تعالى : ﴿ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾[1] ، يعني : أنه تعالى خلقها فردّ عليهم فقال : ﴿ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾[2] ، وما ظلمهم ولكنهم فعلوا ما يقتضي الطبع بعد ما نهاهم عنه ، وبيّن لهم كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾[3] فتمت كلمته وبلغت حجته : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ

(١) سورة النساء ، الآية : ١٥٥ .
(٢) سورة النساء ، الآية : ١٥٥ .
(٣) سورة التوبة ، الآية : ١١٥ .

﴿لِّلْعَبِيدِ﴾[١] ، فحيث خلق الشر بمقتضى فعل العاصي نسب اسمه إلى فعله من حيث يكره ، فجعل الأسماء الحسنى أسماء لأهل محبته وطاعته ونسبها إليه ، وسمى نفسه بها ترغيباً لأهل طاعته لمحبته وكونها بأمره ، وجعل الأسماء السوأى أسماء لأهل كراهته ومعصيته ونسبها إليهم لعدم محبتها ولكراهته لها ، ونسبها إلى فاعلي موجبها قال تعالى : ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾[٢] ، وقال : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾[٣] ، بأن يسموا غيره بأسمائه ظاهراً وباطناً .

أما ظاهراً فتسمية اللات والعُزى آلهة ، وأما بأن يتوالوا غير ما أمر الله بولايته وأسماء الولي هي الحسنى وأسماء أعدائه هي السوأى .

روى الطبرسي[٤] بإسناده إلى داود بن كثير قال : قلت لأبي

---

(١) سورة فصلت ، الآية : ٤٦ .
(٢) سورة النحل ، الآية : ٦٠ .
(٣) سورة الأعراف ، الآية : ١٨٠ .
(٤) هو أمين الدين أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي الطوسي السبزواري الرضوي أو المشهدي .
ولد في طبرس سنة أربع مئة وسبعين (٤٧٠ هـ) .
توفي شهيداً سنة (٥٦١ هـ) ودفن في المشهد الرضوي .

عبد الله عليه السلام : أنتم الصلاة في كتاب الله وأنتم الزكاة وأنتم الحج ؟

فقال : (يا داود : نحن الصلاة في كتاب الله عزّ وجلّ ، ونحن الزكاة ونحن الصيام ونحن الحج ، ونحن الشهر الحرام ، ونحن البلد الحرام ، ونحن كعبة الله ، ونحن قبلة الله ونحن وجه الله ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾(١) ، ونحن الآيات ، ونحن البيّنات . وعدوّنا في كتاب الله عزّ وجلّ الفحشاء والمنكر والبغي ، والخمر والميسر ، والأنصاب والأزلام ، والأصنام والأوثان ، والجبت والطاغوت ، والميتة والدم ، ولحم الخنزير . يا داود : إن الله خلقنا فأكرم خلقنا وفضّلنا وجعلنا أمناءه وحفظته وخزّانه على ما في السماوات وما في الأرض ، وجعل لنا أضداداً وأعداءً فسمانا في كتابه وكنّى عن أسمائنا بأحسن الأسماء ، وأحبها إليه تكنية عن العدو . وسمى أضدادنا وأعداءنا في كتابه ، وكنّى عن أسمائهم وضرب لهم الأمثال في كتابه في أبغض الأسماء إليه ، وإلى عباده المتقين)(٢) انتهى .

اشتقاق أسماء آل محمد صلى الله عليهم من أسماء الله تعالى

واعلم أن أسماءهم مشتقة من أسماء الله وهي أسماء الله

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١١٥ .

(٢) بحار الأنوار : ٢٤ / ٣٠٣ ح ١٤، وتأويل الآيات : ١ / ١٩ ح ٢.

الحسنى وأسماء أعدائهم الأسماء السوأى ، كما سمعت في هذا الحديث الشريف وأمثاله ، وهي من عكس الأسماء الحسنى أي : أسماء المعاني المعاكسة لمعاني الأسماء الحسنى ، كالنور عكسه الظلمة والخير عكسه الشر ، والشجاعة عكسها الجبن ، والعقل عكسه الجهل ، وهكذا ، فإذا لاحظت ما ذكرنا ظهر لك أن مراده من الأسماء كلّ ما في علم الله وما في علم الله سبحانه حقائق الحسنى ، وحقائق السوأى .

وما يريده المصنف من الأسماء هي الحسنى ، فاستشهاده على الكل بالبعض كما ترى لأنه لا يرى الأسماء السوأى مع أنها في العلم ، نعم إذا أراد المصنف من العام ما نسبه إلى نفسه تعالى منها وهي الأسماء الحسنى بالمعنى العام صح له كوّن المراد من قوله : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ ، جميع الأسماء الحسنى خاصة ، والإطلاق الثاني الخاص والمراد منها التسعة والتسعون الاسم ، وعليه لا يكون فيه له شاهد ، فالتفضيل في الإطلاق الأول صوري بلحاظ الأسماء السوأى ، وإن لم يكن فيها حسن ، فيكون التفضيل صورياً ، ومعناه الأسماء الحسنى .

وفي الثاني : التفضيل يكون حقيقيّاً ، وفي قوله : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾(١) .

---

(١) سورة الإسراء ، الآية : ١١٠.

الفرق بين اسم الله تعالى واسم الرحمن

والمراد أن هذين الاسمين جامعان للأسماء ، ولذا كانا أخص بالله لعمومها ، والله أخص من الرحمن ، ويكون أزيد من الرحمن بالرحمن ، فإنه يقع صفة لله ، ولا عكس لما قلنا : من أن الله هو المتصف بصفات القدس ، وصفات الإضافة وصفات الخلق والرحمن متصف بصفات الإضافة ، وصفات الخلق فيكون لله من الأسماء ثمانية وتسعون وللرحمان منها سبعة وتسعون .

وهذان الاسمان باعتبار صفتيهما على التفسير الباطن هما الاسمان الأعليان اللذان إذا وصفا اجتمعا فقيل : نبي ولي ، وإذا سمّيا افترقا فقيل : محمد علي ، فصفة الله في الباطن محمد والألف القائم بعد اللام الثانية عقله وصفة الرحمن في الباطن علي ، والألف المبسوط بعد الميم نفسه قال صلى الله عليه وآله : **(يا علي نفسك أوسع من الدنيا)** .

وقال الصادق عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا** ﴾[1] ، **(نحن الأسماء الحسنى التي أمر الله أن يدعى بها)**[2] .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٨٠ .

(٢) مدينة المعاجز : ١ / ٥٥٦، بحار الأنوار : ٢٧ / ٣٨، ومجمع النورين : ٢٢٠ .
=

فإن أريد بها التسعة والتسعون فظاهر ، وإن أريد بها ما في قوله : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ ، فالأسماء الحسنى فاطمة عليها السلام والحسن والحسين والتسعة من ذرية الحسين عليهم السلام ، فإنهم لمحمد نبيهم ، ولأمير المؤمنين سيدهم ووليهم ، صلى الله على محمد وعليهم أجمعين ، هذا بعض التلويح فيما يليق بالأسماء الحسنى في الباطن .

رأي الملّا صدرا في الأسماء

وأما ما يناسب كلام المصنف فهو يريد بها الأعيان الثابتة في علمه تعالى ، وهي شؤون ذاتيات للذات غير مجعولة لا مغايرة بينها وبين ذاته إلّا بالمفاهيم وباستعدادها غير المجعول للقبول ،

= وعن أبي جعفر عليه السلام قال : (نحن والله الأوصياء الخلفاء من بعد رسول الله ونحن المثاني التي أعطاها الله نبيّنا ، ونحن شجرة النبوة ومنبت الرحمة ومعدن الحكمة ومصابيح العلمِ وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ، وموضع سرّ الله ووديعة الله جلّ اسمه في عباده وحرم الله الأكبر وعهده المسؤول عنه ، فمن وفى بعهدنا فقد وفى بعهد الله ، ومن خَفَره فقد خَفَر ذِمّة الله وعهده ، عَرفَنا من عَرفنا وجَهِلنا من جهلنا ، نحن الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلّا بمعرفتنا ، ونحن والله الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه . . .) تفسير العياشي : ٢ / ٤٢ ح ١١٩ ، وبحار الأنوار : ٩١ / ٥ / ح ٧ ، ومستدرك الوسائل : ٥ / ٢٣٠ ح ٥٧٦٠ ، وروى ذيل الحديث الكليني في أصول الكافي : ١ / ١٤٤ ح ٥ عن الإمام الصادق عليه السلام .

لتنزل صورها منها وأشباحها التي هي حقائقه عند توجه أمر ﴿ كُن ﴾[١] إليها[٢] .

قال الملا محسن[٣] في الكلمات المكنونة : (ولمّا أمر تعلّقت إرادة الموجد بذلك واتصل في رأي العين أمره به ، ظهر الكون الكامن فيه بالقوة إلى الفعل ، فالمظهر لكونه الحق والكائن ذاته القابل للكون ، فلولا قبوله واستعداده للكون لما كان فما كوّنه إلّا عينه الثابتة في العلم لاستعداده الذاتي غير المجعول وقابليته للكون وصلاحيته لسماع قول كن وأهليته لقبول الامتثال ، فما أوجده إلّا هو ولكن بالحق وفيه) انتهى كلامه الذي أردت نقله[٤] .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١١٧ .

(٢) انظر كتاب المشاعر للشيرازي : ١٢١ ح ١٤١ .

(٣) هو المولى الجليل محمد بن مرتضى المدعو بمحسن الكاشاني . كان فاضلاً عالماً ماهراً حكيماً متكلماً محدثاً فقيهاً محققاً شاعراً أديباً ، حسن التصنيف ، له كتب منها : كتاب الوافي جمع الكتب الأربعة مع شرح أحاديثها المشكلة إلا أن فيه ميلاً إلى بعض طريقة الصوفية وكذا جملة من كتبه ، وكتاب سفينة النجاة في طريقة العمل ، وتفاسير ثلاثة كبير وصغير ومتوسط ، وكتاب عين اليقين ، وكتاب حق اليقين ، وكتاب علم اليقين ، وكتاب الأصول الأصيلة ، وكتاب المحجة البيضاء في إحياء الأحياء ، وكتاب مرآة الآخرة ، وكتاب تسهيل السبيل بالحجة في انتخاب كشف المحجة لابن طاوس ، انظر أمل الآمل رقم ٩٢٥ .

(٤) الكلمات المكنونة : ٨٥، كلمة فيها إشارة إلى معنى ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ [الأنعام : ٧٣] .

وهو يعني العالم كلّه ، وهو الشؤون الذاتية المشار إليها ، ولا أدري إذا كان الشيء كامناً بالقوة ، ثم ظهر بالفعل وقابلاً للكون ومستعداً للكون وصلوحه لسماع قول كوّن وأهليته لقبول الامتثال للأمر وما أشبه ذلك ، كيف يكون في القديم ويكون غير مجعول ، ولا يضر كونه في الذات وفي العلم الذي هو الذات ولا يقال له حادث ومجعول مع ما فيه من اختلاف الأحوال ما أدري ما يعنون بالحادث وبالذي يضرّ كونَهُ في ذاته تعالى هل يريدون به إذا كان جداراً خاصة مبنيّاً من الطين والحجارة الكثيفة .

أما لو كانت الحجارة لطيفة صافية ربما يقولون : لا يضر كونها في الذات ، بل هذا المراد فإن من تلك الشؤون الكائنة في العلم ، الذي هو الذات الحق تعالى ، الجدار مع ما هو عليه من التأليف والتركيب والكثافة إلّا أنه بنحو أشرف وأعلى ، وما أدري أي شيء يعنون من القدم ، ومن الوحدة البسيطة ، حتى في العقول من هذا المعجون المركب من أشياء متمايزة وإلّا لم تصلح أن تكون صوراً علمية لأنها غير مطابقة للمعلوم ، فإذا كان معجوناً من أجزاء لا تتناهى كثرة ، واختلافاً وتمايزاً ، كيف مثل هذا يكون بسيطاً وواحداً ؟ وحق معبودي الواحد الذي لا كثرة فيه كما أقول - تبعاً لساداتي وموالي أئمة الهدى عليهم السلام - إني أبسط وأقل اختلافاً من هذا الذي يشيرون إليه وإنه الكل في وحدة ويعبدونه ، فإني أبرأ إلى معبودي من معبودهم الذي يصفونه بمثل ما سمعتَ وأعظم .

رأي الشيخ الأوحد في الأسماء

والحاصل أن المصنف يعني بالأسماء حقائق كلّ شيء ، وهي التي في ذات الحق تعالى ربي موجودة بوجوده ، يعنون تبعية وجوده الذاتي بمعنى أنه وجود واحد الكل ، والاختلاف والكثرة في المفاهيم ، وتلك الشؤون عند هؤلاء هي مفاتح الغيب ولهذا قال : ﴿ وَعِندَهُۥ ﴾[١] ، ويعنون في علمه الذي هو ذاته ، وقد يعبّرون عنها بالصورة العلمية وشاهد ما قلنا عليهم قول المصنف في تعليله بأنها هي مفاتح الغيب .

قال : (إذ ما من شيء إلّا ويوجد في أسمائه تعالى الموجودة أعيانها بوجود ذاته على وجه أشرف وأعلى الواجبة بوجوب ذاته ، . . . إلخ) .

فإذا كان كلّ شيء يوجد في أسمائه وأسماؤه أعيانها موجودة بوجود ذاته ، أي : مع وجوب وجود ذاته ، فلا فرق بينها وبينه ، بل ظاهر كلامه أنها هي ماهية الحق تعالى ، أو بمنزلة ماهيته ، لأنه عند المصنف لا ماهية له ،وهو في قوله : (كما أن ماهية الممكن موجودة بوجود ذلك الممكن ، . . . إلخ) .

فإذا كان كذلك مع تعددها واختلافها ، وتأليفها وتركيبها فقد انتفى التوحيد وانتفت البساطة الحقيّة ، التي هي الوجوب ولكني

---

(١) قال تعالى : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ ﴾ [الأنعام : ٥٩] .

أيها الناظر أنصحك لله فلا تتبع : ﴿ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾(١) ، وأنا أرشدك على طريقة أئمتك أئمة الهدى عليهم السلام ، وهي أن الله كان واحداً في ذاته ، لا كثرة فيه بكلّ فرض واعتبار ، ثم خلق المشيئة بنفسها وهي فعله وأمكن به الإمكانات والممكنات على وجه كلّي ، وهذه هي المشيئة الإمكانية ومحلها ومتعلقها الإمكانات ووقتها السرمد ، وهذه الثلاثة هي الوجود الراجح ، ثم كوّن من الإمكانات بمشيئته ما شاء وهذه المشيئة هي الأولى إلّا أنها تسمى بالمشيئة الكونية كما أن الأولى تسمى بالمشيئة الإمكانية ، لأن التسمية باعتبار المتعلق وخلق من المشيئة والمشاء مثاله المسمّى عند أهل البيت عليهم السلام بالمقامات ، كما قال الحجة عليه السلام في دعاء شهر رجب : (**ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كلّ مكان ، يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك وبينها إلّا أنهم عبادك وخلقك . . .**)(٢) الدعاء .

ويسمونه الحكماء بالعنوان ، وهو الذي يعرف الله به ؛ لأنه عبارة عن وصف نفسه لمحمد وآله صلى الله عليه وآله ، وأظهر هيئة هياكله للأنبياء عليهم السلام ، وأظهر آثار تلك الهيئات على

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٧٧.

(٢) مصباح المتهجد للطوسي : ٨٠٣، المصباح للكفعمي : ٥٢٩، وبحار الأنوار للمجلسي : ٩١ / ٩٦ ح ١٢.

هيئتها للعارفين من المؤمنين ، وهكذا فيه عرف الله من عرفه لا غير ذلك ، وهو بمنزلة قائم من زيد ، وكما أن قائم يدل على فاعل القيام ، لأنه اسمه ، مع أنه مركب من فعله ، وأثر فعله كذلك المثال فإنه يدل على الصانع ، لأنه الاسم الأكبر الذي استقر في ظله ، فلا يخرج منه إلى غيره ، وهو من الفعل ؛ أعني المشيئة وأثره أعني الحقيقة المحمدية .

وكل ما صدر عن مشيئته من ذات ، أو صفة جوهر ، أو عرض عين ، أو معنى فعل ، أو أثر لفظ ، أو معنى مفهوم ، أو مصداق ذهني أو خارجي في الغيب ، أو الشهادة ، أو نفس الأمر فهو اسم من أسمائه ، إلّا أن أعلاها وأقربها الاسم الأكبر ، وهو المثال أي المثل الأعلى ، ثم إبدال الاسم الأكبر وهي منه بمنزلة القيام من القائم ، وهو التوحيد وهي المعاني أربعة عشر معنى ، ثم الأبواب وأعلاها العقل الكلّي وهكذا .

وكل أثر اسم لمؤثره إلى الألفاظ وهي عالم برأسه مطابق لعالم الأعيان ، وفيه جميع ما يوجد في عالم الأعيان وأفراده مختلفة في المراتب والشرف بحسب مسمياتها ، والأسماء رتبتها من المسميات رتبة الصفات من الموصوفات والظواهر من البواطن ، وكل الأسماء من جميع ما ذكرنا من المعنوية واللفظية أعلاها وأدناها حادثة مخلوقة بفعله تعالى ، وفعله مخلوق بنفسه

ووجوداتها كلها لم تكن شيئاً ثم اخترعها أي وجوداتها لا من شيء لا إله إلّا هو خالق كلّ شيء .

بيان أن كل شيء موجود في ذات الله تعالى

وقول المصنف : (على وجه أشرف وأعلى) ، يشير به إلى أن كلّ شيء ، فحقيقته في ذات الله تعالى ربي بنحو أشرف وأعلى من نفس الشيء وتلك الحقائق موجودة بوجوده أي مع وجوده وليست مجعولة ، والأشياء الظاهرة نزلت كنزول الأشعة من المنير وكنزول الأظلة من الشواخص ، وقد صرح به في هذا الكتاب ، وفي المشاعر ، وفي سائر كتبه .

والملا محسن ذكر كما نقلنا عنه فلاحظه : (أن المكوّن لهذه الظاهرة تلك الحقائق غير المجعولة ولكن بالله وفيه) ، وهذا في الكلمات المكنونة ، وقد تقدم ذكره .

وإنما قالوا هذا لأنهم يرون أنهم متحدون بذاته ، وصفاتهم عين صفاته الذاتية وذلك أنهم يعتقدون أن شيئاً واحداً إذا نسب إليهم كان عبداً حادثاً ، وإذا نسب إليه كان ربّاً قديماً .

قال الملّا محسن في الكلمات المكنونة : (كما أن وجودنا بعينه هو وجوده تعالى إلّا أنّه بالنسبة إلينا محدث وبالنسبة إليه تعالى قديم ، كذلك صفاتنا من الحياة والعلم والقدرة والإرادة وغيرها فإنها بعينها صفاته سبحانه إلّا أنها بالنسبة إلينا صفة ملحقة

بنا ، والحدوث اللازم لنا لازم لوصفنا ، وبالنسبة إليه سبحانه قديمة ، لأن صفاته لازمة لذاته القديمة ، وإذ شئت أن تتعقل ذلك فانظر إلى حياتك وتقيدها بك فإنك لا تجد إلّا روحاً تختص بك وذلك هو المحدث ومتى رفعتَ النظر من اختصاصها بك وذقتَ من حيث الشهود أن كلّ حي في حياته كما أنت فيها ، وشهدت سريان تلك الحياة في جميع الموجودات علمتَ أنها بعينها هي الحياة التي قامت بالحي الذي قام به العالم ، وهي الحياة الإلهية وكذلك سائر الصفات إلّا أن الخلائق متفاوتون فيها بحسب تفاوت قابلياتها كما نبهنا عليه غير مرة ، وهذا أحد معاني قول أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال : (**كلّ شيء خاضع له ، وكل شيء قائم به غنى كلّ فقير ، وعز كلّ ذليل وقوة كلّ ضعيف ، وفزع كلّ ملهوف**[١])[٢] . انتهى)[٣] .

فتأمل في كلام هذا الذي يصفونه بالفيض هل هو من كلام أهل ملة الإسلام .

---

(١) الملهوف : الحزين ذهب له مال أو فجع بحميم .

(٢) مصباح المتهجد للطوسي : ٤٥٥، دلائل الإمامة : ٧٣، نهج البلاغة : ١ / ٢٠٩، وبحار الأنوار : ٤ / ٣١٧ ح ٤٣ .

(٣) الكلمات المكنونة : ١٣٧، كلمة فيها إشارة إلى أن الكمالات كلّها تابعة للوجود .

معنى الإفاضة عند الفيض الكاشاني

وقال في الوافي : (فإن قلت : الاعيان[1] واستعداداتها فائضة من الحق سبحانه فهو جعلها كذلك .

قلتُ : الاعيان ليست مجعولة ، بل هي صور علمية للأسماء الإلهية ، لا تأخر لها عن الحق سبحانه إلّا بالذات لا بالزمان ، فهي أزلية أبدية غير متغيرة ، ولا متبدلة . والمراد بالإفاضة التأخر بحسب الذات لا غير) انتهى .

وقوله : (والمراد بالإفاضة) ، جواب عن سؤال مقدر هو إذا كانت فائضة عن الحق كانت حادثة ؟

أجاب : بأن المراد بالإفاضة التأخر بحسب الذات لا بالزمان ، فهي أزلية أبدية الخ ، ولا يفهم أن المتأخر عن الذات لا يكون هو الذات ، إذ الذات لا تتأخر عن نفسها ، ولا نعني بالحادث إلّا المسبوق بالغير مع أنه يلزمه أنها إذا تأخرت غايرت الذات ، فإذا كانت قديمة تعددت القدماء ، ثم يكون هو منها فكيف مات القديم ؟ .

وإن جعل حياته باقية لأنها هي حياة الله تعالى ، وإنما نسبت إليه بالتخصيص الذي هو الحدود الموهومة ، أو المتحققة في الإمكان فقد جعل القديم يتجزأ وتتحدّد أبعاضه ، أو كلّه لا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم .

---

(١) في المصدر : حقائق المخلوقات . الوافي : ١ / ٥٣١ .

قال : (كما أن ماهية الممكن موجودة بوجود ذلك الممكن مجعولة بجعل الوجود بالعرض ، إلّا أن الواجب بالذات لا ماهية له لأنه محض حقيقة الوجود بلا شوب مرتبة لم يكن هو بحسبها غير موجود ، وهذا من الحكمة المضنونة بها على غير أهلها المختص بدركها الكمّل من أهل الكشف والعرفان ، وهذه الأسماء ليست ألفاظاً وحروفاً مسموعة ، وهذه المسموعات اللفظية هي أسماء الأسماء) .

قول المصنف : كما أن ماهية الممكن موجودة بوجود ذلك الممكن

أقول : يريد أن هذه الأسماء التي هي حقائق الأشياء والصور العلمية في الذات المقدسة بمنزلة الماهية للممكن ، فكما أن ماهية الممكن موجودة بوجود ذلك الممكن ومجعولة بجعل الوجود بالعرض ، لأن الوجود موجود بنفسه والماهية موجودة بالوجود إلّا أن الوجود مجعول أولاً وبالذات والماهية غير مجعولة بنفسها ، وإنما انجعلت بجعل الوجود ، كذلك هذه الحقائق موجودة بوجود الواجب تعالى وحصلت بتبعية حصوله الواجب ، لكن الواجب لا ماهية له وإلّا لكانت هذه الحقائق ماهيته لكنه محض حقيقة الوجود .

بيان أن حقائق الأشياء موجودة بوجود الواجب تعالى

وكلامه كما تقدم محض حقيقة الغلط والبطلان كما ذكرنا :

أما أولاً : فلأن الماهية هي الإنيّة والهوية التي بها يكون الشيء شيئاً وما لا ماهية له لا شيئية له والله سبحانه شيء بحقيقة الشيئية فلا ماهية لشيء إلّا آيةً لماهيته تعالى ، إلّا أن ماهيته هي وجوده بلا مغايرة بحال من الأحوال .

وأما ثانياً : فلأن هذه الحقائق إذا كانت موجودة بوجوده ، ولأجل أنها موجودة بتبعية وجوده كانت متأخرة عنه بالذات ، وما هو موجود بالتبعية غير ما هو موجود بالذات ، فلا يكون هو ذاته ، بل هو مغاير له .

وأما ثالثاً : فلأن قوله : (بجعل الوجود) ، يدل بظاهره على أنه مصنوع ، وهو لا يرضى به إلّا أن يكون أراد بالجعل تعليقه بماهيته فيلزمه مع ما بيّنا من حدوثه أن يكون قوله : بأن الماهية مجعولة بجعل الوجود بالعرض ، أن تعليقها بالعرض فتكون خارجة عن الذات وليس خارج الذات إلّا الإمكان .

وأما رابعاً : فإنا قد بيّنا أن الوجود الممكن لا يكون إلّا حادثاً ، لأنه مشوب بغيره والمشوب لا يكون قديماً .

ولو قالوا : إنه تنزّل من الذات ، لكان التنزّل ولادة وهو تعالى لم يلد ولكان المتنزّل حادثاً لتغيّر أحواله وأمكنته وأوقاته .

ولو قالوا : هو لم يتنزّل ، وإنما تنزّلت أشباحه .

قلنا : بينه وبين أشباحه افتراق ، أو اجتماع فيكون حادثاً .

ولو قالوا : ليس بينهما افتراق ، ولا اجتماع .

قلنا : اقتران واثنينية فيكون حادثاً .

فإن قالوا : ليس ذلك .

قلنا : يقولون : هو أم يقولون هما ؟

فإن قلتم : هما ، لزم ما قلنا .

وإن قلتم : هو .

قلنا : فأنتم تلك الحقائق التي في الذات بلا مغايرة ، فأنتم بأعراضكم في الذات .

وإن اعترفتم بحدوث الممكن وجب حدوث ماهيته التي هي العين الثابتة في الذات عندكم ، فيكون محلاً للحوادث .

وأما خامساً : فإذا قلتم إن ماهية الممكن مجعولة بجعل الوجود ليس لها جعل بنفسها ، وهو باطل أيضاً ، لأنها مخالفة للوجود بل ضد له ، ولا يمكن أن يكون جعل خاص بشيء أن يكون جعلاً لغيره ، كما لا تكون الحركة الخاصة بإحداث الألف صالحة لإحداث الباء فلابد لها من جعل غير جعل الوجود ، إلّا أنه مترتب عليه بل ما كان الوجود والماهية إلّا بأربعة جعلات ، جعل الوجود وجعل الماهية من جعل الوجود جزء من سبعين جزءاً وجعل التلازم بينهما وجعل الالتزام بينهما .

فهذه أربعة جعلات مترتبة على ترتيب الذكر كلّ لاحق جزء من سبعين جزءاً من سابقه ، وبين كلّ واحد وبين الآخر سبعون سنة في الدهر ، وتظهر الأربعة في الزمان دفعة .

وأما المجردات فبين كلّ واحد من الأربعة سبعون سنة مقدرة من السرمد في الجعلات .

وتظهر المجردات في الدهر دفعة ، فمعنى قولهم : إن الوجود جعل أولاً وبالذات والماهية جعلت ثانياً ، وبالعرض أن الوجود هو المقصود بالإيجاد إذ به التذوّت لكنه لما لم يمكن تحققه وظهوره بنفسه لأنه بسيط وما سوى الله سبحانه لا يكون بسيطاً كما قال الرضا عليه السلام : (**إن الله لم يخلق فرداً قائماً بذاته دون غيره للذي أراد من الدلالة على نفسه وإثبات وجوده**)[1] ، ثم قرأ عليه السلام : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾[2] ، فلمّا تعذر خروج

---

(١) قال الإمام الرضا عليه السلام : (**واعلم أن الواحد الذي هو قائم بغير تقدير ولا تحديد خلق خلقاً مقدراً بتحديد وتقدير ، وكان الذي خلق خلقين اثنين التقدير والمقدور فليس في كلِّ واحد منهما لون ولا وزن ولا ذوق فجعل أحدهما يدرَك بالآخر وجعلهما مدرَكين بأنفسهما ، ولم يخلق شيئاً فرداً قائماً بنفسه دون غيره للذي أراد من الدلالة على نفسه وإثبات وجوده والله تعالى فرد واحد لا ثاني معه يقيمه ويعضده ولا يمسكه ، والخلق يمسك بعضه بعضاً بإذن الله ومشيّته**) التوحيد للصدوق : ٤٣٩ ، وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٥٦ ، وبحار الأنوار للمجلسي : ١٠ / ٣١٣ .

(٢) سورة الذاريات ، الآية : ٤٩ .

الوجود بدون الماهية ، خلق تعالى الماهية لأجل الوجود ، فلذا قيل : جعلت ثانياً وبالعرض ، لأنها غير مقصودة لذاتها لا أنها ليست مجعولة بل مجعولة بجعل خاص بها غير جعل الوجود .

ومثال ذلك أنت تشتري فرساً لك فإذا اشتريت الفرس احتجت لشراء جُلّ لها فتشتري الجل لأجل الفرس ، فالفرس شراؤها لك أولاً وبالذات والجلّ شراؤه ثانياً وبالعرض فهو مقصود بالشراء الثاني ، إلّا أنه مترتب على شراء الفرس فافهم .

فقوله : (إن الماهية انجعلت بجعل الوجود ، ولا جعل لها) ، وربما قالوا : إنها ما شمت رائحة الوجود فما أدري ما معنى كلامهم شيء من جملة الأشياء وضع له اسم لفظي بإزائه ، ولا شم رائحة الوجود فإن أرادوا تلك الأعيان الثابتة فقد قالوا : إنها ليست أموراً خارجة عن الحق تعالى ، بل هي ذاتيات الحق تعالى .

وإن أرادوا أنها إذا أخذت من حيث مغايرتها للوجود ، فهي غير موجودة فإن لم تكن مغايرة للوجود ، فمن أين جاءت سيئات المكلف ؟ وهذه المعاصي أشياء كيف تكون من لا شيء .

والحاصل أن كلامهم طويل عريض ، ولا أقدر على ذكره كلّه وإذا ذكرت منه شيئاً لو استقصيت في الرد خرج عن الحدِّ ، ولكن قد أذكر شيئاً من كلامهم وأذكر قليلاً على قليل منه ، تنبيهاً للغافلين .

فَمَن لَهُ فِي الكَونِ حَظٌّ لَم يَمُتِ حَتَى يَنَالُهُ

بيان أن كل ما هو خارج عن الذات المقدسة فهو ممكن حادث

وقوله : (لأنه محض حقيقة الوجود بلا شوب مرتبة لم يكن هو بحسبها غير موجود) ، نقول عليه : إذا قال : تلك الأعيان في علمه الذي هو ذاته ، وقال : الأعيان الثابتة في ذاته .

وقال صهره في الكلمات المكنونة : (في كلمة يجمع بها بين نسبة المجعولية إلى الماهية ونسبتها إلى الوجود ونفيها عنها ـ إلى أن قال ـ فالوجود وجود أزلاً وأبداً ، وموجود أزلاً وأبداً ، والماهية ماهية أزلاً وأبداً ، غير موجودة ، ولا معدومة أزلاً وأبداً وليست هي في منزلة بين الوجود والعدم ، بل إنما وجوداتها بالعرض وتبعية الوجود لا بالذات ، ولهذا لا يسمّى وجوداً بل ثبوتاً ، ومن هنا يعلم أن الماهيات عين الوجود والحقيقة ، وإن كانت غيره بالاعتبار)[1] انتهى .

فهذه الماهيات التي يشيرون إليها مرة أنها عين الوجود ، ومرة ليست موجودة ، ولا معدومة ، وأنها ثابتة لا موجودة هل هي في الذات ، لأنها في العلم الذي هو الذات ، فقد حصل في الذات شوب مرتبة لم يكن هو بحسبها موجوداً بمحض الوجود ، لأنها

---

(١) الكلمات المكنونة : ٤٠، كلمة بها يجمع بين نسبة المجعوليّة إلى الماهيّة ونسبتها إلى الوجود ونفيها عنهما .

ليست موجودة أم هي خارجة عن الذات ، وقد تقرر أن كلّ خارج عن الذات فهو ممكن ، لأن القديم هو الأزل والأزل ذاته تعالى وليس كما يتوهمه الجهال من أن الأزل ظرف مكاني ، أو زماني والواجب تعالى في بعضه ولهذا يفرضون تعدد القدماء وعندهم ليس المانع من التعدد إلّا دليل التمانع ، أو دليل الحكماء المستلزم للتركيب ، أو دليل الفرجة المروي عن الصادق عليه السلام[(١)] ، حيث خاطبهم بما يفهمون وإلّا فلا يشكون في أنه لولا مثل دليل التمانع المستلزم لفساد العالم ، ودليل الحكماء المستلزم للتركيب مما به الاشتراك ومما به الامتياز ، ودليل

(١) عن هشام بن الحكم في حديث الزنديق الذي أتى أبا عبد الله عليه السلام فكان من قول أبي عبد الله عليه السلام له : (**لا يخلو قولك إنهما اثنان من أن يكونا قديمين قويين أو يكونا ضعيفين أو يكون أحدهما قوياً والآخر ضعيفاً فإن كانا قويين فَلِم لا يدفع كل واحد منهما صاحبه ويتفرد بالتدبير وإن زعمت أن أحدهما قوي والآخر ضعيف ثبت أنه واحد كما نقول للعجز الظاهر في الثاني ، وإن قلت : إنهما اثنان لم يخل من أن يكونا متفقين من كلّ جهة أو مفترقين من كلّ جهة ، فلما رأينا الخلق منتظماً والفلك جارياً واختلاف الليل والنهار والشمس والقمر دل صحة الأمر والتدبير وائتلاف الأمر على أن المدبر واحد ثم يلزمك إن ادعيت اثنين فلا بدّ من فرجة بينهما حتى يكونا اثنين فصارت الفرجة ثالثاً بينهما قديماً معهما ، فيلزمك ثلاثة فإن ادعيت ثلاثة لزمك ما قلنا في الاثنين حتى يكون بينهم فرجتان فيكون خمساً ثم يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية في الكثرة**) . توحيد الصدوق : ٢٤٣ باب (٣٦) الرد على الثنوية والزنادقة ح ١ .

الفرجة المستلزم للكثرة ، لا إلى نهاية لجاز التعدد في القدماء ، لأن الأزل عندهم واسع لا يتناهى فيسع كلّ ما يفرض كونه فيه ، بلا نهاية ، ويتوهمونه مكاناً مرةً وتارة وقتاً فيقولون هو في الأزل ويريدون المكان .

وربما يستدل من قرأ خطبة النّبي صلى الله عليه وآله يوم الغدير في قوله عليه السلام : (**وأحاط بكلّ شيء علماً ، وهو في مكانه**)[١] .

وقد يقولون : الأزل سابق للدهر ، وهو الأزلي يعنون قبل كلّ شيء ، والأبدي يعنون بعد كلّ شيء ، وكل ذلك لعدم معرفتهم بالأزل وبما يقولون ، وما يلزمهم من قولهم ، فإنه إذا كان في الأزل ، والأزل ظرف له وقتي ، أو مكاني تعددت القدماء ، لأنه تعالى قديم والأزل قديم .

---

(١) روضة الواعظين للفتال النيشابوري : ٩١.
قال صلى الله عليه وآله : (**الحمد لله الذي علا بتوحيده ودنا في تفريده . وجلّ في سلطانه وعظم في أركانه وأحاط بكل شي وهو في مكانه ـ يعني أن الشيء في مكانه ـ وقهر جميع الخلق بقدرته وبرهانه حميد لم يزل محموداً لا يزال ومجيداً لا يزول ومبدياً معيداً . وكل أمر إليه يعود بارئ المسموكات وداحي المدحوات . قدوس سبوح رب الملائكة والروح . متفضل على جميع من يراه متطول على جميع من ذراه يلحظ كل نفس والعيون لا تراه كريم حليم ذو أناة قد وسع كل شي رحمته . ومن على جميع خلقه بنعمته لا يعجل بانتقامه . ولا يبادر بما استحقوا من عذابه قد فهم السراير . وعلم الضمائر ولم تخف عليه المكنونات**) .

وربما ذهب بعضهم ومنهم المصنف إلى أنه اعتباري ، لا تحقق له ، ولا ثبوت له في الخارج ، كما قالوا في القدم والوجوب والإمكان ، محتجين بأنه لو كان القدم والأزل موجودَين ، لكان القدم قديماً فيكون له قدم ، ويكون للأزل أزل وللإمكان إمكان ، وما أشبهها من الأمور الاعتبارية عندهم ويلزم الدور ، أو التسلسل .

وكل ذلك لعدم معرفتهم وعدم معرفتهم نشأ من أخذهم معارفهم وعلومهم من غير أهل الحق أئمة الهدى عليهم السلام ، لأن النّبي وأهل بيته صلى الله عليه وآله أقروا الناس على ظاهر المعرفة ، ووعدوا من آمن منهم وعمل من الصالحات بالجنة كما قال تعالى : ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾[1] ، فإصابة الحق لا يكون إلّا لرجلين ؛ رجل نظر وروى أخبارهم عليهم السلام وعرف الحق من عندهم بالتسليم لهم ، والرد إليهم ، فعرّفوه بالإلهام حقهم ومعاني أخبارهم ومراداتهم صلى الله عليهم .

ورجل لم يخرج في معرفته عمّا عليه ظاهر المؤمنين ، وترك كلّ ما خالفه من كلام الحكماء والصوفية ورموزاتهم ، وترك توغلاتهم ، مما يخالف ما عليه عامة المؤمنين والمسلمين .

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٩٤.

وأما من اتبع أولئك ودخل معهم في توغلاتهم وتلوناتهم ، فإنه لا يصيب الحق ولقد رويت بطرقي المتصلة إلى هارون بن موسى التلعكبري ، عن محمد بن يعقوب الكليني(١) ، عن محمد ابن يحيى عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد عن ابن أبي عمير عن زيد الزراد قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : **(اطلبوا العلم من معدن العلم وإياكم والولائج فهم الصادون(٢) عن الله)**(٣) .

ثم قال عليه السلام : **(ذهب العلم وبقيت غبرات العلم في أوعية سوء ، واحذروا باطنها فإن في باطنها الهلاك وعليكم بظاهرها فإن في ظاهرها النجاة)**(٤) انتهى .

والمراد بأوعية السوء ؛ الناس غير الشيعة ، كما قال عليه السلام : **(إن لنا أوعية نملؤها علماً وحكماً وليست لها بأهل ،**

---

(١) هو محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي ، ويعرف بالسلسلي البغدادي أبو جعفر الأعور .
كان زمن وكلاء الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه ، انتهت إليه رئاسة فقهاء الإمامية في أيام المقتدر .
توفي في بغداد في شهر شعبان سنة ٣٢٩ هـ وقيل ٣٢٨ هـ

(٢) في بعض المصادر : (الصدادون) .

(٣) الأصول الستة عشر : ٤ ، ومستدرك الوسائل : ١٧ / ٢٨٥ ح ٢١٣٥٨ ، وبحار الأنوار : ٢ / ٩٣ ح ٢٧ .

(٤) مستدرك الوسائل : ١٧ / ٢٨٥ ح ٢١٣٥٨ ، وبحار الأنوار : ٢ / ٩٣ ح ٢٧ .

وما نملؤها إلا لتنقل إلى شيعتنا ، فانظروا إلى ما في الأوعية فخذوها ، ثم صفّوها من الكدورة تأخذونها بيضاء نقية صافية ، وإياكم والأوعية فإنها وعاء سوء فتنكّبوها)(١) انتهى .

رويته بالطريق المذكور إلى زيد قال : حدثنا جابر بن يزيد الجعفي قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول الحديث . . .

لماذا التخلي عن مذهب آل محمد عليهم السلام ؟

والعجب العجيب كيف يتركون مذهب أئمتهم عليهم السلام ويتبعون مذهب مخالفيهم ويؤولون ما ورد عن أئمتهم عليهم السلام الموافق لما عليه عامة المسلمين إلى مراد مخالفيهم المخالف لما عليه عامة المسلمين ، ويقولون مع ذلك كلّه هذا مراد الأئمة عليهم السلام حتى أنهم يقولون : ليس لله تعالى إن شاء فعل ، وإن شاء ترك وليس لله لو شاء أن يهدي الناس هدايتهم ، وليس له في جميع أفعاله ، إلّا وجه واحد كما ذكره الملا محسن في الوافي ، ومن ذلك اتفاق أئمتنا عليهم السلام على أن مشيئة الله وإرادته حادثة لم يرد عنهم عليهم السلام خبر يوهم خلاف ذلك ، وهؤلاء اتفقوا على أن إرادة الله تعالى قديمة ، وأنها عين ذاته تعالى ، وأن هذا مذهب الأئمة عليهم

---

(١) مستدرك الوسائل : ١٧ / ٢٨٤ ح ٢١٣٥٧، وبحار الأنوار : ٢ / ٩٣ ح ٢٦.

السلام ، حتى أن المصنف ذكر الإرادة في كتابه الكبير الأسفار ، وأنها قديمة ، وهي عين ذاته وأطال في ذلك الكلام جداً ، وهو يستدل على قدمها من العقل والنقل إلى أن قال : (فعُلم من هذه الآيات ونظائرها أن إرادته تعالى للأشياء علمه بها ، وهما عين ذاته تعالى) .

وأما الحديث : فمن الأحاديث المروية عن أئمتنا وساداتنا عليهم السلام في الكافي وغيره في باب الإرادة ، ما ذكر في الصحيح عن صفوان بن يحيى ، قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام : أخبرني عن الإرادة من الله ، ومن الخلق ؟

فقال عليه السلام : (**الإرادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل ، وأما من الله تعالى فإرادته إحداثه لا غير ذلك لأنه لا يروّي ، ولا يهم ، ولا يفكر وهذه الصفات منفية عنه وهي صفات الخلق ، فإرادة الله الفعل لا غير ذلك ﴿ يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[1] بلا لفظ ، ولا نطق بلسان ، ولا همة ، ولا تفكر ، ولا كيف لذلك كما أنه لا كيف له**)[2] انتهى .

ولعل المراد (من الضمير تصور الفعل ، وما يبدو بعد ذلك ، واعتقاد النفع فيه ، ثم انبعاث الشوق من القوة الشوقية ، ثم تأكده

(١) سورة البقرة ، الآية : ١١٧ .

(٢) الكافي : ١ / ١٠٩ ح ٣، أوائل المقالات للشيخ المفيد : ٣٦٩، والفصول المهمة للحر العاملي : ١ / ١٩٤ ح ١٤٨.

واشتداده إلى حيث يحصل الإجماع المسمّى بالإرادة ، فتلك مبادىء الأفعال الإرادية القصدية فينا ، والله سبحانه مقدس عن ذلك كلّه) انتهى ما أردت نقله من كلامه ، وهو طويل .

فبالله عليك تأمل حال هذا هو وأتباعه في زعمهم أن الإرادة قديمة ، وهي عين ذات الله سبحانه ، ويستدلون على دعاويهم بمثل هذا الحديث الصحيح الصريح ، في خلاف دعاويهم ، فإنه عليه السلام قال : (**وأما من الله فإرادته إحداثه لا غير ذلك**)(١) .

وقال : (**فإرادة الله الفعل لا غير ذلك ﴿ يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾**)(٢) (٣) .

والمصنف يقول مراد الإمام عليه السلام أنها قديمة ، وأنها عين ذاته تعالى ، تأويلاً كلامه عليه السلام على كلام أئمته الصوفية الذي هم وأتباعهم الولائج الصادون عن الله والإمام عليه السلام إياهم عنى .

وأنت أيها الناظر إذا كشف الله لك عن بصيرتك ، ونظرت في كتبهم ، وجدت أنهم ما أدركوا من الإقبال معشار عشير من الإدبار .

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٠٩ ح ١١ ، وأوائل المقالات : ٣٦٩ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١١٧ .

(٣) بحار الأنوار : ٤ / ١٣٧ ، ومستدرك سفينة البحار : ٤ / ٢٤٧ .

بيان معنى الحِكمة المضنونة

وقوله : (وهذا من الحكمة المضنونة بها على غير أهلها) ، المضنونة قياسه أن يقول : المضنون ، لأن الوصف جار على غير من هو له ، وهو بالضاد المعجمة بمعنى المبخول بها كما في قوله تعالى : ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾[1] ؛ أي : ببخيل على قراءة الضاد ، وعلى قراءة الظاء المؤلفة بمعنى متهم .

ويريد به المصنف أن ما ذكره من الأسرار التي بخل بها كبار الصوفية وأتباعهم من الحكماء عن غير أمثالهم ، لأن غيرهم لا يقبلها ، وهو كما قال : وذلك لأن غيرهم أحد الرجلين ، إما رجل وفّقه الله لاقتفاء أثر أئمة الهدى عليهم السلام فبصّره الله ببركة اتّباعهم الهدى والضلالة ، فلم يقبل كلام المصنف والصوفية هداية من الله سبحانه .

وإما رجل أخذ بظاهر ما عليه عامة المسلمين ، وترك ما خالفه ، فلم يقبل كلامهم ، لأنه مخالف لما عليه عامة المسلمين .

ومراده من الكمّل كبار الصوفية ، ومن وافقهم كابن عربي[2] ،

---

(١) سورة التكوير ، الآية : ٢٤.

(٢) هو أبو بكر محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي من ولد عبد الله بن حاتم الطائي الأندلسي . =

والغزالي[١] والبسطامي[٢] . . . .

= ولد بمرسية بالأندلس يوم الاثنين السابع عشر من شهر رمضان المعظم سنة ستين وخمس مئة هجرية (٥٦٠ هـ) (٢٨ / ٧ / ١١٦٥ م) .
مات في ٢٢ ربيع الثانية سنة ٦٣٨ هـ (٢٦ / ١١ / ١٢٤٠ م) .
انظر ترجمته في الدر الثمين : ٣٧، وفوات الوفيات : ٢ / ٣٢٥.

(١) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي ، المعروف بالغزالي (زين الدين ، حجة الإسلام ، أبو حامد) حكيم ، متكلم فقيه ، أصولي ، صوفي ، مشارك في أنواع من العلوم .
ولد بالطابران إحدى قصبتي طوس بخراسان سنة (٤٥٠ هـ ـ ١٠٥٨ م) ، وطلب الفقه لتحصيل القوت ، ثم ارتحل إلى أبي نصر الإسماعيلي بجرجان ، ثم إلى إمام الحرمين أبي المعالي الجويني بنيسابور ، فاشتغل عليه ولازمه ثم جلس للإقراء ، وحضر مجلس نظام الملك ، فأقبل عليه نظام الملك ، فعظمت منزلة الغزالي ، وندب للتدريس بنظامية بغداد ، ثم أقبل على العبادة والسياحة ، فخرج إلى الحجاز فحج ، ورجع إلى دمشق فاستوطنها عشر سنين ، ثم سار إلى القدس والاسكندرية ، ثم عاد إلى وطنه بطوس ، ثم إن الوزير فخر الدين ابن نظام الملك طلبه إلى نظامية نيسابور فأجاب إلى ذلك ، ثم عاد إلى وطنه ، وابتنى إلى جواره خانقاه للصوفية ومدرسة .
توفي سنة ٥٠٥ هـ ـ ١١١١ م) .
انظر معجم المؤلفين لعمر كحالة : انظر ١١ / ٢٦٥.

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد الأنطاكي ، الحنفي البسطامي ، نزيل بروسة .
عالم مشارك في أنواع من العلوم في الحديث والتفسير والفقه والتاريخ وخواص الحروف والتصوف .
ولد بأنطاكية ، وأقام بالقاهرة وببروسة إلى أن توفي سنة (٨٥٨ هـ ـ ١٤٥٤م) . =

وابن عطاء الله(١) وعبد الكريم الجيلاني(٢) وأمثالهم ، . . . .

= من مؤلفاته الكثيرة : نظم السلوك في تواريخ الخلفاء والملوك ، الفوايح المسكية في الفواتح المكية ، لوامع أنوار القلوب وجوامع أسرار الغيوب في علم الحرف ، وكيمياء السعادة الربانية وسيمياء السيادة الروحانية ، وتلخيص تهذيب الأسماء واللغات للنووي سماه بالفوائد السنية .
انظر كشف الظنون لحاجي خليفة : ٥٠ / ٦٢، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة : ٥ / ١٨٣ .

(١) هو أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الاسكندري ، الجذامي ، الشاذلي ، الشهير بابن عطاء الله (تاج الدين ، أبو العباس ، وأبو الفضل) صوفي مشارك في أنواع من العلوم كالتفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو والاصول .
توفي بالقاهرة في جمادى الآخرة سنة (٧٠٩ هـ ـ ١٣٠٩ م) .
من مصنفاته : التنوير في إسقاط التدبير في التصوف ، مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح في ذكر الله الكريم الفتاح ، لطائف المتن في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه أبي الحسن أصول مقدمات الوصول ، والمرقى إلى القدير الأبقى .
انظر طبقات الشافعية للسبكي : ٥ / ١٧٦ ـ ١٧٧، وإيضاح المكنون للبغدادي : ١ / ٩٣ .

(٢) هو الشيخ عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم بن خليفة بن أحمد بن محمود الجيلي أو الجيلاني (الكيلاني) . والجيلاني أو الجيلي نسبة لجيلان من أعمال فارس .
ولد سنة ٧٦٧ هـ (١٣٦٥ م) وقيل سنة ٧٧٧ هـ .
مات سنة ٨٠٥ هـ (١٤٠٢ م) وقيل ٨٢٠ هـ وقيل ٨٣٢ هـ .
انظر ترجمته في معجم المؤلفين لعمر كحالة : ٣١٣، وكشف الظنون : ١٥٢٥ .

وأبي نصر الفارابي[١] .

وقوله : (وهذه الأسماء ليست ألفاظاً) ، قد تقدم الكلام عليه .

قال : (والمعتنون بهذا العلم حققوا ودوّنوا مسائل كثيرة فيه على النظم الحكمي على ترتيب الحكمة الرسمية ، المبتني على مبادىء وموضوعات ، وأقسام أصلية وفرعية ، ومطالب وغايات لانقسام أسمائه العظام إلى جواهر وأعراض ، وأعراضها إلى مقولات تسع ؛ من كم وكيف ، وأين ووضع ، ومتى وإضافة ، وجدة وفعل وانفعال . على أن الجميع بسائط عقلية ، موجودة بوجود واحد ، واجب لذاته ، وهذا من عجائب أسرار عظمة الله) .

---

(١) هو محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان الفارابي ، ويلقب بالمعلم الثاني (أبو نصر) حكيم ، رياضي ، طبيب ، موسيقي عارف باللغات التركية والفارسية واليونانية والسريانية .
ولد في فاراب سنة (٢٦٠ هـ ـ ٨٧٤ م) ، وأحكم العربية ولقي متى بن يونس فأخذ ، عنه وسافر إلى حران ، فلزم بها يوحنا بن جيلان ، وسافر إلى مصر ، ثم رجع إلى دمشق فسكنها وتوفي بها في رجب سنة (٣٣٩ هـ ـ ٩٥٠ م) .
من تصانيفه الكثيرة : آراء أهل المدينة الفاضلة ، المدخل إلى صناعة الموسيقى ، إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها ، المدخل إلى علم المنطق ، وتحصيل السعادة .
انظر البداية والنهاية لابن كثير : ١١ - ٢٢٤ .

قول المصنف : والمعتنون بهذا العلم حققوا ودوّنوا مسائل

بيان معنى الحكمة النظرية

أقول : قوله : (بهذا العلم) ؛ الظاهر أن المراد من هذا العلم علم الحكمة النظرية ، التي هي علم بأحوال أعيان الموجودات على ما هي عليه بحسب الطاقة البشرية .

ويحتمل أن يراد منه العلم الجفري المتعلق بأحوال الأسماء اللفظية ، للتصرف في الأسماء المعنوية .

وعلى الأول لا يشار به إلى كلّ ما يتضمنه حدّ الحكمة ، بل إلى ما يتعلق بالصفات ، لأنها هي الأسماء ، ويبحثون فيها فيما يتعلق بموضوعاتها ، وعلل أكوانها ومبادئها وغاياتها ، وما يتبع ذلك من كونها أصلية ، أو فرعية ، لأنها تنقسم إلى جواهر وأعراض ، والجواهر إلى مفارقات ، وبرازخ وماديات ، وإلى علويات وسفليات ، وإلى ثابتة ومتغيرة ، والأعراض إلى لازمة ، وغير لازمة ، وإلى قارة ، وغير قارة ، وإلى صدورية وظهورية ، وتحققية وعروضية ، وكلها إلى المقولات التسع كم وكيف وأين ومتى ووضع وإضافة ومُلك وفعل وانفعال عند الحكماء ، أو إلى اثنين وعشرين عند المتكلمين ، عشرة مشروطة بالحياة وهي القدرة والاعتقاد والظن والنظر والإرادة والكراهة والنفرة والشهوة والألم والإدراك ، واثنا عشر غير مشروطة بها وهي الحياة والأكوان

والألوان والطعوم والروائح والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والأصوات والاعتماد والتأليف ، وزاد بعضهم البقاء وزاد بعض الفناء عرضاً لا في محل .

فهذه أربعة وعشرون عرضاً على اختلاف الحكماء ، والمتكلمين في الأعراض ، والمتكفّل به علم المبدأ ، لأن كلّ ما يتضمن حدّ الحكمة ، يبحثون فيه أيضاً عن المسمّى ، بل عن ذاته تعالى عن ذلك .

والصوفية قد يطلقون الاسم على الذات المتصفة بالصفات ، كمسمى الله .

ونحن نقول : أعلى ما يصدق عليه الاسم العنوان الذي يسمونه الأئمة عليهم السلام بالمقامات والعلامات ، ثم الفعل ، ثم المعاني ثم الأبواب وهكذا .

وقد بيّنا سابقاً أنّ المقامات مثل القائم لزيد ، وهو الفعل ومحله الحامل له كالحديدة المحمية بالنار ، وأن الفعل كالحركة التي بها أحدث زيد القيام ، والفعل تتعدد أسماؤه باعتبار متعلقه كالمشيّئة والاختراع ، وكالإرادة والإبداع وكالقدر والقضاء والإمضاء والإذن .

وإنّ المعاني أثر فعله ؛ كالقيام وهي معاني أفعاله كالحقيقة المحمدية ، وإن الأبواب هم الملائكة العالون ؛ كعقل الكل وروح الكل ونفس الكل وطبيعة الكل .

وعلى الثاني ما يبحثون فيها على حسب مطالبهم ويقولون : إن اللفظية محل المعنوية ومتعلقها وصفتها وظاهرها كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : (**الروح في الجسد كالمعنى في اللفظ**)[١]، انتهى .

فكما أنّ الجسد محل الروح ، ومتعلقها وصفتها وظاهرها ، وكل ما يراد أن يتوصل به إلى الروح فإنما هو بواسطة الجسد ، فكذلك اللفظ الذي هو للمعنى بمنزلة الجسد للرّوح ويتصرفون فيها بحسب مطالبهم عند ارادة اتّصال الطالب بالمطلوب بمزج اسم الطالب باسم المطلوب ويوسّطون بين الاسمين اسم المالك المطلوب منه الحاجة ، وهو الله سبحانه وتعالى ، ويمزجون بين حروفها بالتكسير الكبير ، أو المتوسط ، أو الصغير ، أو بالتبديل الحار بالبارد والرطب باليابس ، أو العكس ، أو بالتعديل بزيادة الحروف المعدلة ، أو بالتبديل كبسط الطبيعي وبسط الغريزي ، وبسط الترفعي بالترقي بالآحاد إلى العشرات وبها إلى المئات وهكذا .

أو بالتوليد كالتضارب وأخذ المناسب ، أو المواخي ، أو المعادي ، أو المحابب ، أو المباغض ، أو بالظلمانية بالنورانية ، أو بالعكس ، أو بتعديل القوى بالتكسير المتوسط ، أو بالوفق ،

---

(١) مستدرك سفينة البحار : ٤ / ٢١٧.

أو بمراعاة المسرودة والملفوظة والمكتوبة وما أشبه ذلك مما هو مذكور في علم الهيمياء ، ويجذبون بها معانيها أي الأسماء المعنوية وينزّلونها إلى مطالبهم يسخّرون بها الملائكة والجن والخلق والكواكب والعناصر والمعادن والنباتات وسائر الحيوانات ، وكل ذلك بما أودع في أسمائه تعالى من أزِمة أمور الأشياء كلها ذلك تقدير العزيز العليم .

بيان أن جميع المعقولات بسائط عقلية

وقول المصنف : (على أن الجميع بسائط عقلية) ، يشير به إلى أن كلّ الأسماء مجردات وليس كما قال ، بل منها مجردات كالتي عناها من الصور العلمية ومنها ماديات ومنها أعراض جسمانية ومنها برازخ ومنها ألفاظ ، وكيف لا تكون أسماء الأسماء أسماءً وتكون أعراض الأعراض أعراضاً ، فإن صفة الصفة صفة كما هو مقرّر ما لا اشتباه فيه .

والفقهاء من علمائنا رضوان الله عليهم ، أجمعوا على تحريم مس نقش اسم الله للمحدث ، مع أنه ظرف للفظي ويطلقون على النقش الاسم حقيقة ، ولكن جعل اللفظي ، أو النقش الدال عليه ليس باسم لله تعالى جهل وغباوة .

بيان أن كل وجود هو موجود بوجود الله تعالى

وقوله : (موجودة بوجود واحد واجب لذاته) ، يشير به إلى

أنها موجودة بوجود الله تعالى ، وقد قلنا سابقاً : هل هي في ذاته أم خارج ذاته ؟ وعلى الأول هل هي غيره بأن يعلم بأن في ذاته شيئاً غيرها أم لا ؟

وعلى الفرض الأول من الأول ، هل هو محيط بها أم هي محيطة به أم متمازجان ؟

وعلى الثاني من الأول ، هل مفهومه مغاير لمفهومها أم لا ؟ فعلى كونه في ذاته مغايرة له إن كان محيطاً بها ، كان ظرفاً لغيره ، وإن كانت محيطة به كان محصوراً ، وإن كانا متمازجين لم يكن صمداً لأنه أيضاً ظرف ، وللغير فيه مدخل .

وعلى كونها عين ذاته وغيرها بالمفهوم كما يقوله هؤلاء ، يكون بسيطاً باعتبار ومركباً باعتبار وهم يقولون آية ذلك أن الصور المتعددة في المرايا لشخص واحد وجودها نفس وجود ذلك الشخص ، ولهذا إذا تحرك تحركت بحركته ، لأن وجودها نفس وجوده وليس الأمر كما يُظَن ، لأن الصور في المرايا ليس وجودها نفس وجود المقابِل وإلّا لما فقدَتها ذاته في حال ، وإنما وجودها هيئة صورته المنفصلة ، لأن صورته المتصلة ليست هي التي في المرآة ، وإنما التي في المرآة هيئتها الإشراقية وهي كالشعاع الواقع على الجدار من الشمس ، والشعاع وجوده من إشراق الشمس وكثافة الجدار ماهيته يتوقف ظهوره عليها ، وكذا الصور التي في المرايا فإنها هيئات صورة المقابل ، وهي الهيئات

المنفصلة بمعنى أنها ليست هي العارضة على الشخص ، لا بمعنى أنها منقطعة عن الهيئة العارضة ، بل تستمد منها وجودها مدداً سيالاً وهذا المدد هو وجودها ، وماهيتها هيئة المرآة كما تقدم .

فوجود هذه الصور من إشراق الهيئة العارضة ، وهو في فيضه واحد من الهيئة العارضة ، ولكنه منبسط على المرايا ، فهو متكثر في المرايا وليس هو وجود العارضة على الشخص ، لأنه من إشراقها ، فضلاً عن أن يكون هو وجود الشاخص ، وأين هذا من ذاك ؟

وإنما أكرر هذا ومثله ليستقر في أذهان الناظرين ، إذ بدون الترديد والتكرير لا يكاد يستقر ، لعدم أنسهم بمثل هذه الحكمة .

القاعدة الحادية عشرة في الفاعلية بالنسبة إلى الله تعالى

قال : (قاعدة فاعلية : كلّ فاعل إما بالطبع ، أو بالقسر ، أو بالتسخير ، أو بالقصد ، أو بالرضا ، أو بالعناية ، أو بالتجلّي ، وما سوى الثلاثة الأُول إرادي البتة ، والقسمان الأولان : خاليان عن الإرادة البتة . وأما الثالث : فيحتمل الأمرين وصانع العالم فاعل بالطبع عند الدهرية والطباعية ، وبالقصد مع الداعي عند بعض المتكلمين ، وبالقصد الخالي عنه عند الأكثر منهم ، وبالرضا عند الإشراقيين ، وبالعناية عند المشائين ، وبالتخلي عند

الصوفيين : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾(١) .

قول المصنف : قاعدة فاعلية : كلّ فاعل إما بالطبع

بيان أقسام الفاعل

أقول : قال المصنف في الكتاب الكبير : (فإذا علمتَ أقسام الفاعل فاعلم أنه ذهب جمع من الطباعية والدهرية ـ خذلهم الله ـ إلى أن مبدأ الكل فاعل بالطبع وجمهور المتكلمين إلى أنه فاعل بالقصد ، والشيخ الرئيس وفاقاً لجمهور المشائين إلى أن فاعليته للأشياء الخارجية بالعناية والصور العلمية الحاصلة في ذاته على رأيهم بالرضا . وصاحب الإشراق تبعاً لحكماء الفرس والرواقيين إلى أنه فاعل الكل بالمعنى الأخير ، وسنحقق لك في مستأنف الكلام في الأصول الآتية إن شاء الله تعالى أن فاعل الكل لا يجوز اتصافه بالفاعلية ، بأحد الوجوه الثلاثة الأُول ، وأن ذاته أرفع من أن تكون فاعلاً بالمعنى الرابع ، لاستلزامه مع قطع النظر عن الاضطرار التكثر بل التجسم ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً . فهو إما فاعل بالعناية ، أو بالرضا ، وعلى أي الوجهين فهو فاعل بالاختيار بمعنى إن شاء فعل ، وإن لم يشأ لم يفعل لا بالإيجاب كما توهمه الجماهير من الناس ، فإن صحة الشرطية غير متعلقة

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٤٨ .

بصدق شيء من مقدمها وتاليها ، بل وجوبه ، أو كذبه ، بل امتناعه إلّا أن الحق هو الأول منهما ، فإن فاعل الكل كما سيجيء يعلم الكل قبل الوجود بعلم هو عين ذاته فيكون علمه بالأشياء الذي هو عين ذاته منشأ لوجودها فيكون فاعلاً بالعناية) انتهى كلامه .

وقد فسّروا الفاعل بالطبع ، فقالوا : الفاعل بالطبع مَن يصدر عنه الفعل ، بمقتضى طبيعته بلا شعور منه بما فعل ، ولا إرادة ، ويكون فعله ملائماً لطبعه .

والفاعل بالقسر هو الذي يصدر عنه بغير إرادته ، سواء كان عن شعور أم لا ويكون على خلاف محبته .

والفاعل بالتسخير هو الذي يصدر عنه الفعل بمقتضى إرادة المسخِّر وداعيه ، ويكون ذلك منه أعم من شعوره وإرادته ورضاه .

والفاعل بالجبر هو أن يفعل المختار بغير اختياره ، بل بإرادة مجبره .

والفاعل بالقصد هو الذي يفعل بإرادته لغرضه المقصود بفعله ، سواء كان بسبب معونة حصول الدواعي وانتفاء الموانع أم بنفس إرادته .

والفاعل بالرضا ، وهو الذي يكون علمه الذاتي علة لوجود

مفاعيله ، وعين معلوميتها له عين وجودها عنه ، وعلمه بها عين فعله لها بلا اختلاف في شيء من ذلك .

والفاعل بالعناية هو الذي يكون فعله تابعاً لعلمه بوجه الخير ، في ذلك الفعل في نفس الأمر فيفعل عن ذلك العلم من غير قصد زائد على ذلك العلم .

والفاعل بالتجلي هو أن يلقي مثاله في هويات الأشياء بحسب قوابلها .

أقول : وهذه التعاريف لهذه المعاني ، وكل من قال بواحد من هذه الثمانية ، أراد منه ما ذكرنا ، وفيها كلها مناقشات منهم ، فكلّ واحد من أهل هذه الأقوال يناقش فيما سوى ما اختاره والمصنف هنا ، وفي سائر كتبه قال : (ما سوى الثلاثة الأُول إرادي البتة ، والقسمان الأولان خاليان عن الإرادة البتة . وأما الثالث : فيحتمل الأمرين) .

وأقول : أما ما كان بالطبع فلا ينافي الإرادة ، بل قد يكون مع الإرادة ، إذ قد يريد مقتَضى طبيعته فيقع الفعل بالداعيَين .

وما قيل : من أنه ما لا يكون له داع غير ميل الطبيعة ، لا ينافي مشاركة الإرادة لما قررنا في كثير مما كتبنا من أن كلّ حادث فهو من الوجود ، وليس بعد الله عزّ وجلّ غير الوجود ، وهو شعور واختيار وإرادة وتمييز وفهم وحياة ، فكلّ شيء فيه هذه الصفات بحسبه فما كان قريباً من المبدأ كانت فيه هذه الأوصاف

أقوى ، وما بعد كانت أضعف فالأقوى كنوع الإنسان والأضعف كالجمادات وما بينهما بنسبة مرتبته من الوجود فالحجر ينزل بطبعه هذا في الظاهر .

وأما في الواقع فكما قررنا في الفوائد وشرحها أن الحجر خلقه الله من أسفل مراتب الوجود ، وفيه ما في الإنسان بنسبة وجوده ولهذا يسبّح الله فقال تعالى : ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾(١) ، وقال تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾(٢) فقَال : تسبيحهم ويسبحون ولم يقل تسبيحها ويسبّحن ، بل ذكرهم تعالى بضمير العقلاء وكذلك قوله تعالى : ﴿فَقَالَ لَهَا﴾ ، أي : للسماء ﴿وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾(٣) ، ولم يقل طائعات .

والأخبار الدالة على تكليف الجماد والنبات أكثر من أن تذكر ، وكل ذلك لا يكون إلّا مع الشعور والاختيار والإرادة .

وأما الحجر في نزوله بطبعه فهو مختار ومريد للنزول ، لأن الله سبحانه ، وكّل به ملكاً ينزل به إلى ما يريد سبحانه ، وركز في

---

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٤٤.
(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٣٣.
(٣) سورة فصلت ، الآية : ١١.

طبيعته شهوة طاعة الملك ، فهو ينزل ظاهراً بطبعه وباطناً باختياره وإرادته ، وإذا دفعه دافع إلى الهواء صعد حتى تنتهي قوة الدافع .

وحقيقته أن عضو الدافع ، وكّل الله به ملكاً أقوى من الملك المنزل للحجر ، وركز في الملك المنزل محبة طاعة الملك المصعدِ وشهوتها ، فيرفع الحجر بشهوته وإرادته تبعاً لشهوة الملك المنزِل وإرادته ، حتى تنتهي قوة الدافع التي هي طبق قوة الملك المصعِد ، فينزل بالحجر كذلك فهو في نزوله بطبعه ومختار ومريد ، وكذا في صعوده بالدفع إلّا أن إرادته للصعود لذاته ناقصة والدافع متمم لها .

واعلم أنّ ما ذكرته ، وإن كان بعيداً عن أفهام الناس ، إلّا أنه مذهب أئمة الهدى عليهم السلام ، وما ذكرته لك فهو معقوله ، والكتاب والسنّة ناطقان بذلك وبأدلّته ، ولكن يطول الكلام بذكرها .

بيان أن كل شيء بالاختيار لا بالجبر

فقول المصنف : (بأن ما كان بالطبع فهو خال من الإرادة البتة) ، جار على مذاق العوام .

وأما الخواص فعندهم أن ليس في العالم شيء بالقسر بل كلّه اختيار ، ولكن هذه الثمانية التي ذكر كلها مختارة مريدة ، إلّا أن الاختيار في سبعة منها ناقص وهي ما سوى ما بالقصد فإنه يقع بإرادة واختيار تامين .

أما الثلاثة الأُول فهو يوافقنا على عدم وجود اختيار تام فيها ، فلا تصلح لفاعلية المختار .

وأما ما كان بالرضا فإنه إذا قال : علمه الذاتي علّة لوجود مفاعيله ، فإن أراد بالعلّة علة الكون ، فالعلم من حيث هو علم لا يكون علّة الكون ، وإنما علة الكون الذات ، إذ العلم من حيث هو لا يكون مؤثراً ، وإن أراد علّة التكوين فلا تكون إلّا للفعل ، لأن العلم ليس هو المكوَّن به ولا المكوِّن ، فلا يصلح الفعل بالرضا خاصة من القادر المختار إلّا كونه مصاحباً لِلفعل بالقصد .

وأما الفاعل بالعناية فيلزم منه إما الجبر في الأفعال الاختيارية ، وإما كون الأشياء قديمة غير مجعولة ، والكل باطل لِعدم القصد الزائد على العلم ، ولمساواته للإيجاب ، لأن الموجب هو الذي لا يتخلف عنه مفعوله .

والفاعل بالعناية إذا كان علمه الذي هو ذاته هو العلّة لا غيره ، وهو علة تامة فقد كان فاعلاً بالإيجاب وهذا ظاهر .

وأما ما كان بالتجلي كما تقوله الصوفية ، وهو أن يلقي الفاعل مثاله في هويات الأشياء بحسب قوابلها ، فإذا أرادوا به أن الهويات هي الصورة العلمية غير المجعولة سواء ، قيل : إنها في علمه الذي هو ذاته أم معلقة به كالظل بذي الظل فهذا باطل لاستلزامه إثبات أشياء غير الله سبحانه لم يكن محدِثاً لها .

وإن أرادوا به أن الهويات الملقى فيها هي نفس القوابل .

وإنما قيل : بحسب قوابلها أن الملقَى وهو المثال قد تختلف جهاته وكمياته وكيفياته ورتَبه وأمكنته وأوقاته وأوضاعه ، وما أشبه ذلك من المشخصات ، وهذه هي حدود القابلية ، والانفعال المسمى بالصورة ، والماهية بالمعنى الأول كما مرّ وهي من نفس المثال الملقى من حيث نفسه ، وهو متقدم بالذات مساوق لها في الظهور كالكسر والانكسار .

بيان المراد من الإلقاء والمثال

وإن المراد بالإلقاء تحقق المثال وظهوره بشرائط الظهور ، والتحقق التي هي المذكورة .

وإن المراد بالمثال هو وصف الله نفسه الفهواني لعبده وهو الوصف المحدث الذي ظهر به لعبده ، وهو حقيقة عبده منه تعالى ، وهو المسمى بنور الله في قوله عليه السلام : (**فإنه ينظر بنور الله**)[1] ، وهو الفؤاد لعبده ، وهو المسمى بالوجود عندهم ، وهو المادة عندنا ، فإن أرادوا هذا كما ذكرنا فهو حق .

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى ما ذكرنا بقوله : (**لا**

---

(١) محاسن البرقي : ١ / ١٣١ ح ١ ، وعلل الشرائع : ١ / ١٧٤ ح ١ ، باب العلة التي من أجلها لم يطق أمير المؤمنين عليه السلام حمل رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أراد حطّ الأصنام من سطح الكعبة .

تحيط[١] به الأوهام ، بل تجلّى لها بها ، وبها امتنع منها وإليها حاكمها)[٢] .

وكل جزئي مما ذكرنا إن أردوا غيره فهو باطل ، وكل ما ذكرنا قد ذكرنا ما يدل عليه دلالة قطعية ، ونذكر فيما بعد .

وإن أرادوا بالمثال شيئاً ليس بمجعول فهو باطل ، لأن الإلقاء لا يتعلق إلّا بالحادث لأنه إنزاله من رتبته إلى غيرها .

وإن جعلوه حادثاً وجعلوا الهويات الملقى فيها ليست مجعولة ، فهو باطل ، لأنّ الحادث مجعول ولا يحلّ مجعول في غير مجعول وإن جعلوها مجعولة وهي لم تكن صورة المثال المجعول ، كأن الحاصل منهما مركباً وليس ذاتاً واحدة فهو باطل .

وإن جعلوا المثال هو الفعل فهو باطل ، لأن المثال هو الملقى والفعل هو الإلقاء .

---

(١) في بعض المصادر : (تحط) .

(٢) نهج البلاغة : ٢ / ١١٥ الخطبة : ١٨٥ ، وميزان الحكمة : ٣ / ١٨٩٤ ح ٢٦١٩ ، والاحتجاج : ١ / ٣٠٥ ، وبحار الأنوار : ٤ / ٢٦١ ، وأعلام الدين للديلمي : ٦٧ .

قال عليه السلام : **(واحد لا بعدد ، ودائم لا بأمد ، وقائم لا بعمد ، تتلقاه الأذهان لا بمشاعره وتشهد له المرائي لا بمحاضره ، لم تحط به الأوهام ، بل تجلّى لها بها ، وبها امتنع منها ، وإليها حاكمها ، ليس بذي كبر امتدت به النهايات فكبرته تجسيماً ، ولا بذي عظم تناهت به الغايات فعظمته تجسيداً ، بل كبر شأناً وعظم سلطاناً) .**

والحاصل أنه تعالى إنما خلق المادة للمخلوق ، والمخلوق لا يقدر على الظهور بدون ضميمة هي هويته ، وهي الماهية بالمعنى الأول كما تقدم والصورة ، فخلق له ثانياً وبالعرض الماهية على تفصيل ما مرّ فراجع .

بيان أن كل منتهي إلى غيره فهو حادث مخلوق

وقول المصنف في كتابه الكبير كما نقلنا : (وإن ذاته أرفع من أن تكون فاعلاً بالمعنى الرابع لاستلزامه مع قطع النظر عن الاضطرار التكثر ، بل التجسم تعالى عن ذلك علواً كبيراً) ، يريد بالرابع أن يكون فاعلاً بالقصد غلط دخل عليه من قواعده التي منها أنه يفعل بذاته وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ، لأنه يلزم منه ما يذهب إليه من أن الخلق تنتهي إلى ذاته ومعلوم أن من انتهى غيره إليه فهما حادثان ، لما يلزم بينهما من الاتصال ، أو الانفصال ، والافتراق ، أو الاجتماع ، ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام : (**انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه**[١] **الطلب إلى شكله**)[٢] انتهى .

---

(١) في بعض المصادر (أسنده) .

(٢) ورواه المصنف في الجزء الثاني من شرح العرشية ، قال عليه السلام في خطبته : (**وإن قلتَ : مِمَّ هُو ؟ فقد باين الأشياء كلّها ؟ فهو هو ، وإن قلتَ : فهو هو ، فالهاء والواو كلامه صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له ، وإن قلتَ : له حدّ فالحدّ لغيره ، وإن قلتَ : الهواء نسبه فالهواء من صنعه رجع من الوصف إلى الوصف وعمى القلب عن الفهم والفهم عن الإدراكِ ، والإدراكُ** =

وإنما هو فاعل بفعله ، وفعله مشيئته وإرادته كما تقدم في حديث الكاظم عليه السلام وفعله تعالى واحد إلى كلّ شيء كما قال تعالى : ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾(١) ، وقال : ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾(٢) ، إلّا أنه له رؤوس بعدد

= عن الاستنباط ، ودام الملك في الملك ، وانتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطّلب إلى شكله ، وهجم به الفحصُ إلى العجز ، والبيانُ على الفقدِ ، والجهد على اليأس ، والبلاغ على القطع ، والسبيل مسدود ، والطلب مردود ، دليله آياته ، ووجوده إثباته) .

وهي الخطبة المعروفة بدرّة التوحيد روى بعضها السيد حيدر الآملي في جامع الأسرار ومنبع الأنوار : ٢٣٤ ، وأولها : (الحمد لله حمد معترف بحمده مغترف من بحار مجده بلسان الثناء شاكر . . .) . وفيها : (السبيل مسدود والطالب مردود دليله آياته ووجوده إثباته ، ومعرفته توحيده ، وتوحيده تنزيهه من خلقه ، بأين لا بمسافة قريب لا بمداناة . له حقيقة الربوبيّة إذ لا مربوب ومعنى الإلهيّة إذ لا مألوه . صفة أنّه ربّ وغيره خلق . له تأويل البينونة لا بينونة له ، ما تصوّرته الأوهام فهو بخلافه . ليس بربّ من أطرح تحت البلاء ، ولا بمعبود من وجد في وعاء هواء وغير هواء . فهو في الأشياء كائن لا كينونة محصور (محظورة ـ م) بها عليه . ومن الأشياء بائن لا بينونة غائب عنها . . .) إلى قوله عليه السلام : (فهو الأوّل لا أوّل له . والآخر لا آخر له . والظاهر لا ظاهر له والباطن لا باطن له) . رواه السبزواري والطباطبائي باختصار : (دليله آياته ، ووجوده إثباته ومعرفته توحيده وتوحيده تمييزه) . انظر شرح الأسماء الحسنى : ١ / ١٦ ، وتفسير الميزان : ٦ / ١٠٢ . ورواه ابن شعبة الحراني عن الإمام الحسين عليه السلام بتفاوت واختصار ، انظر تحف العقول : ٢٤٤ ، وبحار الأنوار : ٤ / ٣٠١ ح ٢٩ .

(١) سورة القمر ، الآية : ٥٠ .

(٢) سورة لقمان ، الآية : ٢٨ .

جميع الخلق كلّ رأس يتعلق بممكن يحدثه لا يصلح لإحداث غيره ، والفعل خلقه الله بنفسه أي نفس الفعل وأقامه بنفسه قيام صدور وتحقق ، ولا كيف له ، لأن الكيف إنما حدث به فالقصد التخصيصي التشخيصي منسوب إلى خصوص الرأس المختص بالمقصود لما بينهما من التوافق ، وإن كان بالله تعالى هذا وصف في الغائب ونظيره في الشاهد أنه إذا حلّت الشمس برج الحمل سخن العالم السفلي بحرارة الشمس لقربها من أفقنا وكان موافقاً لوجود الرطوبة من فصل الشتاء ، فاجتمعت الحرارة والرطوبة اللتان جعلهما الله علّة الكون فينبت النبات ، وكل شجرة بل كلّ ورقة لها حصة من علّة الكون لا تصلح لغيرها ، فتنبسط علّة الكون وهي واحدة على جميع الأشجار والنبات والورق والثمر ، وكل شيء له حصة منها تختص به لا تصلح لغيره ، والمخصص الذي عنه القصد إرادة الله تعالى وهي فعله فقال تعالى : ﴿ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ﴾[1] ، فالتفضيل لبعض على بعض لا يكون بالإهمال والاتفاق بدون قصد كما تقوله الدهرية ، ولا بنفس الذات البحت تعالى لما يلزم من المفسدة فلم يبق إلّا برؤوس الإرادة .

وأما الاضطرار فإنما يلزم على القول بالرضا ، أو بالعناية ،

---

(١) سورة الرعد ، الآية : ٤ .

كما ينطق به تعريفهما لمن يطلب صريح الحق القول بالإيجاب .

وأما التكثر والتجسم فإنما يلزم بأنه تعالى فاعل بذاته ، وأن الخلق ينتهي إلى ذاته تعالى لاختلاف أحوال ذاته ، فإنه قبل الفعل وحده وبعد الفعل كان معه غيره وقبل الفعل غير فاعل وبعد الفعل فاعل ، فإذا نسبت الحالتان إلى ذاته جاء المحذور ، ولا يجيء شيء منه إذا قلنا إنه تعالى قبل الفعل إنما هو هو وبعد الفعل كان الفعل ليس في الأزل الذي هو الذات الحق تعالى ، بل هو في رتبة الوجود الراجح ، وهو نفس الفعل والمشيئة والإرادة الأسماء متعددة والمعنى واحد كما قال الرضا عليه السلام لعمران الصابى : (**المشيئة والإرادة والإبداع أسماؤها ثلاثة ومعناها واحد**)[1] وكان الفعل دون الأزل في السرمد الذي هو الوجود الراجح ومحله الإمكان المسمى بالعمق الأكبر كما في دعاء السِّمات .

وكان المفعول دون الفعل في الدهر وعالم الكون ، فما دونه في الزمان فلم تتغير حالة ذات الحق تعالى ، بل كان ولم يكن معه غيره ، وهو الآن على ما كان وتغيير الأحوال إنما هو في الفعل باعتبار متعلقه فالفعل والإمكان والسرمد خلقها الله وهي الوجود

---

(١) التوحيد للصدوق : ٤٣٥ ح ٣، وتحف العقول : ٤٢٤ .
ولفظه في التوحيد : (**اعلم أن الإبداع والمشيئة والإرادة معناها واحد وأسماؤها ثلاثة**) .

الراجح لم يظهر شيء منها قبل الآخر ، وهو عندنا هو الوجود المطلق ، والعقل الكلي والدهر والممكن هي الوجود المقيد بالقيود والشرائط ، وإن كان بعضها أبسط من بعض بمعنى أقل تركيباً وشرائط ومحدد الجهات والزمان والمكان هي عالم الأجسام على تفصيل ربما نذكره .

والحاصل القول الحق أن فاعل العالم فاعل بالقصد والاختيار ، كما قاله المتكلمون ، وإن كان على غير ما فهموا .

بيان أن الله تعالى فاعل بالقصد والاختيار

وقول المصنف : (وعلى أي الوجهين فهو فاعل بالاختيار . . . إلى آخره) ، يعني بالوجهين بالعناية ، أو بالرضا ، لأنه في بعض كتبه رجح أنه فاعل بالرضا ، وفي بعضها رجح أنه فاعل بالعناية ، ومن عرف معنى ما أرادوا منهما قطع بأن الفاعل بأحدهما لا يكون مختاراً .

ولكن المصنف لما نسب الفعل إلى نفس الذات ، وحكم بانتهاء الخلق إلى الحق تعالى ، فحكم بربط الحادث بالقديم ، لا يسعه تفريعاً على ذينك الأصلين ، إلّا القول بالوجهين ، ولم يجسر على إنكار الاختيار ، قال : (وعلى أي الوجهين فهو فاعل بالاختيار) .

والاختيار الذي فسره صاحب الشريعة صلى الله عليه وآله ،

ومعناه : أنه إن شاء فعل ، وإن شاء ترك ، لأن هذا هو المعنى الذي يفهمه سائر المكلفين ، وحيث أمره الله عزّ وجلّ بالتبليغ أوحى إليه : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾(١) ، وقومه صلى الله عليه وآله لم يفهموا من معنى الاختيار إلّا هذا ، فإن كان معناه غير هذا فما بلّغ رسالة ربه وإنّا والمؤمنون نشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، وأنّ محمداً صلى الله عليه وآله عبده ورسوله وأنه قد بلّغ عن الله جميع ما أمره كما أمره فصدق الله وصدق رسوله ، وبلّغ المرسلون ما أمروا به ، وأنّ آله الذين هم خلفاؤه أدوا ما أدّى إليهم كما أمرهم وحفظوا ما استحفظهم ، اللهم صلّ على محمد وأهل بيته الطيبين ، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين .

والمصنف لأجل التطبيق على القول بأحد الوجهين ؛ أي : ألرضا ، أو العناية فسّر الاختيار بما يلزم منه الاضطرار ، فإن تفسيره إنما يخفى على من لم يسلك طريق أهل العصمة عليهم السلام .

وأما من اقتصر على سلوك طريقهم صلى الله عليهم ، فلا يكاد يخفى عليه شيء من الحق فقال : فاعل بالاختيار بمعنى إن شاء فعل ، وإن لم يشأ لم يفعل لا بالإيجاب .

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ٤ .

وأنا أقول : هذا التفسير عين الإيجاب ، وذلك ، لأن المشيئة عنده هي الذات فيكون معنى إن شاء فعل أنّ الذات فعلت .

بيان معنى أنّ الله إذا أراد فعل وإذا لم يرد لم يفعل

وقوله : (وإن لم يشأ لم يفعل) ، معناه الذات ما فعلت ويكون المعنى أنه ليس كلّ ممكن في العقل خلقه ، نعم لو قال كما نقول بأن المشيئة هي الفعل صح له نصف كلامه ، وهو إن شاء فعل ، لأن هذا مما لا ريب فيه .

وأما المغالطة في التعبير فشيء لا يحتاج إلى بيانه هنا لأن المعنى ظاهر أنه إذا أراد أن يفعل فعل .

وأما النصف الآخر فإنه ، وإن قال . بحدوث المشيئة ، لم يكن لقوله ، وإن لم يشأ لم يفعل معنًى غير أنه إذا لم يفعل لم يفعل ، وإن فرضها مغايرة للفعل صح له ظاهراً الثاني ولكن ليس هذا معنى الاختيار الكامل ، لأن المختار الكامل يفعل بإرادته ويترك بإرادته لا أنه إذا لم يرد لم يفعل ، لأن هذا معلوم ضرورة .

ولو تنزّلنا قلنا : إن قال بحدوث المشيئة والإرادة صحّ أنّ قوله ينفي الإيجاب ولكن الإشكال توجه عليه من جهة قوله : بأن المشيئة هي الذات تعالى فإن المعنى يكون الذات فَعل ، والذات لم يفعل فإن هذا لا ينافي الإيجاب ، فإن القائلين بالإيجاب لا

يقولون بأن كلّ ما يمكن كوّنه تكويناً متصلاً بالأزل ، لأنهم لا ينكرون تجدد ما تحت فلك القمر آناً فآناً .

بيان أن الله علّة تامة

وإن قالوا : بأنه تعالى علة تامة ، والعلة لا يتخلف عنها معلولها ، كما نقل عن ثاليس الحكيم الملطي ، لأنهم يريدون أنه تعالى علة تامة في الفاعلية ، وجملة العالم من حيث المجموع وجد بلا فصل ، ولكنهم لا ينكرون الشؤون المتجددة بأنها لم تكن قبل هذا التجدد المحسوس ، ولا ينكرون إمكان إيجاد شخص يمشي في أصفهان فمن أنكره بناء على ما يذهبون إليه من أنه ليس له تعالى إلّا وجه واحد في الأشياء فلا يعلم شخصاً كذلك وإلّا لوجب إيجاده فإنا به مؤمنون .

وبالجملة الفاعل المختار الذي يفعل بإرادته ويترك الفعل بإرادته ، لا أنه هو الذي إذا لم يرد لم يفعل ، لأن هذا معلوم عندنا وليس من معنى الاختيار ، وإنما هو من المضحكات .

بيان الطرق إلى الله تعالى

وقوله : (﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾)(١) ،

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٤٨.

يريد به هو وأهل ملّته من كبار الصوفية ، ما أشرنا إليه في شرح المشاعر ، من زعمهم أن الله تعالى ربي سلك بكلّ من طلب معرفته طريقاً ، والطرق وإن كات متباينة مختلفة ، وربما استشهد بعضهم على أن جميع هذه المتناقضة تؤدي إلى الله تعالى بالسفن الجارية ، بريح واحدة سفينة تغرّب وسفينة تشرّق وسفينة تسير جنوباً وأخرى شمالاً والريح واحدة ، فالاختلاف في معارفهم من الله سبحانه .

وأقول : أما الصوفية فهذا ينطبق على مذهبهم ، من أن الهادي والمضل ، وفاعل الخير ، وفاعل الشرّ هو الله سبحانه ، وحده لا شريك له وليس لشيء من خلقه من المكلفين وغيرهم فعل ، وإنما الأفعال أفعاله ، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[١] .

وأما مثل المصنف الذي يثبت الاختيار للعبد فكيف يقول بهذا تبعاً لغيره كأنه له أهل ملة .

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٣.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلّى الله على الأمين ، محمد وآله الميامين ، الذين بيّنوا الدين وأوضحوا الحق المبين ، بالأدلة الموصلة إلى اليقين صلّى الله عليه وعليهم أجمعين .

القاعدة الثانية عشرة

في بيان حدوث العالم

قال : (قاعدة مشرقية في حدوث العالم : العالم كلّه حادث زماني إذ كلّ ما فيه مسبوق الوجود بعدم زماني متجدد بمعنى أن لا هوية من الهويات ، ولا شخص من الأشخاص فلكاً ، أو عنصراً بسيطاً كان ، أو مركباً جوهراً كان ، أو عرضاً إلّا وقد سبق عدمه وجوده ، ووجوده عدمه سبقاً زمانياً . وبالجملة ؛ كلّ جسم وجسماني متعلق الوجود بالمادة بوجه من الوجوه فهو متجدد الهوية ، غير ثابت الوجود والشخصية) .

قول المصنف : قاعدة مشرقية في حدوث العالم : العالم كلّه حادث

أقول : قوله : (العالم كلّه حادث زماني) ما يريد به من العالم ظاهر كلامه ، أنه يريد به كلّ ما سوى الله تعالى ، فإنه

صرح في الكتاب الكبير الأسفار أن الزمان لم يسبقه شيء إلّا الباریء عزّ وجل ، وكلامه هنا مشعر بذلك ، وكلامه في ما يأتي يشعر بإنكار المجردات الجزئية ، وأن الكلية ليست من ما سوى الله تعالى ويأتي كلامه والكلام عليه .

وأيضاً هو مصرح بأن الزمان سابق على العالم كلّه ، والبارئ تعالى متقدم عليه ، فإذا كان الزمان ظرفاً ما جاز أن يكون سابقاً لأنه حينئذ ليس بظرف ، لأن الظرف لا يكون بدون المظروف ، وهو مدة ، والمدة لأي شيء هي ، أهي لنفسها أم لا شيء لا جائز منهما شيء ، والشيء الموجود لا يوجد إلّا بوجود وماهية .

بيان معنى الوجود

ومرادنا من الوجود المادة ، وهي في كلّ شيء بحسبه ، ومن الماهية الصورة تتركب من حدود هندسية ، يتشخص بها الموجود وتتمايز باختلافها الموجودات ، وهي الكم ، وهو هنا مقدار حصة المادة للموجود والكيف من بياض ، أو سواد ، أو غيرهما ، والرتبة وهي مقام الموجود بالنسبة إلى مبدئه في القرب ، أو البعد ، والجهة من كونه أمام شيء ، أو خلفه ، أو يميناً ، أو شمالاً ، أو أعلى ، أو أسفل .

والمكان الذي يحل فيه والوقت الذي يوجد فيه والوضع في ترتيب بعض أجزائه بالنسبة إلى البعض الآخر ، أو إلى الأمور

الخارجة ، وهذا الأخير هو السادس من الحدود الصورية إن جعلنا الكم نوعياً في الحصة المادية ، وإلّا فهو أعني الوضع من اللواحق للستة لأنها هي الأيام التي يوجد فيها المحدث كالإنسان مثلاً ، أُحدث وخُلق في ستة أيام يوم النطفة ويوم العلقة ويوم المضغة ويوم العظام ويوم يكسى لحماً ويوم ينشأ خلقاً آخر يعني تنفخ فيه الروح .

وكالستة الأيام للسماوات والأرض يوم العقل ويوم النفس ويوم الطبيعة ويوم جوهر الهباء ويوم المثال ويوم الجسم ، أو المادة والصورة والفصول الأربعة .

عدم زمانية النفوس

وقد ثبت بالدليل النقلي والوجداني أن النفوس ليست زمانية إذ لو كانت زمانية لما نظرت ما مضى من الزمان وما يأتي منه في الزمان الحاضر فتجمع ما بين أمس واليوم وغد ، ولا يمكن للأجسام العنصرية ذلك فدل بأنها ليست بزمانية .

نعم نحن لا نقول بما يذهبون إليه من أن المراد بالتجرد عدم المادة والصورة أصلاً ، إذ هذا التجرد مختص بالحق عزّ وجلّ لأنه محض التحقق والثبوت الذاتي الذي لا يتناهى بذاته في التحقق والثبوت الذاتيَين .

وإنما نقول : إنها مجردة عن المادة العنصرية والمدة

الزمانية ، نعم هي أجسام غير عنصرية والأجسام التي وضع له هذا اللفظ تصدق على أربعة أجسام :

أقسام الأجسام غير العنصرية

١ ـ **جسم عنصري** ، وهو المعروف .

٢ ـ **وجسم فلكي** ، وهو أجسام الأفلاك التسعة وما فيها من أجرام الكواكب السيارة وغيرها .

٣ ـ **وجسم برزخي** ، وهو جسم مقداري له طول وعرض وعمق بلا مادة هو الجسم المثالي الظلّي الشبحي ، وهو الذي يسمونه التعليمي ، وهو الذي يسمون عالمه العلوي بـ (**هورقليا**)(١) ، يعني ملكاً آخر وعالمه السفلي بجابلقا وجابرسا الشرقية والغربية(٢) .

---

(١) قال في الجزء الثاني من شرح العرشية : وقوله : (بل وجودها) ، يعني القوة الخيالية (في عالم آخر) ، وهو عالم البرزخ بين المجردات والأجسام المادية (يحذو حذو هذا العالم) ، يعني على هيئة تركيبه من الأبعاد والألوان والروائح والأصوات وسائر الكيفيات (في كونه مشتملاً على أفلاك) ، وتسمى تلك الأفلاك هورقليا يعني ملكاً آخر أي : عالم ملك غير عالم ملك الماديات العنصرية) انتهى .

وقيل : عالم هورقليا هو عالم الأفلاك المثالي أو سماواته ، وقيل : هو ما يقابل عالم المثال ، انظر المبدأ والمعاد للشيرازي : ٥٢٢ .

(٢) قال أمير المؤمنين في حديث طويل فيه تعداد خلق الله تعالى : (. . . ثم =

٤ ـ وجسم مجرد عنها مفارق بذاته مقارن بفعله ، وهو النفس ، وهي على مراتب الأجسام ، والملائكة النفسانية كذلك وهي مرتبة أطراف الأرض ونهاياتها حتى أنه يصدق أن يقال : إن النفس وما فيها من الصور العلمية أعلى الأجسام الأرضية لقوله

= أراد الله أن يفرقهم فرقتين فجعل فرقة عند مطلع الشمس من وراء البحر وكوّن لهم مدينة أنشأها تسمى جابرسا طولها اثنا عشر ألف فرسخ في اثني عشر ألف فرسخ وكوّن عليها سوراً من حديد يقطع الأرض إلى السماء ثم أسكنهم فيها . وأسكن الفرقة الأخرى خلف مغرب الشمس من وراء البحر وكوّن لهم مدينة أنشأها تسمى جابلقا طولها اثنا عشر ألف فرسخ في اثني عشر ألف فرسخ ، وكوّن لهم سوراً من حديد يقطع الأرض إلى السماء . وأسكن الفرقة الأخرى فيها لا يعلم أهل جابرسا بموضع أهل جابلقا ، ولا يعلم أهل جابلقا بموضع أهل جابرسا ، ولا يعلم بهم أوساط الأرضين من الجن والنسناس . فكانت الشمس تطلع على أهل أوساط الأرضين من الجن والنسناس فينتفعون بحرّها ويستضيئون بنورها ، ثم تغرب في عين حمئة فلا يعلم بها أهل جابلقا إذا غربت ، ولا يعلم بها أهل جابرسا إذا طلعت لأنها تطلع من دون جابرسا وتغرب من دون جابلقا) . فقيل : يا أمير المؤمنين فكيف يبصرون ويحيون وكيف يأكلون ويشربون وليس تطلع الشمس عليهم ؟ . فقال عليه السلام : (إنهم يستضيئون بنور الله فهم في أشد ضوء من نور الشمس ، ولا يرون أنّ الله خلق شمساً ، ولا قمراً ولا نجوماً ، ولا كواكب ، ولا يعرفون شيئاً غيره) . فقيل : يا أمير المؤمنين فأين إبليس عنهم ؟ قال : (لا يعرفون إبليس ، ولا سمعوا بذكره لا يعرفون إلّا الله وحده لا شريك له لم يكتسب أحد منهم قط خطيئة ولم يقترف إثماً لا يسقمون ، ولا يهرمون ، ولا يموتون إلى يوم القيامة يعبدون الله لا يفترون الليل والنهار عندهم سواء) بحار الأنوار : ٥٤ / ٣٢٢، وقصص الأنبياء : ٣٩.

تعالى : ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ﴾(١) قال عليه السلام : (**يعني بموت العلماء**)(٢) .

والمراد أن الصور العلمية ومحالها وهي نفوس العلماء أطراف الأرض ، والطرف النهاية ، وإلى هذه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ ﴾(٣) ، أي : نفس الإمام عليه السلام ، وما أنبت فيها من العلوم ، وقال تعالى : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾ ، أي إلى علمه من أين يأخذه ، ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴾ ، أي : العلم ﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴾ ، يعني قلب الإمام عليه السلام كما روي عنهم عليهم السلام : ﴿ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴾ ، أي : الحب والعلم به ، ﴿ وَعِنَبًا ﴾ ، سكر المعرفة ﴿ وَقَضْبًا ﴾ ، ما ظهر من الاعتقادات ، والعوام الذين هم أنعام العلماء ، ﴿ وَزَيْتُونًا ﴾ ، وهو الكرم الشرعي ، ﴿ وَنَخْلًا ﴾(٤) ، وهو الإيمان الآية ، فالنفس أرض ، والعقل سماء ، والسماء رفعها صلى الله عليه وآله .

فالجسمان الأولان في الزمان ، والثالث أسفله في الزمان ، وأعلاه في الدهر ، لأن الزمان لا يتجاوز الأجسام العنصرية

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٤٤ .

(٢) بحار الأنوار : ٩ / ١٢٦ ، والتبيان : ٧ / ٢٥٢ ، وتفسير مجمع البيان : ٧ / ٨٩ .

(٣) سورة الرحمن ، الآيتان : ١٠ ـ ١١ .

(٤) سورة عبس ، الآيات : ٢٤ ـ ٢٩ .

والفلكية ، فأول الزمان مساوق لمحدّب محدد الجهات ولمكانه ، فالثلاثة متساوقة في الوجود أعني الظهور ، والكون في الأعيان .

والأول والثالث نطلق عليهما الجسد في اصطلاحنا ، كما ذكرناه في أجوبة مسائل الشاه .

والرابع في وسط الدهر ، كما أن السماوات السبع في وسط الزمان .

التفاضل بين الطبيعة والجوهر

وقول المصنف : (إذ كلّ ما فيه مسبوق الوجود بعدم زماني) ، مصادرة على مراده من دخول النفوس في الزمان بذواتها ، مع أنه لا ينكر كونها مفارقة بذواتها ، وإن قارنت بأفعالها ، بل هي أعلى رتبة من الطبيعة ، وهي خارجة عن الزمان ، أعني طبيعة الكل وما تناسل منها .

وإن اقترنت بأفعالها ، كالنفس والطبيعة أعلى رتبة من جوهر الهباء ، وهو خارج عن الزمان بذاته ، وهو الحصص النوعية قبل تعلق الفصول بها من عالم البرزخ الذي هو عالم المثال ، فإنها آخر المجردات ، فإذا تعلقت بها الفصول خرجت الأنواع المادية لتنزلها من عالم الغيب إلى عالم الشهادة ، وقد قال عزّ وجلّ : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾[1] .

---

(١) سورة الحجر ، الآية : ٢١.

رأي علماء الطبيعة في تولد العناصر الأربعة

وعلى قول علماء العلم الطبيعي : (إن أول ما خلق الله طبيعة الحرارة وأصلها من الحركة الكونية التي هي قدرة الله تعالى وعلة العلل في الأشياء المتحركات ، ثم خلق الله تعالى طبيعة البرودة وأصلها من السكون الكوني الذي هو قدرة الله تعالى وعلة العلل في الأشياء الساكنات ، فهذا أول زوجين خلقهما الله تعالى مما قال الله تعالى : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(١) ، ثم تحرك الحار على البارد بسر ما أودع الله فيه من الحركة المذكورة فامتزجا فتولد من الحرارة اليبوسة ، وتولد من البرودة الرطوبة ، فكانت طبائع أربع مفردات في جسم واحد روحاني ، وهو أول مزاج بسيط ثم صعدت الحرارة بالرطوبة ، فخلق الله منها الحياة والأفلاك العلويات ، وهبطت البرودة مع اليبوسة إلى أسفل ، فخلق الله منها طبيعة الموت والأفلاك السفليات ، ثم افتقرت الأجسام الموات إلى أرواحها التي صعدت عنها ، فأدار الله سبحان وتعالى الفلك الأعلى على الأسفل دورة ثانية فامتزجت الحرارة بالبرودة والرطوبة باليبوسة فتولدت العناصر الأربعة ، وذلك أنه حصل من مزاج الحرارة مع اليبوسة عنصر النار وحصل من مزاج الحرارة مع الرطوبة ، عنصر الهواء ، وحصل من مزاج

---

(١) سورة الذاريات ، الآية : ٤٩ .

البرودة مع الرطوبة عنصر الماء ، وحصل من مزاج البرودة واليبوسة عنصر الأرض فهذا مزاج العناصر ، وهو مركب لازدواج الطبائع مرتين ، فخلق الله منه العوالم العلوية إلى آخر كلام الحكيم محمد بن إبراهيم الصنبري(١) في كتاب الرحمة في الطب) .

فصرّح أن الأربع قبل ازدواج بعضها ببعض ، كانت في جسم واحد روحاني ، وذلك لأن البسائط قبل تركيبها أجسام جوهرية مجردة فوق الزمان ، كما ذكروا في جوهر الهباء ، وكذلك الحيوان الذي هو الجنس ، فإنه قبل تعلق حصص الفصول بحصصه من عالم الغيب ، وهو جوهر مجرد عن العناصر والزمان ، فإذا تركبت الحصص بفصولها نزلت إلى عالم الماديات بتركّبها ، لأن الحيوان قبل تعلق حصص الفصول بحصصه مؤلف من طبيعتن جوهريتين روحانيتين : الحرارة والرطوبة كما أشار إليه الصنبري في الكلام السابق .

---

(١) هو مهدي المهجمي كما جاء اسمه في بعض كتب التراجم ، وهو مهدي بن علي بن إبراهيم الصنبري ، اليمني ، المهجمي ، المقري ، فاضل ، وفي الأعلام للزركلي ضبط الاسم بالصبنري . وفي مجلة معهد : المخطوطات : الصبيري .
توفي كهلاً ببلده المهجم باليمن سنة ٨١٥ هـ (١٤١٢ م) .
من آثاره : الرحمة في الطب والحكمة .
انظر معجم المؤلفين لعمر كحالة : ١٣ / ٢٧، وكشف الظنون لحاجي خليفة : ٨٣٦.

وبالجملة : فالزمان ظرف للأجسام المركبة من الطبائع العلوية ، منها البسائط المؤلفة من طبيعتين ، والسفلية المركبة من أربع طبائع .

وأما ما كان عالياً عن التركيب والتأليف ، فهو قبل الزمان ، لما أشرنا إليه من دليل الحكمة القاطع ، من أن النفس لو كانت في الزمان لكانت مقارنةً بذاتها ولما خرجت عنه حين جمعت بين ماضي الزمان وحاله ومستقبله ، لأن الزمان غير قار الذات ، فلا تجتمع أجزاؤه فيه ، وإنما تجتمع في روحه ، ونفسه الذي هو الدهر ، لأن الزمان نقطة في الدهر ، فإن النفس التي هي في الدهر في الجسد ، الذي هو في الزمان كالدهر في الزمان لأنه نفس الزمان وروحه فافهم .

ولقد أشار ابن سيناء(١) في أبياته التي نظمها في الروح إلى ما قلنا في قوله :

---

(١) هو الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا البلخي ، ثم البخاري ، ويلقب بالشيخ الرئيس (أبو علي) فيلسوف ، طبيب ، شاعر ، مشارك في أنواع من العلوم .
ولد بخرميشن من قرى بخارى في صفر (٣٧٠ هـ ـ ٩٨٠ م) ، وتوفي بهمذان في رمضان سنة (٤٢٨ هـ ـ ١٠٣٧ م) .
وفي الكامل لابن الأثير : مات بأصبهان في شعبان .
من تصانيفه الكثيرة : القانون في الطب ، تقاسيم الحكمة ، لسان العرب في اللغة ، الموجز الكبير في المنطق ، وديوان شعر . =

فَكأنَهَا بَرقٌ تَألّقَ بِالحِمَى ثُمَ انطَوَى فَكأَنّهُ لَم يَلمَعِ(١)

يشير إلى قصر مدة تعلقها بالجسد ، فإنها كالبرق لمعت من عالمها من الدهر على الجسد ، ثم انطوت ورجعت إلى عالمها فكأنها لقصر مدة تعلقها لم تلمع فليس وجوها(٢) بزماني كما توهمه المصنف ، بل هي فوق الزمان وفوقها العقل وفوق العقل الماء الذي جعل الله منه كلّ شيء حي ، حتى العقل الذي أخرجه المصنف مما سوى الله عزّ وجلّ لأنه إن كان عنده هو الله تعالى والنصوص المتفق عليها بأن الله أول ما خلق العقل يطرحها فهذا شيء آخر .

وإن كان عنده أنه غير الله تعالى ، وصدق بالأحاديث المتفق عليها ، فهو شيء خلقه الله من الماء والماء قبله ، وهو الوجود ، وهو أول فائض من فعل الله تعالى وهو الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله ، وكل هذه قبل الزمان .

= انظر معجم المؤلفين لعمر كحالة : ٤ / ١٩، الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٩ / ١٥٧ .

(١) أعيان الشيعة : ٦ / ٧٩، الكنى والألقاب : ١ / ٣٢٢ والوافي بالوفيات : ٢ / ٢٣٧ .

(٢) في نسخة : وجودها .

بيان أول ما خلق الله تعالى

ومعنى أول ما خلق العقل[١] ؛ أنه ما خلق من الوجود المقيد ، لأن ما يطلق عليه اسم الوجود ثلاثة : الوجود الحق ؛ هو الله سبحانه . والوجود المطلق ، وهو فعله ، وهو ذات متحققة تذوّتت بهيئة تذوتها جميع الذوات ، لأن جميع الذوات ، أعراض وآثار لها ، خلقه الله بنفسه أي نفس الفعل وأقامه به .

والوجود المقيد هو سائر المفعولات أولها العقل .

وأما نور الأنوار ؛ أعني الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله ، ففي إلحاقها بالمطلق لأنها سابقة على العقل والعقل أول ما خلق الله فيكون العقل بمنزلة الباء من بسملة الفاتحة من القرآن لأنه الكتاب التدويني ، وهو طبق الكتاب التكويني الذي أوله العقل .

ويكون نور الأنوار صلى الله عليه وآله بمنزلة المداد الذي كتب منه القرآن ، فإنه كان مصنوعاً قبل الكتابة ، أو إلحاقها

---

(١) في الكافي بإسناده عن الصادق عليه السلام قال : **(إنّ الله خلق العقل وهو أوّل خلق (خلقه) من الروحانيين ، عن يمين العرش من نوره ، فقال له : أدبر فأدبر ، ثمّ قال له : أقبل فأقبل ، فقال الله تعالى : خلقتك (خلقاً) عظيماً وكرّمتك على جميع خلقي) . ثم قال : (خلق الجهل من البحر الأجاج ظلمانيّاً ، فقال له : أدبر فأدبر ، ثمّ قال له : أقبل ، فلم يقبل ، فقال له : استكبرت ، فلعنه)** محاسن البرقي : ١ / ١٩٦ ، أصول الكافي : ١ / ٢١ ح ١٤ ، وعوالم العلوم والمعارف للبحراني : ٤٩ ـ ٥٠ قسم العقل .

بالمقيد ؛ لأنها من المفعولات لا من الفعل ويكون أولية العقل إضافية وجهان .

وقد ذكر الشيخ علاء الدولة السمناني(١) ، في حواشيه المعلقة بالفتوحات على قول ابن عربي : (ليس في نفس الأمر إلّا وجود الحق)(٢) ، فكتب عليه : بلى ، ولكن ظهر من فيض جوده بجوده مظاهره ، فللفيض وجود مطلق ، وللمظاهر وجود مقيد وللمفيض وجود حق(٣) .

وقال ابن عربي في موضع آخر منه : (إذ الحق هو الوجود ليس إلّا)(٤) ، فكتب المحشّى عليه ، بلى هو الوجود الحق ولفعله وجود مطلق ولأثره وجود مقيد(٥) .

---

(١) هو أحمد بن محمد بن أحمد السمناني (علاء الدين ركن الدين ، أبو المكارم) عالم مشارك سكن تبريز وبغداد .
له مصنفات كثيرة في التفسير والتصوف وغيرهما حتى قيل : إنها تزيد على ثلاث مئة ، منها : آداب الخلوة ، فوائد العقائد ، المدارج والمعارج ، المكاشفات ، ونجم القراء في تأويلات القرآن .
ولد في سنة ٦٥٩ هـ - ١٢٦١ م) وتوفي في سنة (٧٣٦ هـ - ١٣٣٦ م) .
انظر كشف الظنون لحاجي خليفة : ٧ / ٤٢ ، والدرر الكامنة لابن حجر : ١ .٢٥٠

(٢) انظر الفتوحات المكية : ٢ / ٤٨٤.

(٣) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية للشيرازي : ٧ / ٣٣٧.

(٤) الفتوحات المكية : ٢ / ٥٠٥.

(٥) الحكمة المتعالية للشيرازي : ٧ / ٣٣٧.

أقول : ولقد أصاب الشيخ علاء الدولة الحق ، في تقسيم ما يطلق عليه الوجود ، إلّا أنه عند قول ابن عربي بعد تحقيق الوجود المستفاد ، وعدمية الماهيات الممكنة : ولقد نبهتك على أمر عظيم ، إن تنبهت له وعقلته ، فهو عين كلّ شيء في الظهور ، ما هو عين الأشياء في ذواتها سبحانه وتعالى بل هو هو ، والأشياء أشياء كتب في حاشيته على كلام ابن عربي هذا بل أصبتَ فكن ثابتاً على هذا القول .

وأقول : إن هذا الشيخ انخدع بعبارة ابن عربي ، لأن ابن عربي يريد بأنه تعالى عينها في الظهور ، أنه تعالى هو وجودها .

وأما الأشياء من حيث هي هي فهي ماهيات معدومة ، وليس مراده ما توهمه هذا الشيخ المحشّى ، ولو عرف مراده لما قال له : بل أصبتَ فكن ثابتاً على هذا القول .

والحاصل أن الفعل أعني الوجود المطلق ، وما صدر عنه من نور الأنوار صلى الله عليه وآلهوالعقل الكلي ، وما تناسل منه والروح الكلي ، وما تناسل منه والنفس والطبيعة الكليتان ، وما تناسل منهما وجوهر الهباء والطبائع الأربع ، كما في العلم الطبيعي كما مرّ قبل تزاوجها كلها قبل الزمان .

والمصنف صرّح أنه ليس قبل الزمان إلّا البارئ عزّ وجلّ ، وأما المجردات كالعقل والروح الكليين ، وعالم الأمر فهذه أشياء ليست مما سوى الله تعالى عن ذلك ، فجوّز سبقها على الزمان

لكونها عنده غير مكونة ، والزمان ليس من الوجود المطلق ، بل هو من المقيد وصاحب الشريعة صلى الله عليه وآله أخبر أن العقل أول مخلوق فهو قبل الزمان .

بطلان كون النفوس مسبوقة بعدم زماني

فقوله : (إذ كلّ ما فيه مسبوق بعدم زماني) ، لا إشكال فيه ، وإنما الإشكال في مثل النفوس ، فإن كونها فيه ليس بصحيح .

وقوله : (مسبوق بعدم) ، ليس بصحيح على مذهبه ، لأن العدم عنده ليس بشيء وما ليس بشيء لا يكون سابقاً .

رأي الشيخ الأوحد في العدم الزماني

نعم على مذهبنا من أن العدم شيء مخلوق يصح ، لأن المراد به عدم الكون ، وهو موجود بالوجود الإمكاني بل الكوني .

ويؤيده ما رواه في البحار بسنده إلى علي بن يونس بن بهمن ، أنه قال للرضا عليه السلام : جعلت فداءك إن أصحابنا اختلفوا .

فقال : (**في أي شيء اختلفوا ؟**) .

فتداخلني من ذلك شيء ، فلم يحضرني إلّا ما قلت : جعلت فداءك من ذلك ما اختلف فيه زرارة وهشام بن الحكم[1] فقال

(١) هو أبو محمد مولى كندة ، سكن البصرة ، وكان مشهوراً بالكلام ، كلم =

زرارة : النفي ليس بشيء وليس بمخلوق . وقال هشام : شيء مخلوق .

فقال لي : (**قل في هذا بقول هشام ، ولا تقل بقول زرارة**)[١] انتهى .

إلّا إذا أوَّلَ المصنف قوله على معنى أن كلّ شيء ليس موجوداً في رتبة ما فوقه ، ويصح قوله إلّا في أعلى الأشياء الزمانية فإنه على قوله : (مسبوق بعدم أزلي) ، سواء فرض الأعلى شيئاً مساوقاً للزمان أم أول جزء من الزمان .

وإن فرض الزمان المقدر فهو مخلوق ، وإلّا فلا شيء .

وقوله : (إلّا وقد سبق عدمه وجوده ووجوده عدمه) ، أما الفقرة الأولى وهي سبق عدمه وجوده ، مراده منها ظاهر من كلامه .

= الناس ، وحكي عنه مجالس كثيرة ، ذكر بعض أصحابنا رحمهم الله أنه رأى له كتاباً في الإمامة .
ومولده الكوفة ، ومنشؤه واسط ، وتجارته بغداد . ثم انتقل إليها في آخر عمره ونزل قصر وضاح . وروى هشام عن أبي عبد الله وأبي الحسن موسى عليهما السلام ، وكان ثقة في الروايات ، حسن التحقيق بهذا الأمر .
انظر رجال النجاشي : ٤٣٤ رقم ١١٦٤ .

(١) بحار الأنوار : ٤ / ٣٢٢ح ٤ باب ٦ ، ومسند الإمام الرضا عليه السلام : ٢ / ٤٥٢ ح ٥٧ .

وأما الثانية فمراده أن وجوده وجود الله تعالى ، ولكنه حين انحط في رتبة ارتباطه بالماهية نسب إليه الكون الزماني ، فبلحاظ المقترن سبق عدمه ، أي : عدم اقترانه وجوده ، أي وجوده مقترناً مربوطاً بالماهية التي ما شمّت رائحة الوجود لذاتها ، وبلحاظ ذاته وتقدسها سبق عدم اقترانه ، حين تنزل إلى الزمان قبل الاقتران .

وكل هذه الأمور التي يخبطون فيها خبط عشواء ، يكشف عنها قول أمير المؤمنين عليه السلام : (**ذهب الناس إلى عيون كدرة ، يفرغ بعضها في بعض ، وذهب من ذهب إلينا ، إلى عيون صافية تجري بأمر الله لا نفاد لها**)[1] انتهى .

---

(1) بصائر الدرجات : ٥١٧ ح ٨، والكافي : ١ / ١٨٤ ح ٩، وبحار الأنوار : ٢٤ / ٢٤٩ ح ٤.

ونصّه كما في الكافي : . . . عن مقرن قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : جاء ابن الكواء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين (وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم) ؟ فقال : (**نحن على الأعراف ، نعرف أنصارنا بسيماهم ، ونحن الأعراف الذي لا يعرف الله عزّ وجلّ إلّا بسبيل معرفتنا ، ونحن الأعراف يعرفنا الله عزّ وجلّ يوم القيامة على الصراط ، فلا يدخل الجنة إلّا من عرفنا وعرفناه ، ولا يدخل النار إلّا من أنكرنا وأنكرناه . إن الله تبارك وتعالى لو شاء لعرّف العباد نفسه ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله والوجه الذي يؤتى منه ، فمن عدل عن ولايتنا أو فضّل علينا غيرنا ، فإنهم عن الصراط لناكبون ، فلا سواء من اعتصم الناس به ، ولا سواء حيث ذهب الناس إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض ، وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر ربها ، لا نفاد لها ولا انقطاع**) .

في أن المجردات لا مادة لها عنصرية

وقوله : (وبالجملة ؛ كلّ جسم ، أو جسماني متعلق الوجود بالمادة . . . إلى آخره) ، فيه إشارة إلى أن المجردات لا مادة لها ، كالعقل والروح من أمر الله الكليين ، وإلى كلّ مادي ، أو كان وجوده متعلقاً بالمادة بوجه من الوجوه متجدد الهوية غير ثابت الوجود والشخصية ، فهو أبداً في النمو والذّبول ، سواء كان جسماً أم جسمانياً في كلّ شيء بحسبه يشير به إلى أن المجردات المذكوروة ثابتة الوجود غير متجددة الهوية ، وهذا أعني أن المجردات لا مادة لها شيء نقلوه عن أوائل الحكماء ولم يعرفوا مرادهم لأنهم أرادوا ألا مادة لها عنصرية ، ولا مدة لها زمانية ولها مادة جوهرية ، ومُدَد دهرّية ، وأن لها خلقاً ورزقاً وموتاً وحياة ، وأن لها تجدداً ونقصاً بنمو وذبول معنوية من نوعها .

وكيف يريدون أنها ثابتة لا تجدد لها ، ولا تبدّل ، ولا تغير يعتريها ، وهم يشركونها مع الأجسام العنصرية فيقولون : كلّ ممكن زوج تركيبي ويحكمون بأنها مخلوقة مفتقرة لذاتها إلى المدد من فيض جود خالقها في تكوّنها ، وفي بقائها ، وأن كلّ ما فاض عن أمر الله الفعلي الذي يعبر عنه بـ (كن) ، فإنه قائم به قيام صدور كقيام الكلام بحركة المتكلم من حلقه ولهاته ولسانه وأسنانه وشفاته ، من قلع ، أو قرع ، أو ضغط .

والمحتاج في بقائه إلى المدد لا يكون إلّا متجدد الهوية ، غير ثابت الوجود والشخصية ، بل هي أشد وأسرع استدارة على علتها الممدة لها من الأجسام المادية بما لا يكاد ينضبط ، لكن لمّا كانت عظيمة واسعة عامة كانت لِعظَمِها كالساكنة على نحو ما قال تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾[1] .

نعم على رأي المصنف أنها ليست من الخلق ، ولا مما سوى الله تعالى ، بل هي موجودة بوجوده ، لكونها لوازم ذاته ليست متجددة ، وليس فيها ما بالقوة ، بل كلّ ما لها بالفعل لأنها قديمة أزلية .

في حاجة كل المجردات الى المدد الإلهي

وأما عند أهل الحق محمد وآله صلى الله عليه وآله فهي كغيرها من الخلق في الحاجة والافتقار والتلقّي والتجدّد .

وكذلك عند الأنبياء عليهم السلام وعند من أخذ عنهم من الحكماء .

---

(1) سورة النمل ، الآية : 88.

قول المصنف : ببرهان لاح لنا من عند الله لأجل التدبر

قال : (ببرهان لاح لنا من عند الله لأجل التدبر في بعض آيات كتابه العزيز مثل قوله تعالى : ﴿ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[(١)] ، وقوله : ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[(٢)] وقوله : ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾[(٣)] ، وغير ذلك من الآيات المشيرة إلى تجدد هذا العالم ودثوره والدلالة على زوال الدنيا وانقطاعها ، كقوله : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾[(٤)] وقوله : ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾[(٥)] وقوله : ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[(٦)] وقوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾[(٧)] وهذا البرهان مأخوذ من إثبات تجدد الطبيعة التي هي صورة جوهرية سارية في الجسم وهي مبدأ لحركته وسكونه ، وما من جسم إلّا وفيه هذا الجوهري الصوري الساري في جميع

(١) سورة ق ، الآية : ١٥.
(٢) سورة الواقعة ، الآيتان : ٦٠ ـ ٦١.
(٣) سورة النمل ، الآية : ٨٨.
(٤) سورة الرحمن ، الآيتان : ٢٦ ـ ٢٧.
(٥) سورة الزمر ، الآية : ٦٧.
(٦) سورة إبراهيم ، الآية : ١٩.
(٧) سورة مريم ، الآية : ٤٠.

أجزائه ، وهو مبدء قريب لميله ، سواء كان ذا ميل بالفعل ، أو بالقوة مستدير ، أو مستقيم والمستقيم إلى المركز ، أو من المركز ، وهو أبداً في التحول والتبدل والسيلان بحسب جوهر ذاته) .

أقول : ما ذكره من كون هذا من (برهان لاح لنا إلى آخره) ، فهو صحيح بأن الآيات باعتبار تأويلها دلّ على تغيير الأشياء في كلّ آن وتبديلها بمعنى صوغ ما انكسر منها ، لا بمعنى الإتيان بغيرها ، المشابه لها ، أو ببدل منها ، فإن قوله : ﴿ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[1] ظاهر في أن المراد بالتبديل إنما هو بالكسر بما يغير والصوغ له وإلّا لما قال : ﴿ بَلْ هُمْ ﴾ إذ لو كان اللبس لغيرهم من أمثالهم من الخلق الجديد لم يقل : ﴿ بَلْ هُمْ ﴾ ولم يقل : ﴿ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ ﴾[2] .

بيان خلق وتغيير الأشياء في كلّ آن وتبديلها

وإنما المراد بالتبديل الكسر والصوغ ، كما إذا كسرت الخاتم وصغته ، فقد بدلته فهو هو ، وهو بدله وغيره ، وإلّا لكان الخلق الجديد لم يفعل حسنات الخلق الأول ، ولا سيئاتهم .

---

(١) سورة ق ، الآية : ١٥ .

(٢) سورة الواقعة ، الآية : ٦١ .

ثم مَن يحشر يوم القيامة هل هو الخلق الأول العامل ، أم الخلق الثاني ، فإن كان الأول كان الجديد عبثاً .

وإن كان الثاني سقط الوعد والوعيد ، والثواب والعقاب ، والإنشاء هو الصوغ في الأطوار الكونية ، بما لهم مما لهم ، ومما تحلل منهم مما خرج عن التركيب إلى رتبة البخار ، أو الهباء ، أو إلى البرزخ من (**هورقليا**) ، أو إلى الدهر ، أو إلى الإمكان فيُعاد ويُصاغ به في كلّ طور ، في أي صورة اقتضتها قابليته من الاعتقادات والأقوال والأعمال والأحوال ، في رجوعه إلى الله تعالى ؛ أي : إلى حكمه على مقتضى مبدئه ومنتهاه .

وأما كون الجبال تمر مرّ السحاب ؛ فلعظمتها تسير سير السحاب ، ومع هذا يراها الناظر إليها لكبرها ، كالساكنة والجبال وسائر الجمادات ، والمعادن والنباتات ، كالحيوانات والشهادة كالغيب ، فجميع العالم عندنا المجرد والمادي العنصري كلّه متجدد ومتبدل على نحو ما ذكرنا ، إلّا أن الجسم والجسماني أكثر إعراضاً وأشد تغيراً فلذا نسبوه إلى الدثور .

والمراد بهذا الدثور على ما أشرنا إليه لا ما يتوهم من الفناء والعدم ، فإن ما دخل في ملك الله سبحانه لا يخرج عنه ، ولأن الأجسام والجسمانيات لما نزلت إلى الدنيا دار التكليف ، لحقتها الأعراض الدنياوية الغريبة لفائدة الابتلاء والاختبار في التكليف ولتتغير الأجسام فيكون سبباً داعياً إلى الانتقال منها فإذا انتقلوا

منها صاعدين إلى ما خلقوا لأجله ألقوا الأعراض الغريبة في مبادئها ، فكانت أظهر دثوراً ، والأفلاك أخفى دثوراً ، فَتُكْشَط ويبدّل والمجردات أشدّ خفاءً فإذا نظرتَ إليها حسبتها ﴿ جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾(١) ، كالجبال ، وهي دليل المجردات ، وفي تفسير ظاهر الظاهر الجبال جمع جبلّة بمعنى الطبيعة على غير قياس الظاهر فافهم .

وقوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ أي متغير ومنتقل لا بمعنى منعدم وذكر مَن على الدنيا لا ينفي من على غيرها .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾(٢) المراد بالوجه ظاهراً علل الأشياء المتغيرة وباطناً مبادئها وأعلاها وأجمعها المقامات وأركانها عليهم السلام ، وهو باق عند المصنف ببقاء الله تعالى لا بإبقائه لأنه عنده قديم ، وهو عنده من لوازم الذات سبحانه ، وعندنا أنه باق بإبقاء الله عزّ وجلّ ، وهو حقيقة محمد وآله وأنوارهم صلى الله عليه وآله ولاشك في كونه مفتقراً إلى إمداد الله سبحانه في تكوّنه ، وفي بقائه ، كيف وهو مخلوق محدث كما أخبر به صلى الله عليه وآله ، وقد قال عليه السلام : (**اللهم زدني فيك تحيراً**)(٣) ، وهو كناية عن الإمداد بما

---

(١) سورة النمل ، الآية : ٨٨.

(٢) سورة الرحمن ، الآيتان : ٢٦ ـ ٢٧.

(٣) شرح الأسماء الحسنى : ١ / ١٩٨، وتفسير القرآن الكريم لمصطفى الخميني : ١ / ١٢٢ ح ٤.

ليس عنده وقال تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[(١)] وهذا ظاهر .

وقوله : ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[(٢)] من تأويله أنه يُذهب صورهم بأن يكسرهم بالكسر الأصغر في هذه الدنيا بما يتحلل منهم ﴿ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ بأن يصوغهم بما يتجدد لهم من الإمداد على نحو ما تقدم وبالكسر الأكبر في القبور كذلك .

وقوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾[(٣)] يشير به إلى ما بين نفخة الصعق ونفخة الفزع[(٤)] فإنه تعالى بعد فناء

---

(١) سورة طه ، الآية : ١١٤ .

(٢) سورة إبراهيم ، الآية : ١٩، وسورة فاطر ، الآية : ١٦ .

(٣) سورة مريم ، الآية : ٤٠ .

(٤) عن ثوير بن أبي فاختة ، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : سئل عن النفختين كم بينهما ؟ قال : (ما شاء الله ، فقيل له : **فأخبرني يابن رسول الله كيف ينفخ فيه ؟ فقال : أما النفخة الأولى فإن الله يأمر إسرافيل فيهبط إلى الدنيا ومعه صور ، وللصور رأس واحد وطرفان ، وبين طرف كل رأس منهما ما بين السماء والأرض ، قال : فإذا رأت الملائكة إسرافيل وقد هبط إلى الدنيا ومعه الصور قالوا : قد أذن الله في موت أهل الأرض وفي موت أهل السماء ، قال : فيهبط إسرافيل بحظيرة بيت المقدس ويستقبل الكعبة ، فإذا رأوا أهل الأرض قالوا : أذن الله في موت أهل الأرض ، قال : فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الأرض فلا يبقى في الأرض ذو روح إلا صعق ومات ، ويخرج الصوت من إسرافيل ، قال : فيقول الله لإسرافيل : يا إسرافيل مت ، فيموت إسرافيل . . .**) والحديث طويل ، انظر تفسير القمي : ٢ / ٢٥٢ ـ ٢٥٣، وبحار الأنوار للمجلسي : ٦ / ٣٢٥ ح ٢، وتفسير نور الثقلين للحويزي : ٤ / ٥٠٢ ح ١٦ .

الخلق وانقطاع النفخة وموت المستثنين جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ، ينادي عزّ وجلّ على لسان وجهه الباقي بما معناه : (**يا أرض أين ساكنوك أين المتكبرون أين الذين أكلوا رزقي وعبدوا غيري ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ﴾(١) ؟ ، فلا يجيبه أحد فيرد على نفسه ويقول : ﴿ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾(٢)**)(٣) .

---

(١) سورة غافر ، الآية : ١٦ .

(٢) سورة يوسف ، الآية : ٣٩، وإبراهيم ، الآية : ٤٨، وص ، الآية : ٦٥ .

(٣) عن عبيد بن زرارة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (**إذا أمات الله أهل الأرض لبث كمثل ما خلق الله الخلق ، ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل سماء الدنيا وأضعاف ذلك ، ثمّ أمات أهل سماء الدنيا ثمّ لبث مثل ما خلق الله الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل سماء الدنيا وأضعاف ذلك ثمّ أمات أهل السماء الثانية ثمّ لبث مثل ما خلق الله الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل السماء الدنيا والسماء الثانية وأضعاف ذلك ، ثمّ أمات أهل السماء الثالثة ، ثم لبث مثل ما خلق الله الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل سماء الدنيا والسماء الثانية والثالثة وأضعاف ذلك ، في كلّ سماء مثل ذلك وأضعاف ذلك ، ثمّ أمات ميكائيل ثمّ لبث مثل ما خلق الله الخلق ومثل ذلك كله وأضعاف ذلك . ثم أمات جبرئيل عليه السلام ثمّ لبث مثل ما خلق الله الخلق ومثل ذلك كله وأضعاف ذلك ثمّ أمات إسرافيل عليه السلام ، ثمّ لبث مثل ما خلق الله الخلق ومثل ذلك كله وأضعاف ذلك ثمّ أمات ملك الموت ، ثمّ لبث مثل ما خلق الله الخلق ومثل ذلك كله وأضعاف ذلك ثمّ يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ﴾ فيردّ الله على نفسه ﴿ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ أين الجبارون ؟ وأين المتكبرون ؟ وأين الذين ادّعوا معي إلهاً آخر ؟ أين المتكبرون ونخوتهم ؟ ثمّ يبعث الخلق**) ، قال عبيد بن زرارة : فقلت : إنّ هذا الأمر كله يطول بذلك ؟ فقال : (**أرأيت ما كان هل علمت به ؟**) فقلت : لا ، قال : (**فكذلك هذا**) . =

وفي رواية : (أن المجيب هو الوجه الباقي) .

فهذا معنى ﴿ نَرِثُ ﴾ لأنه أخبر بفناء الخلق فعادت الأرض إلى أمره خالية من ساكنيها كما بدأها منه .

بيان علّة الربط بين الحادث والقديم

١ ـ رأي المصنف

وقوله : (وهذا البرهان مأخوذ من إثبات تجدد الطبيعة ، إلى قوله وسكونه) ، يريد به ما ذهب إليه من أن علّة الربط بين الحادث والقديم إنما هي الطبيعة .

والحكماء ذهبوا إلى أن العلة هي الحركة ، والمصنف جعل الطبيعة مبدأ للحركة عكس الحكماء ونحن قد بيّنا فيما مضى ، وفي شرح المشاعر ، وفي كلّ موضع من كتبنا ورسائلنا ذكرنا هذا فيه أنه لا ربط بين الحادث والقديم ، فإن ذلك مما يوجب الحدوث في المترابطين .

٢ ـ رأي الحكماء الأوائل

وأما الحكماء الأوائل الذين أخذوا الحكمة من الأنبياء عليهم السلام فمرادهم بالربط الانتساب إلى فعله تعالى لا إلى ذاته ،

= تفسير نور الثقلين : ٤ / ٣٨٩ ح ٦٤، وتفسير القمّيّ : ٢ / ٢٥٦، وانظر تفسير جوامع الجامع للطبرسي : ٣ / ٢٣٩.

وذلك لأنهم يرون أن الفعل خلقه الله تعالى بنفسه ، وهو ذات استفادت سائر الذوات ذاتياتها من فاضل ذاتها ، كما استفادت الكتابة هيئاتها من فاضل هيئة حركة يد الكاتب ، وسائر الخلق تنتهي إلى فعله ونسبته إلى ذات الحق عزّ وجلّ نسبة الحركة من الشخص هذه الحركة هي علة الربط الانتسابي .

٣ ـ رأي الحكماء المشائين

والحكماء المشاؤون ، ومن حذا حذوهم يأخذونِ ظواهر الحكمة ، فذهبوا إلى أنّ الحادث مرتبط بالقديم وعلة الرّبط حركة الحادث لأنهم ما يعرفون من الفعل إلّا الأمر الاعتباري .

والمصنف حذا حذوهم في إثبات الربط الحقيقي واعتبارية الفعل وخالفهم في علة الربط وقال : إن الحركة مسبوقة بالمتحرك ، والمتحرك هو الطبيعة التي هي مبدأ الحركة فبنى جميع مسائل الربط في جميع كتبه على هذا الرأي .

٤ ـ رأي الشيخ الأوحد في علّة الربط بين الحادث والقديم

ونحن نقول : لو أريد في علة الربط على فرض القول به حركة الحادث ، كان قول المصنف بالطبيعة أولى ، لأن الحركة عرض والعرض تمام قبوله للوجود وجود المعروض ، فتكون مسبوقة بالجوهر وهنا هو الطبيعة لأنها مبدأ الميل ، وهو الحركة لكن الأوائل يريدون بالربط الانتساب ، وبالحركة الفعل ، إذ هي

المفهوم من الفعل ، ونسبة الفعل إليه نسبة الحركة ، وإن كان ذاتاً بالنسبة إلى ما صدر عنه ، وما صدر عنه أثره فهو في التمثيل بمنزلة ضرب الفعل الماضي وما صدر بمنزلة الأثر المؤكّد مثل ضرب ضرباً ، فإذا أردت ضرب الآيات لمعرفة هذا فزيد آية لمعرفة الله تعالى وضَرَب آية لفعله وضرباً آية لأول صادر عن الفعل ، ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾(١) ، ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾(٢) .

وأما كون الطبيعة صورة جوهرية صحيح في طبيعة الشيء إذا أريد التعبير عنها ، وهذه غير ما يراد من طبيعة الكل التي يشيرون بها إلى ركن العرش الأحمر ، الذي هو الملك الموكل بملائكة الحجب المسمّين بالكروبيين ، وهو يستمد منه جبريل عليه السلام ، وإلى بعض ما ذكرنا من هذه الأوصاف أشار الإشراقيون ، وبعض ذكره الصوفية ، وبعض ذكر في الأخبار عن الأئمة عليهم السلام .

وظاهره أنه الكسر الأول بعد الصوغ الأول إذ كلّ شيء إنما يتم بصوغين وكسرين ويكمل بثلاثة ، وثلاثة كما يشير العلم الطبيعي المكتوم إليه ، مثلاً أول صوغ الأشياء إيجاد معانيها في العقل ووسطه إيجاد رقائقها في الروح وآخره وتمامه إيجاد

---

(١) سورة العنكبوت ، الآية : ٤٣ .

(٢) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ .

صورها الجوهرية في النفس ، ثم أول كسرها إذابة هذه الصور في مدة أربع مئة سنة من سني الزمان في الطبيعة ، هذه وفيها هو الكسر الأول ثم الصوغ الثاني وأوله التخصيص المسمّى في اصطلاحهم بجوهر الهباء وتمامه تعلق الصور المثالية بموادها ، وهو الذر الثاني الذي خرجوا به في الدنيا ، وقد تمّ الشيء بكسرين وصوغين فلذا كانوا مميزين إلّا أن بنيتهم لم تبلغ الكمال في هذه الدار ، لأنها ليست دار بقاء ، فلمّا أراد سبحانه بقاءهم الدائم كسرهم بعد أن أماتهم في القبور ، وهو الكسر الأكبر الذي يكون بعده الصوغ الكامل المقتضي للبقاء الدائم ، ثم كسر أرواحهم بين النفختين ، قي مقابل كسرهم الأول في الطبيعة ، في مدة أربع مئة سنة ، ثم عند النفخة الثانية يصوغهم الصوغ الذي يقتضي البقاء الدائم ، ولا يحتمل الفناء والفساد : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾(١) .

وأما باطنه فهو المَلِك الذي على ملائكة الحجب .

ثم اعلم أن المصنف بنى علمه على المسائل القشرية ، وألبسها من ألفاظ الحقيقية ، حتى توهم الأكثر أن ذوقه تجاوز الحدَّ لعدم معرفتهم بحقائق الأشياء .

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٩، وسورة الرعد ، الآية : ٣١.

مراد المصنف من الطبيعة

فقوله : (إن الطبيعة صورة جوهرية) ، يريد طبيعة الأجسام وهي كما قال : والمراد أن المادة الجسمية صوّرها بالصورة الجسمية ، فهي سارية فيها والصورة الظاهرة أثر الباطنة ولباسها وهي دالة عليها للعارف بها ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ﴾(١) ، وتلك الطبيعة هي افتقار الشيء إلى المفيض له لأنه قائم بالمفيض له قيام صدور ، فتكون طبيعته قابليته للمدد الذي هو المادة وبنفس المدد قياماً ركنياً .

ومعنى قولي : إنّ مذاق المصنف أنه بعد هذا قال : إن هذا الميل أعني الحركة ذاتي الطبيعة ليس مجعولاً ، وإنما المجعولة هي ويأتي وهي أي الطبيعة مبدأ لحركة ذي الطبيعة وسكونه وهذا ظاهري .

بيان تبدل أو تجدد كل جسم زماني

وقوله : (وما مَن جسم إلّا وفيه هذا الجوهري الصوري ، الساري في جميع أجزائه) ، وهذا ظاهر لأنها صورة نوعية كالصورة النوعية الخشبية ، وهذا الصوري مبدأ قريب لميله بل هو روح الميل ، بل هو الميل في نفس الأمر ، فعلى ظاهر الحال

(١) سورة محمد ، الآية : ٣٠.

تكون الطبيعة هي علة التجدد ، ولا نسميها حركة ، ومن قال بالحركة التي تنشأ من الجسم هي علة التجدد والدثور فبعضهم قال : هي نفس الطبيعة ، لأن مطلق الطبيعة قد لا تكون حركة ولا مبدأ للحركة لكن الحركة الذاتية للجسم لا تكون إلّا طبيعة له .

وبعضهم قال : الحركة تنشأ من الطبيعة وهي العلة القريبة للتجدد والدثور والمصنف جعل العلة هي الطبيعة .

وعلى كلّ فرض فكلّ جسم ، أو جسماني مما هو في الزمان كالأجسام المركبة العنصرية ، أو الطبيعية كالأفلاك فإنها مركّبة عند أهل الطبيعي من الحرارة والرطوبة كما تقدم النقل عنهم ، أو مما هو خارج عن الزمان بذاته داخل بأفعاله كالنفوس عندنا فهي متجددة متبدلة .

أما عند المصنف فلجعله إياها من سائر الأجسام .

وأما عندنا فلأن كلّ ما دخل في سلطنة كن فهو متجدد متبدل سواء كان مجرداً أم لا .

وأما الدثور فإن أريد به العدم فلا يجري على شيء وذلك كما قال تعالى : ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴾[1] .

وإن أريد به التحلل والتفكك والتصفية فهو جار عندنا على النفوس وما تحتها .

---

(١) سورة ق ، الآية : ٤ .

وأما العقول فكذلك لكنه تبدّل معنوي ، وتحللها عبارة عن تحلل متعلقها ، هذا في ظاهر القول .

وأما في الحقيقة فجميع الخلق متساوية ، وإنما تختلف ظاهراً ، وهو مرادنا بقولنا : وأما الكسر والصوغ فهو عندنا عام في ما سوى الذات البحت عزّ وجلّ .

وقوله : (سواء كان ذات ميل بالفعل ، أو بالقوة . . . إلى آخره) ، أي : سواء كان حركته محسوسة ، كالأجسام النامية من الحيوانات والنباتات أم لا ، كالتي بالقوة كالجمادات القاسية ، كالحجارة والحديد وما أشبههما .

فالمراد بما بالفعل وبالقوة هذا المعنى لا أنّ المراد به المعنى المتعارف ، فيلزم أن منها ما ليس الآن بمتجدد وداثر ، كما ذهب إليه بعض شاذ من المتكلمين من أن الأشياء لا تحتاج في بقائها إلى المدد ، وإن احتاجت إليه في صدورها .

وبعض ذهب إلى أن المتجدد المتبدل حال وجوده إنما هو الحيوانات والنباتات .

رأي السيد المرتضى في عدم تبدل الجوهر الفرد

وذهب السيد المرتضى[1] إلى هذا في الجوهر الفرد ، وفي

---

(١) هو السيد علم الهدى أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم ابن الإمام موسى الكاظم عليه السلام . =

الأعراض ، فقال في رسالته ما معناه : (إن الإله هو المنعم ، فالله ليس إلهاً للجوهر الفرد ، ولا العرض لأنهما لا يحتاجان إلى المدد) ، وكل هذه أقوال منحرفة عن الحق .

وسير هذه الأشياء المتجددة منها على نحو خط مستقيم ، وهو أقصر الخطوط الواصلة بين نقطتين ، وذلك ما كان مقصده في جهة كسير العناصر الثقيلة إلى أسفل والخفيفة إلى أعلى ، أو مستدير كالمتحركات بالحركة الوضعية ، كالأفلاك ، وإلى المركز في العود ، ومن المركز في البدء ، والممكن المخلوق هو أبداً في التحول من حالة إلى أخرى في أطواره بسبب اختلاف قابلياته أي : قابليات عقله في الإقبال والإدبار ، والسير والوقوف ، وقابليات روحه في التلونات بصور المعاصي في الطاعات والطاعات في المعاصي ، وقابليات نفسه في التشكلات بصور طبائع أعماله وأقواله وأحواله .

وفي التبدل في صوره بما أعاده مما تحلل منه إليه .

وفي السَّيَلان في أحوال نموه وذبوله ، لأن النازل إليه ، والنازل منه ليس مثلاً تاماً ، ولا أجزاء متفاصلة ، بل مدد منحط

= ولد السيد المرتضى في رجب سنة ٣٥٥، وعاصر من الخلفاء المطيع سنة ٣٣٤ هـ ثم الطائع سنة ٣٦٣ ثم القادر سنة ٣٨١ ثم ابنه القائم .

وتوفي السيد المرتضى في ٢٥ ربيع الأول سنة ٤٣٦ ودفن في داره ثم نقل إلى المشهد الحسيني عليه السلام .

سيال ، وكم متصل كالنهر الجاري المستدير الذي ينصَبُّ آخره في أوله وظاهره في باطنه ، وخلفه في أمامه ، ويساره في يمينه ، فهو كرة تدور على مركزها في ذاتها ، لا إلى جهة ، وليس بدائرة ، ولا يجري على الاستقامة كما توهمه من لم يعرفه وإلّا لبطل الوعد والوعيد والثواب والعقاب .

وسرعة الميل وبطؤه ، وتعدده وتوحده بحسب جوهر ذاته ، وبحسب تلقيه من مبدئه بنفسه ، أو بواسطة ، أو وسائط ، كسير الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله وميلها على مركزها ، وهو الفعل ، أي : المشيئة في كونها ، والإرادة في عينها بنفسها بدون واسطة ، وهي أسرع المتحركات كلها بعد الفعل ، ولها دورة واحدة ذاتية على الفعل لا إلى جهة وللعقل استدارة ذاتية على الفعل واستدارة عرضية على الحقيقة .

بيان استدارات العقل

وإنما كانت الثانية عرضية مع أن العقل متقوم بالحقيقة تقوّم تحقق ؛ أي : تقوّماً ركنياً ، لأنها تابعة للأولى لأنه متقوم بالفعل تقوّم صدور فذاته تأكيد للفعل .

بيان استدارات الروح

وللروح استدارة ذاتية كذلك على الفعل وعرضيتان أصلية أولية على الحقيقة وفرعية أولية على العقل .

بيان استدارات النفس

وللنفس استدارات أربع ؛ ذاتية على الفعل وعرضية أصلية أولية على الحقيقة وعرضية فرعية أولية على العقل وعرضية فرعية ثانوية على الروح .

بيان استدارات الطبيعة

وللطبيعة استدارات خمس ذاتية على العقل ، وعرضية أصلية أوليّة على الحقيقة ، وفرعية أوليّة على العقل ، وثانوية على الروح وثالثية على النفس وهكذا إلى آخر الممكنات كلّ ممكن يستدير بتلقي قابليته على جميع علله والذاتية منها واحدة والباقي عرضيات .

وأعلى الممكنات أسرعها استدارة وأبعدها أبطؤها ، وما بينهما كلّ بنسبة رتبته فما قرب من المبدأ أسرع ، وما بَعُد أبطأ وحركته عندنا هي نفس طبيعته ، لأن هذه الحركة المشار إليها ليست حركة فعلية لتكون ناشئة عن طبيعته ، بل هي حركة ذاتية وهي ميل ذاته بفقرها إلى وجه مبدئها تطلب منه استغناءها ، وكونها ذاتية وعرضية لأجل تعدد تعلقها بأسبابها المتعددة ونظرها المتعدد إلى أبواب إمداد مبدئه .

بيان حركة الوجود الذاتية الوجودية

قال : (وحركته الذاتية الوجودية أصل جميع الحركات في الأعراض الأينية والوضعية والاستحالات الكمية والكيفية ، وبها يرتبط الحادث بالقديم لا بغيرها من الحركات العرضية ، لأن تلك الطبيعية هويتها هوية التجدد والانقضاء والحدوث والانصرام) .

قول المصنف : وحركته الذاتية الوجودية أصل جميع الحركات

أقول : قوله : (وحركته الذاتية - إلى قوله - والانصرام) ، يريد به أن حركته الذاتية وهي الناشئة عنده من طبيعته وعندنا هي نفس طبيعته الوجودية ، وهذا القيد من المصنف احتراز عمّا ينسب إلى الماهية ، فإنها عنده لا وجود لها إلّا ما ينسب إليها بالعرض والتبعية لا إيجاد لها متعلق بها ، وإنما الإيجاد للوجود والحركة الطبيعية عنده منسوبة إلى الوجود كما قال وحركته الذاتية الوجودية .

وعلى كلامه يتناقض كلامه ، لأن الوجود لذاته واجب ، وإنما ينسب إليه النقص بالعرض [لما لحقه من رتبة النزول وحدوثه عنده هو وأتباعه في الحقيقة عبارة عن نسبته إلى الماهيات والنقائص اللاحقة بالعرض][1] لا لذاته ، وإذا كان لذاته واجباً

---

(١) زيادة من نسخة أخرى .

فلا تصح نسبة الحركة إليه ، لأن الحركة المشار إليها حركة الاحتياج والفقر والحركة التي يدّعيها ذاتية لا عارضة للنسبة .

وأما الماهية فإنها عندنا موجودة بإيجاد خاص بها إلّا أنه مترتب على إيجاد الوجود كما ذكرنا سابقاً ، من أنه هو المقصود بالإيجاد ولكنه لا يتقوّم ظاهراً في الأكوان الخارجية إلّا بماهية ، فأوجد الله الماهية للوجود ثانياً وبالعرض فطبيعة الماهية التي هي هوية الممكن أولى بميله وتحريكه إلى فيض علته على قاعدة المصنف .

رأي الشيخ الأوحد في الحركة الذاتية

وأما عندنا فالوجود والماهية كلّ منهما يتحرك بطبيعته إلى المبدأ ، لأن طبيعة المحدث من وجود ، أو ماهية قابليته للإيجاد انفعاله به وهي حركته آخذاً ومعطياً .

فاحتراز المصنف بقوله : (وحركته الذاتية الوجودية) ، لا يمنعه الخطأ والغلط ، بل يوقعه فيهما من حيث لا يشعر ، ولا يصغِ قلبك إلى مثل ما حققه في كتابه الكبير فإنها علوم واعتبارات منطقية ، كانت محصلة من نتائج عقولهم واستنباطها من مدلولات الألفاظ من ظاهر اللغة ، التي يتخاطب بها أجلاف العرب ويفهمونها ، وهي وإن كانت صحيحة إلّا أنها أسفل وجوه العربية التي وضعها الواضع تعالى ، وهي سبعون وجهاً للكلمة الواحدة ،

وكل السبعين أسماء وصفات للخلق لا يصدق منها شيء على الخالق سبحانه ، كما لا يصدق شيء من موصوفاتها ومسمياتها عليه تعالى في حال ، فكيف يكون القضايا المنطقية كاشفة بنتائجها ومدلولاتها عن الحقيقة الإلهية ؟ وإنما تفيد في العلوم اللغوية العربية والأحكام الشرعية والعلوم الرياضية وبعض العلوم الطبيعية .

وإنما لم أبيّن بطلان ما ذكروا هناك لأنهم يبحثون في مسائل كثيرة من الحكمة النظرية ، التي هي مبنية على حسب الطاقة البشرية ويطيلون الكلام في تصحيح الألفاظ والمفاهيم التي يفهمونها منها ، ولو أردت بيانها بنحو ما سلكوا لخرجت عمّا أنا سالكه من دليل الحكمة إلى دليل المجادلة بالتي هي أحسن ، فصار بحثنا معهم في المفاهيم اللفظية وأنا أنهى عن ذلك لأنه لا يؤدي إلى النور ، بل أبيّن بطلان الكثير بأقل قليل كما إذا قالوا : عِلْمُ الله وسمعه وبصره هي عين ذاته ومفاهيمها متغايرة ومغايرة لذات الله تعالى ، وإنما الاتحاد في الوجود .

قلت لهم : هي ذات الله تعالى ، فما معنى مفهوم ذاته ، وهل تدرك الأفهام منه شيئاً حتى يكون مفهوماً ، وإنما العلم والسمع والبصر التي تفهمون حادثة لأنكم إنما تفهمون علمكم ، وسمعكم وبصركم ، وتجعلونه عين ذات الله تعالى عنكم وعنها .

ولو أردتم الصفات التي هي عين ذات الله تعالى ، لما قلتم : إنها متغايرة ومغايرة لذاته إنّا لله وإليه راجعون .

إذا كانت الحكمة النظرية ، كما ينطق به حدّها على حسب الطاقة البشرية ، كيف يفهم منها ما هو حقيقة الذات الأحدية الصمدية ؟ .

وقوله : (أصل جميع الحركات) ، يعني أن الحركة الوجودية الطبيعية ، هي أصل جميع الحركات الحادثة في الأعراض الحالة في معروضاتها ، من الأينية المكانية والأينية الوضعية ، في جهات الوضع الثلاث ، وفي الاستحالات الكمية نمواً وذبولاً ، وفي الاستحالات الكيفية من نحو بياض إلى سواد وبالعكس ، أو غير ذلك وهذا صحيح .

بيان أن الطبيعة أثر الفعل القديم

وقوله : (وبها) ، أي : بالطبيعة التي هي منشأ الحركة الأصلية ، ربط الحادث بالقديم عنده ، وهو غلط ، بل الطبيعة هي الحركة الأصلية الجوهرية ، وهي وذات ذي الطبيعة أثر فعل القديم تعالى .

ولو جاز ربط حقيقة بينه تعالى ، وبين خلقه تعالى لكان الفعل أحق بالربط من أثره لأنه هو الواسطة بين الفاعل والمفعول والفعل عندنا الإرادة والمشيئة ، والإبداع والاختراع ، ولكنه

يستحيل الربط الحقيقي لاستلزامه الاقتران المستلزم للحدوث ، إلّا إذا أريد به النسبة المفعولية إلى الفاعل الذي هو المثال .

ونعني بالنسبة الانتساب المفعولي ، كما تقول : ربي وخالقي ، وينتهي المخلوق إلى الوصف الفعلي ، وإلى الفعل والمفعول ، المنتسب ينتسب بحركتين طبيعة الوجود ، وهي حركة انفعاله بماهيته ، وطبيعة الماهية ؛ وهي حركة انفعالها بوجودها .

وقوله : (لا يغيرها من الحركات العرضية ، . . . إلخ) ؛ يعني أن الربط بالطبيعة لأنها تحدث عنها الحركة الأصلية ، التي بها يسير إلى الله سبحانه ذو الطبيعة لا بالحركات الحركة العرضية التي ذكرها الحكماء .

وأقول : قد تقدم الكلام على ذلك . وأنّ المراد بالطبيعة هي الحركة الأصلية ، الافتقارية الانفعالية لا مطلق الطبيعة كما لا يخفى .

وعلّل ذلك بأن تلك الطبيعة هويتها هوية التجدد والانقضاء ، والحدوث والانصرام .

وقد أشرنا إلى أن الشيء له طبائع ؛ منها الحركة والسكون ، والحرارة والبرودة ، وما أشبه ذلك .

ومطلوبنا هنا هو الحركة لا الطبيعة المطلقة ، كما يظهر من كلام المصنف ، وإلّا لما نفى الحركة وجعلها شيئاً معنوياً في الحادث ، سارياً فيه فافهم .

ثم إذا فهمت هذا فاعلم أن المصنف جعل علة الربط المذكور هي الطبيعة كما مرّ ، وأنّ الحركة الأصلية التي ذكر الحكماء أنها هي ناشئة عنها ، وأنّ الطبيعة غير المتحرك وغير الحركة .

وقلنا : بأن الطبيعة المرادة هنا هي الخاصة ، وليس إلّا الميل التكوّني ؛ أي : القبول للمقبول ، لأن التكوين الإيجادي إذا ألقى هيئة ذاته مع هيئة صفته ظهر المقبول بانفعال تينك الهيئتين ، والانفعال هو القابلية والمقبول الذي هو نفس الهيئتين المنفصلتين ظهر في الأكوان والأعيان بانفعاله ، وهو قابليته ؛ أي : حركة قبوله للإيجاد ، وهي وإن كانت من المقبول ، فهو سابق عليها في الذات ، إلّا أنه مساوق لها في الظهور ، وهي نفس طبيعته الأصلية ؛ أعني طبيعة المقبول فلا تغفل .

قال : (ولا سبب لحدوثها وتجددها ، لأن الذاتي غير معلل بعلة ، غير علة الذات ، والجاعل إذا جعلها جعل ذاتها المتجددة ، وأما تجددها فليس جعل جاعل ، وتأثير مؤثر فاعل ، وهذا بعينه مثل ما قالته الفلاسفة في باب الزمان من أن هويته لذاتها متجددة ، متقضية سيالة ، لكنا نقول : الزمان مقدار التجدد والتبدل ، والحركة معناها : تجدد حال الشيء ، وخروجه من القوة إلى الفعل تدريجاً ، وهي أمر نسبي عقلي مصدري انتزاعي ، لأنها نفس التجدد والخروج منها إليه) .

قول المصنف : ولا سبب لحدوثها وتجددها لأن الذاتي غير معلل

أقول : قوله : (ولا سبب لحدوثها وتجددها) ، يريد به أن الحركة الطبيعية الذاتية التي هي تجدد الطبيعة ، غير معلل بعلة غير علة الذات ، ومراده أن الله سبحانه خلق الشيء ولم يلحق لوازمه بخلق وإيجاد زائد على إيجاد الشيء ، بل بتبعية إيجاد الشيء وذلك كما نقلوه عن شيخ الإشراق من قوله : لما سئل عن مثل هذه المسألة وكان بين يديه مشمش فقال : إن الله سبحانه ما جعل المشمش مشمشاً ، وإنما جعل المشمش .

بيان أن كل شيء غير معلل بعلة غير علة الذات

وجرى على ألسنتهم كالمثل كلّ من سمعه قبله من غير تأمل ولا نظر ، مع أنه باطل ، لأن كون المشمش مشمشاً إن كان شيئاً فالله سبحانه خالقه ، لم يخلقه المشمش ولا نفسه ، ولا القائلون بعدم مجعوليته . وإن لم يكن شيئاً فنفيهم لا لثابت باطل .

ودعوى أنه أمر اعتباري ، كما توهموه باطلة ، فإن الموهوم والاعتباري والمفروض أشياء خلقها الله تعالى وسيدنا الصادق عليه السلام قال : (**كلّ ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه ، فهو مخلوق مصنوع مثلكم ، مردود إليكم أو عليكم**)(١) ، انتهى .

---

(١) مشرق الشمسين للبهائي : ٣٩٨، والرواشح السماوية للميرداماد : ٢٠٦ =

وفي دعاء السمات للحجة عليه السلام : (**وخلقت بها الظلمة وجعلتها ليلاً وجعلت الليل سكناً وخلقت بها النور وجعلته نهاراً ، وجعلت النهار نشوراً مبصراً ، وخلقت بها الشمس ، وجعلت الشمس ضياءً ، وخلقت بها القمر وجعلت القمر نوراً ، وخلقت بها الكواكب وجعلتها نجوماً وبروجاً ، ومصابيح وزينة ورجوماً ، وجعلت لها مشارق ومغارب**)(١) .

وكل هذه مثل جعل المشمش مشمشاً ، لأن قوله : (**وخلقت الظلمة ، وجعلتها ليلاً**) والظلمة المخلوقة هي الليل ، وجعل الظلمة التي هي الليل ليلاً ، وكذا جعله سكناً مثل جعل المشمش مشمشاً ، وكذا باقي الكلام .

لكن القوم بذلوا جهدهم في جحود نصف العالم ، فجعلوه ليس شيئاً ، وإنما هو أمر اعتباري ، حتى قالوا : إن الوجوب والإمكان والقدم والحدوث ، والفوقية والتحتية والظلمة

= (١٣٣) ، وبحار الأنوار : ٦٦ / ٢٩٣ ، وشرح إحقاق الحق : ١٢ / ١٨٦ ، وكتاب الوافي : ١ / ٨٩ ، والحكمة المتعالية للشيرازي : ٨ / ٤٢٠ ، ولفظه فيهم : قال عليه السلام : (**هل سمّى عالماً قادراً إلّا لما وهب العلم للعلماء والقدرة للقادرين ، وكلّ ما ميزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم ، والباري تعالى واهب الحياة ومقدّر الموت ولعل النمل الصغار تتوهّم أن لله زبانيتين لأنّهما كمالها وتتصوّر أن عدمهما نقصان لمن لا تكونان له**) .

(١) مصباح المتهجد للطوسي : ٤١٧ ، وجمال الأسبوع لابن طاوس : ٣٢٢ .

والموت ، بل كلّ الأشياء المفروضة ، أو التي لا يرونها بأعينهم ، ولا يلمسونها بأيديهم ، كلها وأمثالها أمور اعتبارية ليست بموجودة ، ولا مخلوقة ، ولا مجعولة ، مع اعترافهم بأن أسماءها ليست مهملة ، ومع اعترافهم أن اللفظ الذي لم يوضع بإزاء معنى ، فهو مهمل وبأنها أشياء ، ويقرؤون قول الله سبحانه : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾(١) ، ويزعمون تفصّياً من الجواب أن الذهن تكون الأشياء فيه موجودة بحقائقها لا بأظلتها .

فإذا قيل لهم : لِمَ لا تحرقكم النار التي في أذهانكم ؟

قالوا : الإحراق من العوارض الخارجية .

فنقول لهم : الوجودات الذهنية هل هي من عالم الغيب ، أم من عالم الشهادة ، وفي كلّ منهما تحرق النار .

وأيضاً إن كان ما في أذهانكم لا يكون إلّا ظلّاً وشبحاً للأمور الخارجية ، كما نقوله نحن ، ثبت أن كلّ ما تتصورونه فإن الله سبحانه قد خلقه قبل ذلك ، كما صرحت به الآية في قوله تعالى : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ .

---

(١) سورة الحجر ، الآية : ٢١.

وكقول الرضا عليه السلام المتقدم الذي رواه الصدوق[١] في أول علل الشرائع ، وهو قوله عليه السلام : **(ولا تقع صورة في وهم أحد[٢] إلا وقد خلق الله عزّ وجلّ عليها خلقاً لئلا يقول قائل : هل يقدر الله عزّ وجلّ على أن يخلق صورة كذا وكذا ، لأنه لا يقول من ذلك شيئاً إلّا وهو موجود في خلقه ـ تبارك وتعالى ـ فيُعلم بالنظر إلى أنواع خلقه أنه على كلّ شيء قدير)**[٣] انتهى .

فيكون ما في الأذهان صوراً منتزعة من الخارجي ، فكلّ ما يسمّونه اعتبارياً فهو شيء خلقه الله وأقامه في مكان رتبته من الوجود ، وإن كان ما في أذهانكم أشياء مستقلة كما تزعمون ، بأن النفس لها قوة اختراع ما شاءت من الصور والاعتبار لا من شيء انتزعَتْها منه فنريد منكم أن تذكروا كلام زيد لكم في مكة مثلاً في العام الماضي في هذا الآن من غير أن تلتفت نفوسكم بمرآة خيالها إلى زيد المخاطب ، ولا إلى كلامه ، ولا إلى مكانه ، ولا إلى وقته فإن قدرتم على ذكر كلامه من غير أن تلتفت

---

(١) هو الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه المشتهر بالصدوق .
ولد بدعاء الإمام الحجة عجّل الله تعالى فرجه بقم المقدسة بعد سنة ٣٠٥ هـ .
توفي بالري سنة ٣٨١ هـ ودفن فيها قرب السيد عبد العظيم الحسني .

(٢) في كل المصادر : (ملحد) .

(٣) علل الشرائع : ١ / ١٤ ح ١٣ ، وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ / ٨١ ح ١.

نفوسكم إليه في وقته ومكانه فأنتم صادقون ، وإن كنتم لا تقدرون على الذكرى بدون الالتفات المذكور ، فاعلموا أنّ الذي في أذهانكم كالصور التي في المرايا لا ينتقش فيها شيء حتى تقابلها ذوات الصور ، فتنتقش فيها أشباحها وأظلتها ، كذلك أنتم لمّا خاطبكم زيد في مكة في العام الماضي وتفارقتم وذهب زيد بقي مثاله ، ومثال كلامه في غيب ذلك المكان ، وفي غيب وقته ، فإذا أردتم ذكر ذلك قابلتْ نفوسكم بمراياها مثال زيد ومثال كلامه في غيب مكان الخطاب ووقته ، فانتقش ذلك في نفوسكم لأنها انتزعَتْ من الأمثلة القائمة هناك صورها وأظلتها ولو لم تلتفت لم تذكر ولو كانت تخترع لاخترعت صور ذلك من غير التفات .

رأي المصنف في الطبيعة والحركة والحدوث

والحاصل أن كلام المصنف في كون تجدد الطبيعة أو الحركة والانقضاء ، والحدوث والانصرام ، وأمثال ذلك أموراً اعتبارية لا وجود لها ، مبني على قواعد قشرية متهدمة لا تبنى عليه قواعد الدين ولا تؤسس على مثلها بنيانه .

وقوله : (وهذا بعينه ما قاله الحكماء الفلاسفة في باب الزمان ، من أن هويته لذاتها متجددة متقضية سيالة) ، يريد به قولهم لذاتها متجددة ؛ أي : أنها متجددة من دون مجدد جعلها متحددة ، بل تجددها من نفسها .

وأنا أقول : لعل مراد الفلاسفة أنها لذاتها ؛ أي : أنّ الجاعل جعلها متجددة لذاته ، لا أن تجددها بالعرض ، أو بتجدد أعراضها ، وليس مرادهم أن تجددها من نفسه من دون مجدد جعلها متجددة ، كما هو مراد الأوائل منهم ، الذين قرؤوا على الأنبياء عليهم السلام وأخذوا الحكمة منهم .

ولو فرضنا أن هؤلاء القائلين بذلك ، أرادوا ما أراد المصنِّف ، أدخلناهم معه في الخطأ ، بل كثير من أخبار الأئمة عليهم السلام دال بصريحه على أن هذا القول شرك .

بيان معنى التجدد والتبدل في الزمان وغيره

وقوله : (لكنا نقول الزمان مقدار التجدد والتبدل والحركة معناه تجدد حال الشيء ، إلى آخره) ، يريد به بعد قوله : (وهذا بعينه أن مرادي مجرد التمثيل لا التساوي الحقيقي ، إذ بين الزمان وبين ما نحن فيه فرق ، فإن الزمان ذاته مقدار التجدد والتبدل أي نفسهما ، فهو نفس الحركة المتجددة وما نحن فيه فحركته تجدد حاله أي هيئته لا ذاته) .

وكلامه أيضاً ظاهري قشري ، وفي الحقيقة خطأ خلاف الصواب ، والصواب أن الزمان والحجر على حدٍّ واحد في التجدد والتبدل ، لا فرق بين الثابتة كالعقول المجردة ، وبين القارة المتماسكة كالحديد ، وبين المتهافتة كالنار والهواء

والماء ، وبين غير القارة كالزمن والأصوات ، لأن الجميع قائم بفعل الله قيام صدور ، كقيام الصورة في المرآة بالشخص المقابل لا كقيامها بهيئة الشخص المقابل ، فإنه قيام ركني فالزمان نفس الحركة من حيث قابليته للإيجاد التي هي ماهيته وهي جزء ماهيته بالمعنى الثاني كما ذكرنا أي جزء هويته لا من حيث وجوده ، إذ من حيث وجوده حركته تبدل أحواله ، وهذا بعينه حال جميع الخلق فإن العقول المجردة والحديد من حيث قابليتها فهي نفس الحركة ، لأن قابليتها للإيجاد هي نفس الحركة ، ومن حيث وجوداتها حركتها تجدد أحوالها وتبدلها ، لا تبدل الذوات الجوهرية وإلّا بَطَل الوعد والوعيد والثواب والعقاب .

ثم عطف على تجدد حالها بالعطف التفسيري ، بقوله : وخروجه من القوة ؛ أي من رتبة الثبوت الأزلي إلى الفعل أي : إلى الوجود الكوني ، هذا معنًى من القوة إلى الفعل عند هؤلاء الجماعة المصنف وأمثاله .

وعندنا تبعاً لساداتنا أئمة الهدى عليهم السلام معنًى من القوة ؛ أي : من الثبوت الإمكاني .

وإن شئتَ قلتَ : من الوجود الإمكاني إلى الوجود الكوني .

ومرادنا بالإمكان ما ذكرناه سابقاً ، من كونه موجوداً محدثاً ، خلقه الله ولم يك شيئاً مذكوراً ، ولا معلوماً قبل جعله ، ثم خلقه على نحو كلي لا يتناهى في كلّ مثقال ذرة قبل أن يكون شيئاً

منها ، لأنّا نمنع كون الإمكان إمكاناً لذاته بدون جعل جاعل مخترع ، وإلّا لكان قديماً لا ممكناً .

بيان معنى التدرج

وقوله : (تدريجاً) ، صحيح لكن نحن لا نخص التدريج بالماديات خاصة ، بل والمجردات إذ كلها أيضاً مادية إلّا أنها من أنوار عالية ، ما خلا الفعل بجميع أصنافه ، الذي هو الوجود المطلق ، فإنه لذاته ليس تدريجياً ، بل كما قال تعالى : ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾[1] ، فإنه تعالى قال : ﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ ﴾[2] .

وأما ما قررناه في الفوائد وشرحها[3] من تقسيم ذاته في التزييل الفؤادي ، إلى أربعة مراتب :

تقسيم ذات الله تعالى إلى مراتب

الأولى : مرتبة النقطة وهي الرحمة .

والثانية : مرتبة الألف ، والنفس الرحماني الأولى بفتح الفاء .

---

(١) سورة لقمان ، الآية : ٢٨.

(٢) سورة القمر ، الآية : ٥٠.

(٣) انظر شرح الفائدة الثالثة من كتاب شرح الفوائد .

والثالثة : مرتبة الحروف والسحاب المزجى .

والرابعة : الكلمة التامة ، والسحاب الثقال والسحاب المتراكم ، فذلك التزييل والتقسيم باعتبار متعلقه لا في ذاته .

وقوله : (وهي أمر نسبي) ، يعني ليس بذاتي ، بأن يكون نفس الماهية ، أو نفس جزئها ، وقد بيّنا قبلُ أن الحركة الذاتية جزء الماهية أي : الهوية والحقيقة .

و(عقلي) ، يعني أنه ليس وجوده خارجياً ، وقد ذكرنا أن وجوده هو وغيره كلّه خارجي ، وما في الأذهان فهي أظلة .

و(مصدري انتزاعي) ، يعني به أنه معنوي ، لا عيني ، وانتزاعي يعني به أنه ظلّي ، ولا يريد بالظلّي أنه متنزع من الخارجي ، إذ لا خارجي عنده .

ثم قال : (لأنها) ؛ أي : الحركة الذاتية الوجودية ، (نفس التجدد والخروج منها) ، أي : من القوة (إليه) ، أي : إلى الفعل ، وأنت قد عرفت رأينا في هذه المسائل مما ذكرنا ، فلا يحتاج إلى إعادته لكثرة ما كررناه .

قال : (والفرق بينهما كالفرق بين الوجود بمعنى الانتزاعي الذي هو من المعقولات الذهنية ، وبين الوجود بمعنى ما به يوجد الشيء ويطرد العدم عنه ، وما به الخروج من القوة إلى الفعل التدريجي من المقولة ، كما جاز أن يكون كيفاً ، أو غيره من

الأعراض فجاز أن يكون جوهراً صورياً مادياً متجدد الذات والهوية مذكور في الأسفار الأربعة ، وفي رسالة على حدة على وجه مفصل مشروح ، ونقلنا اتفاق الفلاسفة الأقدمين في هذا الباب من دثور العالم وزواله وتجدد كلّ من الهيولى والصورة ، وإن كلّ شخص من الأجسام الطبيعية فلكية كانت أو عنصرية حادث زماني) .

قول المصنف : والفرق بينهم كالفرق بين الوجود بمعنى
بيان الفرق بين تجدد الحركة الذاتية وتجدد الزمان

أقول : قوله : (والفرق بينهما) ، أي بين تجدد الحركة الذاتية ، وبين تجدد الزمان ، من كون تجدد الحركة تجدد حال المتحرك ، لا تجدد هويته ، ومن تجدد هوية الزمان لا تجدد حاله لأن هويته لذاتها متجددة بتبدل الأنات بخلاف الأجسام على زعمه كالفرق بين الوجود الانتزاعي الظلي ، فإنه منتزع من الوجود الخارجي انتزعه الذهن منه كانتزاع المرآة صورة المقابل ، فإن حركته حركة هوية أي تجدد ذاته وهويته وبين الوجود الذاتي وهو ما به يوجد الشيء يطرد عنه العدم ، فإن تجدده بحركته الذاتية تجدد حاله كما زعم .

ثم أراد أن ينبه على صحة ما ذهب إليه على نمط الاستدلال

فقال : وما به الخروج من القوة إلى الفعل التدريجي من المقولة أي : مما يقال عليه ذلك ، كما جاز أن يكون كيفاً ، أو غيره بأن يكون تجدده تجدّد هوية ، فجاز أن يكون جوهراً صورياً مادياً متجدد الذات والهوية .

ومراده أنه يكون متجدد حال الهوية ، لا متجدد نفس الهوية ، بدليل قوله : والحركة معناها تجدد حال الشيء ، ولأن رأيه أن الوجود من حيث ذاته واجب ، وإنما ينسب إليه الحدوث من جهة اقترانه بالماهية نسبة عرضية ، ولما لحقه من عوارض مراتب تَنَزُّله ونحن قد بيّنا قبل هذا المتن أن تجدد الأجسام القارة ، والجواهر الصورية ، والوجود الذاتي ، أعني ما به يوجد الشيء ، ويطرد العدم منه ، كتجدد الزمان وتجدّد الوجود الظلي العرضي أعني الظلي الذهني والظلي العرضي كنور الشمس القائم بالجدار ، وكظل الجدار الظاهر من خلفه ، لأنّ علة الاحتياج واحدة إذ ليس لشيء مما سوى الله سبحانه ثبوت ولا تحقق من نفسه وإلّا لكان قديماً ، وهو غير الله سبحانه ، لأن كلّ ما يصدق عليه أنه غير الله سبحانه في حال من الأحوال ، أو في فرض ، أو احتمال كما لو فرض أنه من حيث المفهوم ، أو الفرض والتجويز فإنه قائم بفعل الله تعالى وإيجاده قيام صدور وبأمر الله قيام تحقق ، فكون شيء من الخلق يكون تجدده تجدد الحال لا تجدد هوية مستحيل إلّا على القول بوجوب وجوده كما يذهب إليه المصنف إلّا أن الذي

أفهم من حاله أن جعله تجدد الجواهر القارة تجدّد حاله لا تجدد هويته ليس لكونها عنده غير مجعولة الذوات ، بل لكونها أجساماً وجواهر وحركاتها وميولاتها ناشئة عن طبائعها وحركاتها هي تجدداتها .

فظاهر كلماته في سائر كتبه تشعر بأن نفس هوياتها ساكنة ثابتة ، بخلاف الأعراض وهو كلام قشري ظلماني .

بيان أن جميع الخلق أعراض

والحق أن جميع خلق الله عزّ وجلّ بمنزلة الأعراض ، بل أعراضٌ حقيقية لعللها ، وإن كانت جواهر لمعلولاتها ، فالفعل ، وإن كان بالنسبة إلى الفاعل عرض ، أقامه سبحانه بنفسه ، وهو ذات لأثره ، وهذا الأثر الأول عرض له ، ولكنه ذات لشعاعه ، وعرضه وشعاعه ، وهو نور الأنبياء عليهم السلام ، وهو ذات لشعاعه وعرضه ، وهو نور المؤمنين ، وهكذا فكلّ علة عرض لعلتها ، وذات لمعلولها فهو عرض لعلته ، وذات لمعلوله وهكذا ، والأعراض تجددها تجدد هوية .

بيان الأقوال في قِدم غير الله تعالى

وقوله : (وقد نقلنا اتفاق الفلاسفة الأقدمين ، إلى آخره) إنما قال فيه الأقدمين ، ليخصص به الذين أخذوا الحكمة عن النبيين

عليهم السلام ، فإنهم هم القائلون بحدوث العالم ، وأكثر من تأخر عن هؤلاء خالفوهم في كثير من المسائل .

ومن المتأخرين من نقل عن غاديمون ، وقيل هو النّبي شيث عليه السلام ، أن المبادىء الأُول خمسة ، البارئ تعالى ، والعقل والنفس ، والمكان والخلاء ، وهذا النقل ليس بصحيح ، وإن صح النقل ، فالقول : بأن غاديمون القائل بهذا ليس هو النّبي شيث عليه السلام .

وإن صح القول : فمراده عليه السلام ، أن العقل والنفس والمكان والخلاء أسباب للقابلية ، لا أنها مبادىء فعّالة على الاستقلال ، بل (**ألقى في هويتها مثاله ، فأظهر عنها أفعاله**) كما قال أمير المؤمنين عليه السلام(١) .

ومنهم من قال : بقدم النفوس وما فوقها .

ومنهم من ذهب إلى قدم العالم كلّه .

وأما الأقدمون فظاهر كثير منهم القول بِقِدم بعض العالم ؛

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ١ / ٣٢٧، ومصباح البلاغة : ٢ / ٢٤٤ ح ١٧٧، والصراط المستقيم للعاملي : ١ / ٢٢٢، وبحار الأنوار للمجلسي : ٤٠ / ١٦٥، وعيون الحكم والمواعظ : ٣٠٤.

وتمام الحديث : (**صور عارية عن المواد عالية عن القوة والاستعداد تجلّى لها فأشرقت وطالعها فتلألأت وألقى في هويّتها مثاله فأظهر عنها أفعاله ، وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة إن زكّاها بالعلم والعمل فقد شابهت أوائل جواهر عللها ، فإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد**) .

كالمجردات ، بل كلّه كما نقله بعضهم من تاليس الملطي ، وإنه استدل على القدم بثمانية وجوه ، إلّا أن كلامه الذي نقله الشهرستاني[١] ، في كتاب الملل والنحل ، صريح في القول بحدوث العالم .

وكذلك كلام أفلاطون[٢] ، فإنه يوهم قدم المثل الأفلاطونية .

فقول المصنف : إنه نقل اتفاق الأقدمين على الحدوث ، لا بد من حمله على ما بعد توجيه ما يوهم ذلك من كلامهم .

والحاصل أن القول : بأن العالم جميعه من المجردات وغيرها ؛ أي : من كلّ ما سوى الله سبحانه حادث ؛ صحيح ليس فيه شك وباقي كلامه ظاهر .

---

(١) هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني ، الشافعي (أبو الفتح) فقيه ، حكيم ، متكلم على مذهب الأشعري .
ولد بشهرستان بين نيسابور وخوارزم سنة (٤٦٧ هـ ١٠٧٥) ، وأخذ علم النظر والأصول عن أبي القاسم الأنصاري وأبي نصر القشيري ، ورحل إلى بغداد وأقام بها ووعظ ، وسمع الحديث بنيسابور وكتب عنه السمعاني ، وتوفي بشهرستان آخر شعبان من تصانيفه : الملل والنحل ، تلخيص الأقسام لمذاهب الأنام ، نهاية الاقدام ، المناهج والبيان ، نهاية الاقدام في علم الكلام ، والمضارعة .
توفي سنة (٥٤٨ هـ ـ ١١٥٣ م) .
انظر سير النبلاء للذهبي : ١٢ / ٢١٠.

(٢) هو أحد حكماء اليونان واسمه أرسطو قليس بن أرسطون ، ولقب بأفلاطون لعموم نفعه ، ولد سنة ٤٢٧ وتوفي سنة ٣٤٧ قبل الميلاد ، له عدة تآليف منها : العقل ، والربوبية .

معنى الهيولى واختلافها عن المادة

واعلم أنّ الهيولى في الاصطلاح المشهور بينهم ، أن الشيء باعتبار كونه قابلاً للصور غير المعينة ، يسمّى هيولى وباعتبار كونه محلاً للصور المعينة بالفعل يسمّى مادة .

قال : (وأما الكلي الطبيعي ، فليس عندنا موجوداً ، خلافاً للمشهور من رأي الحكماء ، بل بالعرض خلافاً لجمهور المتكلمين ، فالكلي الطبيعي ؛ أعني الماهية بلا شرط ليس بقديم ، ولا حادث وحدوثه تابع لحدوث أفراده ، وكذا قدمه لقدمها إذ ليس في حدّ ذاته واحداً شخصياً محصل الوجود ، فلا دوام له في ذاته إن كانت الأفراد كلها حادثة فلا دوام له بالذات ، ولا بالعرض إلّا في علم الله تعالى) .

قول المصنف : وأما الكلي الطبيعي ، فليس عندنا موجوداً

أقول : قوله : (وأما الكلي الطبيعي ، إلخ) ، يريد به أن الكلي الطبيعي قد اختلف فيه هل هو موجود في الخارج في نفسه أم في ضمن أفراده بالذات ، أو بالعرض ، أم ليس موجوداً خارجياً أصلاً ، وإنما هو موجود ذهني ، فنقول : أما الكلي الطبيعي ، فاعلم أنّ الماهية إذا أخذت من حيث هي لا غير ،

كالإنسان سمّي طبيعياً ، وهذا يعطي ما تحته من كلّ فرد اسمه وحدّه ، وإنما تطلق عليه الكلي بالنظر إلى صدقه على كلّ فرد من أفراد تلك الماهية .

بيان وجود الكلي الطبيعي

وإذا أخذت من حيث إنها صالحة لكلّ فرد ، فهذا هو الطبيعي الحقيقي ، فهل يعطي هذا كلّ فرد اسمه وحدّه أم لا ، فيه احتمالان :

فإن قلنا : إنه يعطي ما تحته من الأفراد ، فبلحاظ اتحاد حقيقة الأفراد ، وأما تمايزها وتعددها فبهيئات مشخصات خارجة عن نفس ما صدق عليه الاسم والحدّ ، فمع قطع النظر عن هذه المشخصات ، كانت كلّ حصة صالحة لما تصلح له الأخرى ، وهذا الاعتبار لا ينافيه الأخذ الأول ، ولا صحة الصدق فيه .

وإن قلنا : بعدم عطائه ، فبلحاظ تمايز الأفراد بمشخصاتها ، وهي على الأصح أنها وجودية خارجية ، لا عقلية وجودية ، أو اعتبارية .

والاحتمال الأول أصح ، وإلّا لما أعطى في الأخذ الأول ما تحته ، لوجود التمايز ، لأنه في نفس الأمر خارج عن الطبيعي من حيث هو ، سواء أخذ صالحاً أم لم يؤخذ الصلوح ، وإن أخذ معروضاً للكلي الصادق على كثيرين ، وهو ، الكلي المنطقي ، وحينئذ لا يعطي ما تحته اسمه وحدّه .

وإذا أخذ من حيث إنهما المعروض ؛ أعني الطبيعي ، والعارض ؛ أعني الكلي ، لم يعط المجموع ما تحته اسمه وحدّه ، وهذا هو الكلي العقلي فهذه الأربعة .

أما الطبيعي الكلي أعني الماهية ، بشرط لا شيء ، وبلا شرط ، وهو الذي يسمّيه أهل أصول الفقه بالمطلق ، وأنه جنس للخاص والعام ويدخل فيه ما أخذ من حيث إنه صالح للحمل على كثيرين على الأصح ، ففيه الأقوال المشار إليها قبل ، أعني أنه موجود في الخارج بذاته ، أو موجود في أفراده بذاته ، أو موجود في الذهن بذاته وفي الخارج في أفراده بالعرض ، أو هو غير موجود في الخارج لا بالذات ، ولا بالعرض ، بل هو موجود في الذهن خاصة ، لأنه من المعقولات الذهنية ، وقد قدّمنا ما يدل على الأول ، من كونه موجوداً بذاته .

وعلى الثاني من كونه موجوداً في أفراده ، وأنّ ما في الذهن فإنه ظل منتزع من الخارجي ، ومما يدل على الأول قوله تعالى : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[1] ، وقول الصادق والرضا عليهما السلام المتقدمين[2] .

---

(١) سورة الحجر ، الآية : ٢١.

(٢) قال الإمام الصادق عليه السلام : (هل سمّى عالماً قادراً إلّا لما وهب العلم للعلماء والقدرة للقادرين ، وكلّ ما ميزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم ، والباري تعالى واهب الحياة ومقدّر =

وما ذكرنا من أنّ ما شاهدته إذا غاب عنك لا تذكره ، إلّا بأن تلتفت بمرآة خيالك إلى مكانه ووقته ، فتنتقش فيها صورة مثاله في مكانه ووقته .

أما الأول ؛ فإنه ، وإن لم يقل أحد منهم به لقصور أفهامهم عن الوصول إلى إدراكه لكنه قال به أئمة الهدى عليهم السلام ، وأدركه العقل الذي يقتدي بهم ويهتدي بهداهم عن معاينة لا عن تقليد .

وأما الثاني ؛ فهو قول أكثر الحكماء على جهة البدلية ظاهراً ، وفي نفس الأمر على نحو الكل والجزء .

وأما ما اتفقوا عليه من عدم وجود ما أخذ بشرط لا شيء في الخارج ، لا بنفسه ، ولا في الأفراد فهو اتفاق منقول ، ولم يثبت النقل لقيام الدليل القاطع من الكتاب والسنّة ، ومن العقل ، كما

= **الموت ولعل النمل الصغار تتوهّم أن لله زبانيتين لأنّهما كمالها وتتصوّر أن عدمهما نقصان لمن لا تكونان له)** مشرق الشمسين للبهائي : ٣٩٨، والرواشح السماوية للميرداماد : ٢٠٦ (١٣٣) ، وبحار الأنوار : ٦٦ / ٢٩٣، وشرح إحقاق الحق : ١٢ / ١٨٦، وكتاب الوافي : ١ / ٨٩، والحكمة المتعالية للشيرازي : ٨ / ٤٢٠. وقال الإمام الرضا عليه السلام : (**ولا تقع صورة في وهم أحد إلا ، وقد خلق الله عليها خلقاً لئلا يقول قائل : هل قدر الله على أن يخلق صورة كذا وكذا ، لأنه لا يقول من ذلك شيئاً إلّا ، وهو موجود في خلقه ـ تبارك وتعالى ـ فيُعلم بالنظر إلى أنواع خلقه أنه على كلّ شيء قدير**) علل الشرائع : ١ / ١٤ ح ١٣، وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ / ٨١ ح ١.

أشرنا إليه في عدة مواضع في هذا الشرح وغيره على وجوده في الخارج وأنّ ما في الذهن لا يكون إلّا ظلّاً منتزعاً من خارجي ، بواسطة المشاهدة ، أو العلم ، أو الأخبار ، أو دلالة اللفظ ، أو توهم الخارجي ، وما أشبه ذلك .

وإن الخارجي المنتزع منه إما في عالم الأكوان من الغيب ، أو الشهادة ، وإما في عالم الإمكان ، وإما في ألواح الحق ، وإما في ألواح الباطل ، وإن كلّ شيء من ذلك مما وقع في ألواح الحق فقد خلقه الله أولاً وبالذات ، بمقتضى ما جعل من أسبابه ، وأن كلّ شيء من ذلك مما وقع في ألواح الباطل ، فقد خلقه الله تعالى ثانياً وبالعرض ، بمقتضى أعمال المبطلين ، وأحوالهم ، وأفعالهم وأقوالهم وما ينزّله إلى ذهن من تصوره من ألواح الحق وألواح الباطل : ﴿ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ .

وقد دلّت الأدلة العقلية والنقلية القطعيتان على أن القول بالحق والاعتقاد له ، والعمل به لا يرتفع من الأرض منذ هبط آدم إلى الأرض ، إلى أن ينفخ في الصور نفخة الصعق ، أو قبلها بأربعين يوماً ، ثم يتفرد بحمله ، وجه الله الذي لا يفنى إلى نفخة الفزع ، فكيف تصح دعوى الاتفاق ، ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴾(١) .

وأما القول : بأنّ ما أخذ لا بشرط موجود في الذهن بذاته ،

---

(١) سورة ص ، الآية : ٧.

ولا يوجد في الخارج إلّا بالعرض ؛ أي : بتبعية أفراده بمعنى أن أفراده في الخارج معروض له ، بعكس ما في الذهن ، كما يذهب إليه المصنف ، لأن مبنى علومه على الاعتبارات والمفهومات الفرضية .

بيان أن الوجود معروض للماهية في الخارج عارض في الذهن

وقد صرح في المشاعر وغيره ؛ بأن الوجود معروض للماهية في الخارج ، عارض لها في الذهن ، فهو مخالف للأدلة القطعية ، من النقلية والعقلية ، ومثل هذا في مخالفة الأدلة القول : بأنه غير موجود في الخارج لا بالذات ولا بالعرض ، وإما الكليان الأخيران ؛ المنطقي والعقلي فهما مما اتفقوا على عدم وجودهما في الخارج لكنه اتفاق لا يكشف عن قول المعصوم عليه السلام فيه ، بل قول جميع أهل العصمة من الأولين والآخرين عليهم أجمعين السلام ، مقابل لقول . أهل هذا الاتفاق ومخالف ، وهما موجودان في الخارج ، وأنا أدلّك عليه إن فهمت دلالتي وقبلتها هما موجودان في الصقع الذي فيه ما أُخذ بشرط لا شيء وما وجد فيه بحر الزئبق بما فيه من السفن الجارية وما وجد فيه الرجل الذي له ألف رأس وما وجد فيه مثل الوجوب والقدم والإمكان والحدوث والفوقية والتحتية وأمثال هذه مما أنكروا وجودها ولكن كما قال الله سبحانه : ﴿ بَلْ

عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾(١) .

قوله : (فالكلي الطبيعي أعني الماهية بلا شرط ليس بقديم ، ولا حادث ، إلى آخره) ، يريد به أن الشيء المأخوذ بدون شرط لا يضاف إليه حينئذ شرط لا قدم ، ولا حدوث ، لخروجهما عن نفس مفهوم الشيء ، فإذا نسب أحدهما إلى ذلك ، كانت نسبة خارجية .

ولمّا كان المصنف يرى أنه غير موجود في أفراده ، كانت نسبة أحدهما إليه تابعة لنسبة أحدهما إلى أفراده ، فإن كانت أفراده حادثة ، نسب إليه الحدوث ، بتبعية حدوث أفراده ، وإن كانت قديمة نسب إليه القدم ، بتبعية قدمها وهذا يشعر بأنه انتزاعي ظلي وهذا كما قال في تبعية ما في الذهن لما في الخارج ولكن في كلامه شيئان :

أحدهما : أن ما في الذهن ظل المحكوم عليه بشرط لا وبلا شرط وهما في الخارج كما قلنا .

وثانيهما : أن قوله (وكذا قدمه لقدمها) ، لأن هذا الكلام ، وإن كان تصويره مستقيماً في فرض الحدوث ، لكنه لا يستقيم في

---

(١) سورة الصافات ، الآيات : ١٢ ـ ١٤ .

شأن القديم ، إلّا إذا أريد به القديم اللغوي والشرعي ، وهو من له ستة أشهر فصاعداً .

بيان المراد من القديم عند العرف الخاص

وأما على ما يريد به أهل العرف الخاص ، فالقديم لا يصح في شأنه فرض التعدد ، لا خارجاً ، ولا ذهناً ، لأن الفرض من الإمكان ، ولا يصح إلا في الممكنات .

وأيضاً لا يتصور الذهن ، ولا العقل للقديم ، ظلًّا منتزعاً ، ولا عارضية ، ولا معروضية ، ولا تابعية ، ولا متبوعية لا فرضاً ، ولا تجوزاً واحتمالاً ، فإذا تصور شيئاً فليس للقديم ، ولا ينسب إليه إلّا لفظاً كما ينسب المشركون والكفار الولد والصاحبة إلى القديم ، فإنهم لا يصيبون بنسبتهم إلّا حادثاً وكذلك اللفظ لا يصح على القديم ، ولا يقع إلّا على حادث ، إلّا بما وصف نفسه القديم به وأثنى به على نفسه تعالى ، فإنهم إذا تلفظوا به وتعقلوه ، قَبِلَه تعالى منهم ، وإن لم يقع عليه ، ولا يصل إليه ، ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾(١) .

والمصنف لما جوز وقوع مفهوم مغاير للواجب تعالى ، متحد معه في المصداق قال ما قال .

---

(١) سورة فاطر ، الآية : ٣٤.

وعندنا أن من يصح في شأنه ذلك ليس هو الله معبودنا ، لأنّا نعبد إلهاً واحداً في الفؤاد ، وفي العقل ، وفي الذهن ، وفي الفرض ، والاحتمال ، وفي كلّ حال كما هو في الخارج ، وفي نفس الأمر لا إله إلّا هو وحده لا شريك له .

بيان أن الكلي الطبيعي واحد شخصي

وقوله : (ليس في حدّ ذاته واحداً شخصياً محصّل الوجود فلا دوام له في ذاته) ، فيه أنّا قد بيّنا أنه أي الكلي الطبيعي واحد شخصي شخصية إضافية ، وأنه محصّل الوجود خارجاً بنفسه ، وفي أفراده ، ومع هذا فلا دوام له في ذاته من ذاته ، ولا في حاله ، بل هو قائم بفعل الله قيام صدور وبأمر الله قيام تحقق قياماً ركنياً ، وما في الأذهان من ظله المنتزع منه قائم بفعل الله قيام صدور وبهيئة الخارجي الإشراقية قائم قيام تحقق وبهيئة الذهن من صفاء وكبر واستقامة وأضدادها قائم قيام ظهور وكون فلا دوام له في ذاته .

والمصنف إنما قال : في ذاته ؛ لأنه يريد به ما كانت أفراده قديمة ، لأنه من حيث كونه غير محصّل الوجود ، ليس له دوام من ذاته ولكنه من كونه تِابعاً لأفراده في القدم ، يكون له دوام عرضي لكونه في علم القديم تعالى ، وهذا مبني على أصله ، وهو أصل عندنا ، بل عند الله مجتث لما بيّنا لك .

وإذا كانت الأفراد كلها حادثة ، فلا دوام له لا بالذات ؛ لأنه ظلي متجدد الذات ، ولا بالعرض ؛ لكونه تابعاً لحادث غير دائم .

وإنما قال : وإذا كانت الأفراد كلها ، فأكدها بكلها للعموم ، لأن الأقسام عنده ثلاثة في اعتبار عقله .

أقسام الكلي الطبيعي

١ ـ أن كل أفراد الطبيعي الكلي حادثة

الأول : تكون أفراد الطبيعي الكلي كلها حادثة ، وفي هذا لا دوام له مطلقاً .

٢ ـ أن كل أفراد الطبيعي الكلي قديمة

الثاني : تكون الأفراد كلها قديمة ، وفي هذا يكون لا دوام له في الذات ، وله دوام بالعرض ، وذلك لنزوله منزلة إشراق المشرق الدائم .

٣ ـ أن بعض أفراد الطبيعي الكلي حادثة وبعضها قديمة

الثالث : تكون الأفراد بعضها قديم وبعضها حادث ، كما هو معتقده لقوله : (بأن الوجود مقوّل على الواجب والممكن بالاشتراك المعنوي) .

وهذا الثالث يفهم من قوله : (كلها) .

وقوله : (إلّا في علم الله تعالى) ، يعني أن الطبيعي الكلي في علم الله تعالى ، وما في علمه الذي هو ذاته لا يفنى ، كما قال تعالى : ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾(١) وهذا صحيح ، إلّا في قوله : (إلّا في علم الله) ، فإنه يريد أن الأشياء كلها في علم الله تعالى ، وليس كذلك لأنه يريد أن حقائق الأشياء في علمه الذي هو ذاته ، وقد قلنا لك : إن ذاته ليس فيها شيء غيرها ، بل العلم في الأزل ، والمعلوم في الحدث حقيقته وصورته ، وكل شيء منه في الحدث والوجوب مبرء منزّه عن كلّ شيء غير خالص ذاته لأنه هو خالص ذاته تعالى لا غير .

ولو أراد ما أراد أئمة الهدى عليهم السلام ، بقوله : (إلّا في علم الله تعالى) ، لما اعترضنا عليه لأنّا دائماً نقول : كلّ شيء في علم الله تعالى ، ونريد أن علمه الذي هو ذاته ومعلومه الذي هو ذاته هو الأزل .

وأما معلومه الذي هو غير ذاته ، فهو في الحدث والتعلق الإشراقي به في الحدث ، فافهم .

قال : (وأمّا النفوس بما هي نفوس فوجوداتها أيضاً متبدّلة حادثةٌ أو حكمها حكم سائر المنطبعات في المواد إذ نحو وجودها تعلقي والوجود التعلقي يتبدل بتبدل ما يتعلق به من الأجسام والنفس ما

---

(١) سورة النحل ، الآية : ٩٦.

دامت نفساً متحدة بالبدن بجنبها الأيسر وجنبها السفلي وهي الطبيعة ، ولها بالقوة جهة عقلية وجنبة عالية إذا خرجت بحسبها من القوة إلى الفعل تصير عقلاً محضاً هو صورة نوعها) .

قول المصنف : وأمّا النفوس بما هي نفوس فوجوداتها متبدّلة

بيان معنى النفوس

رأي المصنف

أقول : قوله : (وأما النفوس) ، أوله يشعر بأن المراد منها النفوس الحيوانية الحسّية التي هي من الأفلاك .

وآخره يشعر بأن المراد منها النفوس الناطقة القدسية ، وإذا ضم أوله إلى آخره أشعر بمراده ، بأن النفس واحدة جسمانية ، مادية متحدة بالأجساد العنصرية ، وفيها بالقوة جهة عقلية ، إذا عولجت بالرياضات ، والعلوم والأعمال ، كان ما بالقوة فيها بالفعل ، فكانت عقلاً وليس عقل غيرها .

رأي أهل البيت عليهم السلام

والمعروف في العقول المستنيرة ، بنور هداية محمد وأهل بيته صلى الله عليه وآله ، أن النفس الحسية من الأفلاك ، وهي النفوس الحيوانية المتحركة بالإرادة ، وهي ، وإن وجدت في

الإنسان إلّا أنها مغايرة للنفس الناطقة القدسية ، التي أصلها العقل ، والنفس الحيوانية ، مَرْكَب لناطقة القدسيّة المجردة عن المواد العنصرية والمدد الزمانية وهي مَركب العقل ومظهره ، والمروي عن أمير المؤمنين عليه السلام شاهد لما قلنا .

أقسام النفوس

ففي الكافي[1] عن كميل بن زياد ، قال سألت مولاي أمير المؤمنين عليه السلام ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أريد أن تعرّفني نفسي ؟

فقال يا كميل : **(وأي الأنفس تريد أن أعرفك) ؟**

فقلت : يا مولاي هل هي إلّا نفس واحدة ؟

قال : **(يا كميل إنما هي أربع ؛ النامية النباتية والحسية الحيوانية والناطقة القدسية والكلية الإلهية . ولكل واحد من هذه خمس قوى وخاصيتان ؛ فالنامية النباتية لها خمس قوى : ماسكة وجاذبة ، وهاضمة ودافعة ومربية ، ولها خاصيتان : الزيادة**

---

(١) هو لمحمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي ، ويعرف بالسلسلي البغدادي أبو جعفر الأعور .
كان زمن وكلاء الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه ، انتهت إليه رئاسة فقهاء الإمامية في أيام المقتدر .
توفي في بغداد في شهر شعبان سنة ٣٢٩ هـ ، وقيل ٣٢٨ هـ .

والنقصان ، وانبعاثها من الكبد . والحسية الحيوانية لها خمس قوى : سمع ، وبصر ، وشم ، وذوق ، ولمس ، ولها خاصيتان ؛ الرضا والغضب ، وانبعاثها من القلب . والناطقة القدسية لها خمس قوى : فكر وذكر ، وعلم وحلم ونباهة ، وليس لها انبعاث ، وهي أشبه الأشياء بالنفوس الملكية ، ولها خاصيتان ؛ النزاهة والحكمة . والكلية الإلهية لها خمس قوى : بقاء في فناء ونعيم في شقاء ، وعز في ذلّ ، وفقر في غنًى ، وصبر في بلاء ، ولها خاصيتان : الرضا والتسليم ، وهذه التي مبدؤها من الله ، وإليه تعود ، قال الله تعالى : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾(١) ، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ ﴾(٢) والعقل وسط الكل)(٣) انتهى .

وروي عنه أن أعرابيّاً سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن النفس .

فقال عليه السلام : **(عن أي الأنفس تسأل ؟)** .

فقال : يا مولاي هل النفس أنفس عديدة ؟

---

(١) سورة الحجر ، الآية : ٢٩، وسورة ص ، الآية : ٧٢.
(٢) سورة الفجر ، الآيتان: ٢٧ ، ٢٨.
(٣) بحار الأنوار : ٥٨ / ٨٥، مستدرك سفينة البحار : ١٠ / ١١٣، والتفسير الصافي : ٣ / ١١١، ومجمع البحرين للمرندي : ٤ / ٣٤٨.

فقال عليه السلام : (نعم نفس نامية نباتية ، ونفس حيوانية حسية ، ونفس ناطقة قدسية ، ونفس إلهية ملكوتية) .

فقال : يا مولاي ما النباتية ؟ .

قال عليه السلام : (قوة أصلها الطبائع الأربع ، بدءُ إيجادها عند مسقط النطفة ، مقرها الكبد ، مادتها من لطائف الأغذية ، فعلها النمو والزيادة ، وسبب فراقها اختلاف المتولدات[1] فإذا فارقت عادت إلى ما منه بُدئت عود ممازجة لا عود مجاورة) .

فقال : يا مولاي وما النفس الحيوانية ؟

قال عليه السلام : (قوة فلكية ، وحرارة غريزية ، أصلها الأفلاك ، بدءُ إيجادها عند الولادة الجسمانية ، فعلها الحياة ، والحركة والظلم ، والغشم والغلبة ، واكتساب الأموال ، والشهوات الدنيوية ، مقرها القلب ، سبب فراقها اختلاف المتولدات ، فإذا فارقت عادت إلى ما منه بُدئت عود ممازجة لا عود مجاورة فتنعدم صورتها ويبطل فعلها ووجودها ويضمحل تركيبها) .

فقال : يا مولاي وما النفس الناطقة القدسية ؟

قال : (قوة لاهوتية ، بدءُ إيجادها عند الولادة الدنيوية ، مقرها العلوم الحقيقية الدينية ، موادها التأييدات العقلية ، فعلها

---

(١) في نسخة : (المولدات) .

المعارف الربانية ، فراقها عند تحلل الآلات الجسمانية ، فإذا فارقت عادت إلى ما منه بُدِئَت عود مجاورة لا عود ممازجة) .

فقال : يا مولاي وما النفس اللاهوتية الملكية ؟

قال : (**قوة لاهوتية وجوهرة بسيطة حية بالذات ، أصلها العقل ، منه بُدِئَت ، وعنه وَعَت[١] ، وإليه دلّت وأشارت ، وعودتها إليه إذا كملت وشابهته ، ومنها بُدِئَت الموجودات ، وإليها تعود بالكمال ، فهي ذات الله العليا ، وشجرة طوبى ، وسدرة المنتهى ، وجنة المأوى ، من عرفها لم يشق ، ومن جهلها ضل سعيه وغوى**) .

فقال السائل : يا مولاي وما العقل ؟

قال عليه السلام : (**العقل جوهر درّاك ، محيط بالأشياء من جميع جهاتها ، عارف بالشيء قبل كونه فهو علة الموجودات ونهاية المطالب**)[٢] انتهى .

أقول : وقد ذكرت في شرح المشاعر[٣] بعض بيان هذين الحديثين ، بما ينفع هاهنا ، إلّا أن ذكره ، أو مثله يطول .

ولكن ظاهر كلام المصنف حيث يقول : إن وجودها تعلقي ،

---

(١) في بعض المصادر : (دعت) .

(٢) شرح الأسماء الحسنى للسبزواري : ٢ / ٤٦ ، والتعليقة على الفوائد الرضوية للقمّي : ١١١ ، وشرح الأربعين للقمي : ٢٨٥ .

(٣) في الجزء الثاني .

والتعلقي يتبدّل بتبدّل ما يتعلق به من الأجسام والنفس ما دامت نفساً متحدة بالبدن بجنبها الأيسر ، وهذا ظاهره إنما يصدق على الحيوانية الحسية ، أو مع النامية النباتية وهاتان النفسان ليس في واحدة منهما ، ولا فيهما معاً قوة تحصل برياضة ، أو بأعمال ، لأن تكون عقلاً إنسانياً لا بالفعل ، ولا بالقوة على نحو الاستقلال .

وإنما قلت بالاستقلال لأنهما مع المتمم يمكن ذلك فيهما ، فإن الله سبحانه لو أراد ذلك كمّلهما بإمداداته وتأييداته ، بأن يقلبها عقلاً ، أو عاقلاً ، وهو على كلّ شيء قدير .

بيان النفس الناطقة القدسية

وأما النفس الناطقة القدسية ، التي توهم المصنف أنها هي التي عناها بوصفه ، فهي في الإنسان الجزئي ، كاللوح المحفوظ في الإنسان الكلي ، وهي النفس اللاهوتية الملكية ، التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام أخيراً بأنها ذات الله العليا يعني اللوح المحفوظ ، فإن النفس القدسية كلمة من ذلك الكتاب وشعاع من أشعته .

وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في الكلية الملكية التي هي اللوح المحفوظ : (**أصلها العقل منه بُدِئَت ، وعنه وعت**[1] **وإليه**

---

(١) في بعض المصادر : (دعت) .

دلت وأشارت ، وعودتها إليه إذا كملت وشابهته[١])[٢] .

فقوله عليه السلام : (**إذا كملت وشابهته**) ، يعني أنها إذا بلغت الرتبة السابعة للنفس وهي الكمال الذي هو غاية مبلغها شابهته ، أي : شابهت العقل ، وتكون أخته لا تفعل إلّا ما يريد منها ، ولا تحب إلّا ما يحب وهذا تأويل قوله تعالى : ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾[٣] ، لأن العقول يعلموهنّ مما علّمهم الله من امتثال جميع أوامره واجتناب جميع ما نهى عنه ، لا أنّها تنقلب عقلاً فيكون اللوح المحفوظ هو القلم ، وفي الباطن أيضاً لو صح ما ادّعاه كان علي عليه السلام هو رسول الله صلى الله عليه وآله ، لأن عليّاً عليه السلام وصل مبلغ ما يمكن له بالفعل إلّا أن العقل الذي هو القلم غير النفس التي هي اللوح المحفوظ ورسول الله صلى الله عليه وآله غير علي عليه السلام .

والنفس الناطقة القدسية في الجزئي ، كزيد إذا كملت ، فكان ما بالقوة فيها بالفعل ، كانت أختَ عقله كالكلية في الكلي ، لا أنها هي عقله ، كما زعم المصنف من أن العقل لا وجود له ،

---

(١) في بعض المصادر : (شابهت) .

(٢) شرح الأسماء الحسنى : ٢ / ٤٦ ، والتعليقة على الفوائد الرضوية : ١١١ .

(٣) سورة التوبة ، الآية : ١١ .

وإنما الموجود النفس ، إذا كملت كانت عقلاً ، كما يأتي في كلامه .

فإنّ من قال بهذا فهو صادق في حق نفسه ، وكيف لا يكون العقل غير النفس ، وسيد العارفين أمير المؤمنين عليه السلام قال : (**إن النفس أصلها العقل منه بُدئت وعنه وعت وإليه دلّت وأشارت**) ، وهذه الكاملة ولم يجعلها هي العقل وقال : (**إذا كملت وشابهته**) .

وقال عليه السلام في رواية كميل الأولى ، بعد ذكر جميع النفوس : (**والعقل وسط الكل**) ، يعني أنه لب النفوس الأربع وروحها ، وهو صريح في أنه غيرُها .

بيان مِمَ يتكون البدن

وأما قول المصنف : (متحدة بالبدن ، . . . إلخ) ، صريح في أن المراد منها الجسم العنصري وهي النباتية لا غير .

وإن أراد بالاتحاد السريان احتمل تناول الحسية لأنها شعلة من نفوس الأفلاك ، وقد ذكرنا ذلك ، وهو أن البدن سار فيه الدم والدم متعلق بالعلَق التي في تجاويف القلب ، أعني الجسم الصنوبري في الجانب الأيسر منه أكثر كما يشير إليه المصنف بقوله بجنبها الأيسر .

بيان الدم الأصفر وخاصيته

والعلَق متقوّم بدم أصفر ، حامل للحرارة الغريزية بأبخرته ، لأن الأبخرة مركّبة من جزء من الحرارة النارية ، وجزأين من الرطوبة الهوائية ، وجزأين من البرودة المائية ، وجزء من اليبوسة الترابية ، فامتزجت الأجزاء الخمسة ، من العناصر الأربعة ، بالطبائع الأربع ، وبكرّ الأفلاك وإلقاء أشعة الكواكب ، حتى نضجت الأجزاء نضجاً معتدلاً وتلطفت بالطبخ حتى ساوت الأجزاء في اللطافة والاعتدال فلك القمر ، فأشرقت نفسه على تلك الأجزاء ، فتحرّكت بالحركة الإرادية ، ولذا قال عليه السلام : (**قوة فلكية ، وحرارة غريزية ، أصلها الأفلاك**)(١) ، وهذه هي النفس الحيوانية الحسية ولا تكون عقلاً لأنها إذا فارقت تلك الأبخرة رجعت إلى نفس الفلك فامتزجت به كامتزاج قطرة الماء بالبحر ، وهو قوله عليه السلام : (**فإذا فارقت عادت إلى ما منه بُدِئَت ، عَوْد ممازجة لا عَوْد مجاورة**)(٢) فتنعدم صورتها ويبطل فعلها ووجودها ، ويضمحل تركيبها ، فإن كان يعتقد أن أمير المؤمنين عليه السلام ، كان عارفاً بالنفس ، كان كلامه كلّه خطأ .

---

(١) انظر شرح الأسماء الحسنى : ٢ / ٤٦ .

(٢) شرح الأسماء الحسنى للسبزواري : ٢ / ٤٦ ، والتعليقة على الفوائد الرضوية للقمّي : ١١١ وقد تقدم الحديث .

وقوله : (تصير عقلاً محضاً هو صورة نوعها) ، فيه ما قلنا ، فإن العقل لا يكون صورة نوع الأجسام المتحدة بالعنصريات ، بل صورة نوع الناطقة القدسية التي هي من المفارقات بذاتها .

قال : (وأما المفارقات المحضة ، والصور المجردة ، ففيها كلام آخر ، يعرفه الموحدون المكاشفون ، من أن لا وجود لها بحسب أنفسها وذواتها مطموسة منغمسة في بحر الأحدية ، وهي صور ما في علم الله وحُجُب الإلهية وسرادقات عظمته ، ولو لم تكن هذه الحجب النورية (لأحرقت سبحات وجهه كلّ ما في السماوات والأرضين[١])[٢] كما ورد في الحديث ، فله سبحانه شؤون إلهية ومراتب نوريةٍ ليست هي من أفراد العالم ، ولا من جملة ما سوى الله لأنها صور ما في الفضاء والعالم الربوبي) .

قول المصنف : وأما المفارقات المحضة ، والصور المجردة

أقول : (وأما المفارقات المحضة) ، يعني الخالصة احترازاً عمّا فيه اقتران ولكنه يخرج النفوس ، وإن كانت مفارقة بالذات لأنها مقارنة بالأفعال ، والأفعال عنده تتحد بالذات فتخرج النفوس عن المفارقات المحضة .

---

(١) في بعض المصادر : (كلّ ما أدركه بصره) .

(٢) شرح أصول الكافي : ٤ / ١٢٩ ، وبحار الأنوار : ٧٣ / ٣١ .

والقياس على قاعدته أنها تدخل في المفارقات المحضة ، لأن الأفعال إذا اتحدت بالذات كانت بحكم الذات ، فتكون أفعالها مفارقة بالذات كالذات ، وإن اقترنت بالعرض فالحكم للذاتي لا للعرضي ، فإخراجها لا يصح على قاعدته ، ولا على قاعدتنا .

ويريد بالصور المجردة الصورة العلمية ، وهي في علمه الذي هو ذاته ، ولا يصح هذا الكلام سواء جعل الصور في علمه الذاتي لأنها في ذاته أم خارجة عن الذات لازمة له معلقة بها تعلق الظل بالشاخص ، يعني أنها هاتين المفارقات المحضة والصور المجردة فيها كلام أي لها توضيح لغامض سرّها يعرفه من عرفه الله سبحانه ذلك ، ولا شك أن ذلك من الأسرار إلّا أنه لا يعرفه إلا المكاشفون ويعني بهم الصوفية ، فليس بصحيح ، وإنما يعرفه من عرّفه الله وهم المعصومون عليهم السلام ، ومَن اقتصر على الأخذ منهم .

بيان الأحدية عند الصوفية

ثم إنه بين تلك الأسرار على ما عنده وعند أصحابه الصوفية ، فقال : (من أن لا وجود لها بحسب أنفسها وذواتها مطموسة منغمسة في بحر الأحدية) .

ويريد أن الوجود المنسوب إليه ليس وجوداً لها ، وإنما هو

وجود الحق سبحانه وتعالى ، فهي الله بلا هي ، كما يقول هو وأتباعه وأصحابه : أنا الله بلا أنا لأنه مبني على القول : بوحدة الوجود .

وإنما قال : (وذواتها مطموسة) ، لأن مشخصاتها موهومة ، مثل خط المهر في القرطاس ، فإنه أبيض لأنه جزء من القرطاس ، وإنما تميز أنه خط بتحديد المداد من المهر ، فالخط الأبيض ذاته مطموسة في القرطاس ، ولا شك أن هذا هو وحدة الوجود ، لأن القرطاس والخط الأبيض من المهر شيء واحد ، والمداد المحدد للخط ولهذا قال : (**منغمسة في بحر الأحدية**) .

قال في كتاب السير[1] : (المرتبة الأحدية ، هي المرتبة المستهلك فيها جميع الأسماء والصفات ، وتسمّى جمع الجمع) انتهى .

---

(١) هو لمحمد بن إبراهيم الشيرازي (صدر الدين) حكيم ، من أهل شيراز .
توفي سنة ١٠٥٠ هـ ١٦٤٠ م .
رحل إلى أصبهان وتعلم فيها ، وتوفي بالبصرة ، وهو متوجه إلى مكة حاجاً .
له تصانيف كثيرة منها : تفسير بعض سور من القرآن ، شرح هداية الحكمة للأبهري ، مفاتيح الغيب ، شرح الكافي للكليني ، والشواهد الربوبية في المناهج السلوكية .
انظر الفوائد الرضوية للشيخ عباس القمي : ٣٧٨ - ٣٨١، وهدية العارفين للبغدادي : ٢ / ٢٧٩.

وقال عبد الكريم الجيلاني[١] في كتابه الإنسان الكامل : (والأحدية عبارة عن مجلًى ذاتي ليس للأسماء ، ولا للصفات ، ولا لشيء من مؤثراتها فيه ظهور فهي اسم لصرافة الذات المجردة عن الاعتبارات الحقية والخلقية) انتهى ، وهذا تفسير الصوفية للأحدية .

والمصنف الظاهر من كلامه هنا ، وغيره أنه يريد ما أرادوا من أول تجلّ للذات البحت ، ما تجلّت بذاتها فيه ، من غير فعل ، ولا إرادة وأعلى مظاهرها هو الألوهية ، وهي عندهم جميع حقائق الوجود وحفظها في مراتبها ، قال في الإنسان الكامل : (وأعني بحقائق الوجود أحكام المظاهر مع الظاهر فيها أعني الحق والخلق) انتهى .

والأحدية عندهم أعلى الأسماء التي تحت هيمنة الألوهية ، فيريد المصنف بانغماس تلك المجردات أن ذلك المظهر الذاتي أي بالذات من غير فعل ، ولا إرادة غيرالعلم الذاتي كما مثّلنا

---

(١) هو الشيخ عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم بن خليفة بن أحمد بن محمود الجيلي أو الجيلاني (الكيلاني) . والجيلاني أو الجيلي نسبة لجيلان من أعمال فارس .
ولد سنة ٧٦٧ هـ (١٣٦٥ م) وقيل سنة ٧٧٧ هـ .
مات سنة ٨٠٥ هـ (١٤٠٢ م) وقيل ٨٢٠ هـ وقيل ٨٣٢ هـ .
انظر ترجمته في معجم المؤلفين لعمر كحالة : ٣١٣، وكشف الظنون : ١٥٢٥.

بالقرطاس ، وهو الأحدية أنّ تلك المفارقات المحضة منغمسة فيه كانغماس الخط الأبيض من المهر في القرطاس والأحدية وما فيها بعد رتبة الألوهية وهي بعد رتبة الذات ووجود الكل نفس وجود الذات ، إذ الكل أزلي والكل واجب بوجود الذات ، وأن هذه المفارقات المحضة لم تدخل تحت كن وهي صور ما في علم الله فتلزمه في كلماته مفاسد منها ما يلتزمها ويرى أنها مصالح لا مفاسد وأنها مذهب أئمتنا عليهم السلام ، ومنها تلزمه من غير شعور فمن الأول القول بوحدة الوجود ، ومنها أنها أشياء غير الله تعالى معه ، وأنها غير مجعولة بل هي لوازم الذات وشؤونه .

كفر من قال بوحدة الوجود

ومنها أنها متغايرة متمايزة غير مغايرة لذاته وأنها خارجة عن ذاته لأن رتبتها بعد رتبة ذاته وأنها صور علمه الذي هو ذاته وأنها معلقة بالذات تعلق الظل بالشاخص ، وأن وجوداتها من سنخ وجوده وأمثال هذه المفاسد وكلها يلتزمها وما يلزمه فيها ، وفي أمثالها ما ذكرنا فيما تقدم كثيراً من ذلك أن القول بوحدة الوجود نقل علماء الشريعة الإجماع الكاشف عن دخول قول صاحب الشريعة عليه السلام على كفر القائل به ، مع ما دلّت الأخبار الصحيحة على ذلك ، ومع بطلان الوعد والوعيد والثواب والعقاب ، بل أصل الجنة والنار وبطلان النظام ، ومن ذلك تعدد

القدماء ، وأن الأشياء قديمة وهي لوازم الذات وإثبات اللوازم للذات موجب لحدوث الذات لما بينهما من الاقتران المستلزم للاجتماع ، أو الافتراق ، وأن شؤون الذات ليست مع الذات في رتبتها ، فإثبات القدم لها تناقض إذ القديم هو الذي لا يسبق بغيره ، ولا يفقد في رتبة قبله وكذا إذا كانت متمايزة غير مغايرة للذات البسيطة الأحدية المعنى ، وكذلك كونها خارجة عن ذاته وكذا في كونها صور علمه الذي هو ذاته وأنها معلقة بالذات وكذا ما بين هذه وبين كونها عين ذاته ومن سنخ وجوده إذ هذا كلّه هو المعروف من خطاب صاحب الشريعة عليه السلام الذي أمره الله أن تبلّغ المكلفين ما أرسله به ، فإن كان قول هؤلاء حقّاً فما بلّغ رسول الله صلى الله عليه وآله رسالة ربه لأنه خاطبهم بغير ما أراد الله من أمره ونهيه .

وما أشرنا إليه من مراد المصنف هو مثل قوله : (فله سبحانه شؤون إلهية ومراتب نورية ليست هي من أفراد العالم ، ولا من جملة ما سوى الله) فإذا ثبت شؤون ومراتب ليست من أفراد العالم ، ولا من ما سوى الله وهي كثيرة متعددة متغايرة وليست هي سواه كان هو تعالى متعدداً متغايراً .

وقوله : (لأنها صور ما في القضاء الإلهي والعالم الربوبي) ، يريد أن المفارقات المحضة هي صور العلم والحكم

الإلهي ويريد بالعلم القديم والحكم بالرضا ، أو العناية على ما يريدون منهما .

ويرجع محصل كلامه على معنى ما ذكرنا مما لا فائدة في إعادته .

بيان الملائكة المهيّمين

قال : (وتلك الصور هم المهيَّمون ، الذين لم ينظروا إلى ذواتهم قط ، لفنائهم عن ذواتهم ، واندكاك جبل إنياتهم مع كونهم أشعة وأضواء عقلية للنور الأول ، باقية ببقائه لا بإبقائه ، وليست هذه الرسالة ما يسع فيه بيان هذا المطلب الغامض الشريف . والمقصود هاهنا الإشارة إلى حدوث الأجسام وصورها وقواها ، وأما العقل فلم يثبت وجوده عندنا والمتكلمون أنكروه فلا حاجة إلى أن نتكلم في حدوثه) .

قول المصنف : وتلك الصورة هم المُهيّمون الذين لم ينظروا

أقول : يشير إلى أن تلك الصور العلمية ملائكة هيمنتهم أنوار جمال الله وحبه حتى أنهم لم ينظروا إلى ذواتهم بل قصروا أنظارهم على النظر إلى جماله فهيّمهم حبه عن ذواتهم وفنوا عنها وهذا إلى هنا كلّه صحيح .

وظاهر كلامه الأول يخالف هذا ، حيث قال : من أن لا

وجود لها بحسب نفسها وذواتها مطموسة منغمسة في بحر الأحدية ، لأنه يدل على فناء وجودها بحسب نفسها بل هي ممتزجة بالأنوار الأحدية وليس كذلك ، وإنما فنيت في تلك الأنوار فناء وجدان لا فناء وجود .

وإن أراد بقوله : (بحسب نفسها) ، بمعنى عند أنفسها فحسن إلّا أن العبارة إنما تدل بمعونة باقي الكلام ، وإنما وجهنا عبارته هذه فيما سبق على غير ما تحتمله من الصحة لأنه هو المعلوم من مذهبه فحملناها على مذهبه لا على ما تحتمله .

وقوله : (واندكاك جبل إنياتهم مع كونهم أشعة وأضواء عقلية) ، إن أراد بالاندكاك الفناء أصلاً فهو غلط ، وكل من قال بالفناء من الصوفية فقد غلط لأنه الفناء الذي يتحقق به كمال وصول العبد هو أن يبقي من إنيته ما يصلح به شعور ما يكون غير ناظر إلى نفسه ويكون به ناظراً إلى ربه .

وأما الذي يريدونه فهو في الحقيقة عن نفسه فهو إغماء لا يحس بشيء لا بنفسه ، ولا بغيره ، ولا بربّه ، ولهذا حكم أكثر الفقهاء ببطلان وضوئه ولو كان ذلك وصولاً لما انتقض وضوءه .

وروى ابن حمزة من علمائنا عنهم عليهم السلام : (**نقض الوضوء بالإغماء**)[1] .

---

(١) انظر بحار الأنوار : ٧٧ / ٢١٥ أبواب الوضوء ، الباب الأول .

بيان الفناء المذموم والممدوح

وذكر للصادق عليه السلام عن أهل هذه الطريقة ، وأن الرجل منهم ليصعق حتى يقع فقال عليه السلام : (**ما بهذا أمروا**)(١) .

وأما الفناء المحمود فهو أن يشعر بربه ، إلّا أنه كالذي في النار ، وكما قال الصادق عليه السلام ، في وصف الصادقين ، قال عليه السلام : (**ومثل الموصوف بما ذكرنا أن يكون كمثل النازع روحه إن لم ينزع ، فماذا يصنع**)(٢) انتهى .

وما ذكره بعض منهم عبد الكريم الجيلاني في كتابه الإنسان الكامل : (إن الوصول ليس هو الفناء في الله ، وإنما هو البقاء بالله) ، وهو ردّ منه على القائلين بالفناء ، ولكنه لم يرد ما نريد به من أن الواصل هو من وجد الله لا غير ، وإنما يريد أن الواجد والموجود والوجدان شيء واحد ، ولهذا يقولون هو وأصحابه أنا الله بلا أنا وكذبوا ، وإنما هم حمير من سائر خلق الله الذين أصواتهم وكلامهم أنكر الأصوات .

---

(١) قال جابر : قلت لأبي جعفر عليه السلام : إن قوماً إذا ذكّروا بشيء من القرآن أو حدّثوا به صعق أحدهم حتى يرى أنه لو قطعت يداه ورجلاه لم يشعر بذلك ، فقال : (**سبحان الله ذلك من الشيطان الرجيم ما بهذا أمروا ، إنما هو اللين والرقة والدمعة والوَجل**) . روضة الواعظين : ٣٩١، وأمالي الصدوق : ٣٢٨ ح ٣٨٧.

(٢) بحار الأنوار : ٦٨ / ١١ ح ١٨.

بل الواصل من لم يجد بالوجدان الذاتي إلّا الله ، وله جهة بها يجد عرضية كالناظر في المرآة ليرى وجهه ، فإنه يرى الزجاجة بالعرض وإذا نظر إلى صفاء زجاجة المرآة فإنه ينظر وجهه بالعرض .

ولم يصل أحد من حمير الصوفية وأتباعهم الرعاع ، أتباع كلّ ناعق ، مثل ما وصل رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة المعراج ، من مقام ، أو أدنى ، ولا فني أحد كفنائه ، وبقي من إنيته جهة عرضية بها ، سمع الخطاب وردّ الجواب .

وقد أشار الصادق عليه السلام إلى ما قلنا ، كما رواه في الكافي ، قال عليه السلام إلى أن قال : (**وكان كما قال الله تعالى : ﴿ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾**(1)) .

فقال له أبو بصير : ما ﴿ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ ؟ .

قال : **(ما بين سيتها إلى رأسها فقال : كان بينهما حجاب يتلألأ بخفق ، ولا أعلمه إلّا وقد قال : زبرجد . . .)**(2) الحديث .

---

(1) سورة النجم ، الآية : ٩ .

(2) الكافي : ١ / ٤٤٣ ح ١٣ ، وبحار الأنوار : ١٨ / ٣٠٦ ح ١٣ ، وتفسير نور الثقلين : ٥ / ١٥٠ ح ٢٣ ، والتفسير الصافي : ٥ / ٨٧ ، و٧ / ٢٦ . قال أبو بصير لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك كم عرج برسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فقال : **(مرتين فأوقفه جبرئيل موقفاً فقال له : مكانك يا محمد =**

والمراد بالحجاب والله أعلم إنيته .

وقوله : (يتلألأ بخفق) ؛ أي : باضطراب يكاد يفنى من سطوات الأنوار ولم يقل ليس بينهما ، أو فني أصلاً بل قال باضطراب .

بيان كيفية اندكاك الجبل لموسى وتجلّي النور فيه

وأما التشبيه باندكاك الجبل لموسى عليه السلام فهو تشبيه مطابق من جهة المعنى ، فإن جبل موسى عليه السلام لما تجلّى له النور تقطع ، فكان ثلثه ذراً ، وهو الموجود في الهواء بين الأرض والسماء .

وثلث منه ساخ في البحر وثلث ساخ في الأرض فهو يهوي

= فلقد وقفت موقفاً ما وقفه ملك قط ولا نبي ، إن ربك يصلي فقال : يا جبرئيل وكيف يصلي ؟ قال : يقول : سبوح قدوس أنا رب الملائكة والروح ، سبقت رحمتي غضبي ، فقال : اللهم عفوك عفوك ، قال : وكان كما قال الله : ﴿ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [النّجم : ٩] ، فقال له أبو بصير : جعلت فداك ما قاب قوسين أو أدنى ؟ قال : ما بين سيتها إلى رأسها فقال : كان بينهما حجاب يتلألأ يخفق ولا أعلمه إلّا وقد قال : زبرجد ، فنظر في مثل سم الإبرة إلى ما شاء الله من نور العظمة ، فقال الله تبارك وتعالى : يا محمد ، قال : لبيك ربي قال : من لأمتك من بعدك ؟ قال : الله أعلم ، قال : علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وسيد المسلمين وقائد الغرّ المحجلين ، قال ثم قال أبو عبد الله لأبي بصير : يا أبا محمد والله ما جاءت ولاية علي عليه السلام من الأرض ولكن جاءت من السماء مشافهة) .

إلى الساعة كذلك الإنية اندك جبلها فذهب ثلثه في هواء الروح وثلثه في بحر النفس وثلثه في أرض الجسد .

وفي الجهات الثلاث بقي منه ذر ، وهو بقية الشعور الذي أشرنا إليه وكونهم أشعة إشارة إلى استمدادهم وافتقارهم وكونهم أضواء لأنهم يمدون من دونهم من فاضل أنوارهم وكونهم أضواء عقلية ظاهر .

وقوله : (للنور الأول) ، يريد أنهم أنوار للحق تعالى ؛ أي : لذاته كما هو المعروف من مذهبه ، وهو باطل لاستلزامه التشبيه بمثل الشمس والقمر ، والسراج وما أشبهها ، تعالى عن ذلك ، وقد ورد النهي عنه عنهم عليهم السلام .

وإنما المراد أنهم أنوار لفعله ؛ أي آثار منيرة .

وقوله : (باقية ببقائه لا بإبقائه) ، هذا أيضاً باطل ؛ لاستلزامها الاستغناء بأنفسها ، وإن كانت بتبعيته إذا كانت غير مجعولة ، بل هي من اللوازم الذاتية ، وإنما هي جواهر منيرة أحدثها الله بفعله ، ولم تك قبل إحداثه مذكورة بذكر ما ، وإنما تبقى بإبقائه وإمداده لا كما يقول العادلون بالله لاستلزامه استغناء غير الله عن الله تعالى .

ودعوى أنهم ليسوا غير الله باطلة لما بيّنا سابقاً .

وقوله : (وليست هذه الرسالة ما يسع فيه بيان هذا

المطلب . . . إلخ) ، يشير به إلى أن بيان هذه الأمور قد أشبعنا فيه البحث في كتابنا الكبير ، والذي ذكر في الكتاب الكبير لا يزيد على ما ذكر هنا ، في بيان كنه المفارقات المحضة ، وإنما أطال في ذكر صفات أفعالها ، مثل أنهم لا يغفلون عن ذكر الله ، مستغرقون في أنوار جماله ، مستهترون بذكر آلائه وأفضاله وأمثال هذه .

وليس في هذه بيان زيادة مطلب على ما هنا فراجع تجد .

وقوله : (وأما العقل فلم يثبت وجوده) ، صحيح في حقه وحقهم ؛ فإنهم لو ثبت لهم عقول لما قالوا ما قالوا ، ولما أنكروا ما أثبته الله وصاحب الشريعة عليهم السلامحيث الله يقول : ﴿ أَفَلَا يَعۡقِلُونَ﴾[١] ويقول : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ ﴾ أي : عقل ﴿أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[٢] ، وآيات الكتاب ، وأحاديث الأئمة الأطياب عليهم السلام مثل ما في أول الكافي والبحار وغيرهما لا تكاد تحصى كلها صريحة في إثبات العقول لجميع المكلفين .

وأيضاً كيف يثبت عقل الكل للإنسان ، وأنه غير نفسه نفس الكل ، وهما القلم واللوح ، ويعترف بأن الإنسان الصغير ، أنموذج من الكبير ، وكل ما في الكبير يوجد مثاله ، وصورته

---

(١) سورة يس ، الآية : ٦٨.
(٢) سورة ق ، الآية : ٣٧.

الجزئية في الصغير ، ويستشهد على مطالب كثيرة بقول علي عليه السلام على قول كثير من العلماء :

أَتَحسَبُ أَنَكَ جُرمٌ صَغِيرٌ وَفِيكَ انطَوَى العَالَمُ الأَكبَرُ(١)
وأنتَ الكتَابُ المُبِينُ الّذِي بِأَحرُفِهِ يَظهَرُ المُضمَرُ(٢)

ولا يثبت لغيره عقلاً فينبغي أن يثبت لغيره ، وإن لم يثبت لنفسه ، أما لغيره فالدليل الذي يعترف بصحته وأما هو فلاعترافه على نفسه .

وأيضاً إذا كان ينفي الطفرة في الوجود ويقول : إن النفوس من النفس الكلي والأرواح من الروح الكلي والنفس الكلي من الروح الكلي والروح الكلي من العقل الكلي فإن كانت النفوس الجزئية من العقول الجزئية ثبتت لنا عقول ، وإن كانت من النفس الكلية لم تكن عقولاً كما لم تكن النفس الكلية عقلاً بالطريق الأولى ، وإن كانت من العقل الكلي ثبتت الطفرة في الوجود ولم يثبتها هو .

وقد دلت الروايات على أن الله سبحانه خلق ألف ألف عالم وألف ألف آدم نحن في آخر العوالم وآخر الآدميين(٣) ، وكل آدم فذريته من نوعه :

---

(١) الأنوار العلوية : ٤٨٨، وشرح الأسماء الحسنى : ١ / ١٢.

(٢) التفسير الصافي : ١ / ٩٢، وتفسير القرآن الكريم لمصطفى الخميني : ٢ / ٣٤٤.

(٣) قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **(يا جابر تأويل ذلك أن الله عزّ وجل إذا** =

بيان كثرة الآدميين والعوالم

١ ـ المشيئة الكلية

فالأول : هو المشيئة الكلية وأولاده المشيئات الجزئية كلّ مشيئة تتعلق بفرد من الخلق لا تصلح لغيره .

٢ ـ النور المحمدي صلى الله عليه وآله

والثاني : النور المحمدي صلى الله عليه وآله وذريته أنوار الأنبياء مئة وأربعة وعشرون ألف نبي .

٣ ـ أرض القابليات المسماة بالأرض الجرز

والثالث : أرض القابليات المسماة بالأرض الجرز وبالبلد الميت ، وبالزيت الذي يكاد يضيء ، ولو لم تمسسه نار وذرياته قابليات من هو دون محمد وآله صلى الله عليه وآله كالأنبياء عليهم السلام .

= **أفنى هذا الخلق ، وهذا العالم وأسكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، جدّد الله عزّ وجل عالماً من غير فحولة ولا إناث يعبدونه ويوحدونه وخلق لهم أرضاً غير هذه الأرض تحملهم ، وسماء غير هذه السماء تظلّهم لعلك ترى أن الله عزّ وجل إنما خلق هذا العالم الواحد وترى أن الله عزّ وجل لم يخلق بشراً غيركم ، بلى والله لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين)** ، الخصال : ٦٥٢ ح ٥٤، والتوحيد : باب ٣٨ ذكر عظمة الله جل جلاله ح ٢.

وتطلق الدواة مرة على الثاني ومرة على الثالث .

٤ ـ عقل الكلّ

والرابع : عقل الكلّ ، وهو النور الأبيض والقلم وذرياته العقول الجزئية لا النفوس .

٥ ـ الروح الكلية

والخامس : الروح الكلية ، وهو النور الأصفر وذريته الأرواح الجزئية .

٦ ـ النفس الكلية

والسادس : النفس الكلية وهي نفس الكلّ واللوح المحفوظ ، وهو النور الأخضر وذريته النفوس .

٧ ـ طبيعة الكل

والسابع : طبيعة الكل ، وهو النور الأحمر وذريته الطبائع الجزئية ، وهكذا إلى آخر العوالم : ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۢ﴾(١) وهذا من دليل الحكمة ، وهو الحجة القاطعة لأولي الأفئدة فافهم .

---

(١) سورة الملك ، الآية : ٣.

القاعدة الثالثة عشرة
الفاعل المباشر للتحريك

قال : (قاعدة : الفاعل المباشر للتحريك في جميع أقسام الحركة ليس إلّا الطبيعة وهي مبدأ كلّ حركة بالذات سواء كانت باستخدام النفس إياها كما في الحركة الإرادية ، أو بقسر قاسر كما في القسرية كحركة الحجر إلى فوق ، أو بغيرهما كما في المسماة في الطبيعة فالحركة بمنزلة شخص روحه الطبيعة) .

قول المصنف : قاعدة : الفاعل المباشر للتحريك في جميع أقسام

أقول : (الفاعل المباشر للتحريك) ، إن أريد بالمباشرة الملامسة ، أي ملاصقة الفاعل بالمفعول فلو قلنا بأن الطبيعة غير الحركة فقوله متّجهٌ ، وإن قلنا إن الطبيعة هنا هي الحركة فإن معنى ذلك أن طبيعة المفعول هي الانفعال الذي هو قابليته هو الحركة أي حركته لقبول تأثير الفاعل .

وإن أريد بالمباشر المؤثر للفعل لا المؤثر للانفعال فالفاعل هو المؤثر القريب ، وهو الملك الخلاق بإذن الله تعالى كما هو ثابت في المذهب ودلّت عليه الأخبار كما روي عن الصادق عليه

السلام ما معناه : (**إن النطفة إذا وقعت في الرحم أرسل الله ملكين خلّاقين يقتحمان بطن المرأة من فمها ، فيقولان : يا ربنا نخلقه ذكراً أم أنثى فيأمرهم . ثم يقولان : شقياً أم سعيداً فيأمرهم بما يريد**)[١] .

وإلى نحو هذا أشار بقوله تعالى : ﴿ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا

---

(١) الكافي : ٦ / ١٦ ح ٦ باب بدء خلق الإنسان وتقلّبه في بطن أمه ، ووسائل الشيعة لآل البيت عليهم السلام : ٧ / ١٤١ ح ٨٩٤٨.
قال في الكافي : عن الحسن بن الجهم قال : قال : سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول : قال أبو جعفر عليه السلام : (**إن النطفة تكون في الرحم أربعين يوماً ثم تصير علقة أربعين يوماً ، ثم تصير مضغة أربعين يوماً ، فإذا كمل أربعة أشهر بعث الله ملكين خلاقين فيقولان : يا رب ما تخلق ذكراً أو أنثى ؟ فيؤمران ، فيقولان : يا رب شقياً أو سعيداً ؟ فيؤمران ، فيقولان : يا رب ما أجله وما رزقه وكل شيء من حاله وعدد من ذلك أشياء ويكتبان الميثاق بين عينيه ، فإذا أكمل الله له الأرجل بعث الله ملكاً فزجره زجرة فيخرج وقد نسي الميثاق ، فقال الحسن بن الجهم : فقلت له : أفيجوز أن يدعو الله فيحول الأنثى ذكراً والذكر أنثى ، فقال : إن الله يفعل ما يشاء**) . وروى أيضاً حديثاً آخر : قال عليه السلام : (**إن الله تعالى خلق خلاقين فإذا أراد أن يخلق خلقاً أمرهم فأخذوا من التربة التي قال في كتابه : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه : ٥٥] فعجن النطفة بتلك التربة التي يخلق منها بعد أن أسكنها الرحم أربعين ليلة ، فإذا تمت لها أربعة أشهر قالوا : يا رب نخلق ماذا ؟ فيأمرهم بما يريد من ذكر أو أنثى ، أبيض أو أسود ، فإذا خرجت الروح من البدن خرجت هذه النطفة بعينها منه كائناً ما كان صغيراً أو كبيراً ذكراً أو أنثى فلذلك يغسل الميت غسل الجنابة**) . فروع الكافي : ٣ / ١٦٣ ح ١ .

يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾[١] ، ولا يصح أن يكون الفاعل المباشر هو الطبيعة ، ولو على فرض كونها غير الحركة إلّا على رأي الدهرية ، أو على رأي هذه الجماعة من أن الفاعل هو المفعول ، كما صرّح به في اتحاد المعقول بالعاقل والمفعول بالفاعل[٢] .

قال الملّا محسن[٣] في الكلمات المكنونة ، ما تقدم من قوله : (ذات اسم الباطن هو بعينه ذات الاسم الظاهر والقابل بعينه هو الفاعل ، فالعين غير المجعولة عينه تعالى فالفعل والقبول له يدان ، وهو الفاعل بإحدى يديه والقابل بالأخرى والذات واحدة والكثرة نقوش فصح أنه ما أوجد شيئاً إلّا نفسه وليس ظهوره)[٤] انتهى .

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٦ _ ٢٧.

(٢) فيما سبق .

(٣) هو المولى الجليل محمد بن مرتضى المدعو بمحسن الكاشاني . كان فاضلاً عالماً ماهراً حكيماً متكلماً محدثاً فقيهاً محققاً شاعراً أديباً ، حسن التصنيف ، له كتب منها : كتاب الوافي جمع الكتب الأربعة مع شرح أحاديثها المشكلة إلا أن فيه ميلاً إلى بعض طريقة الصوفية وكذا جملة من كتبه ، وكتاب سفينة النجاة في طريقة العمل ، وتفاسير ثلاثة كبير وصغير ومتوسط ، وكتاب عين اليقين ، وكتاب حق اليقين ، وكتاب علم اليقين ، وكتاب الأصول الأصيلة ، وكتاب المحجة البيضاء في إحياء الأحياء ، وكتاب مرآة الآخرة ، وكتاب تسهيل السبيل بالحجة في انتخاب كشف المحجة لابن طاوس ، انظر أمل الآمل رقم ٩٢٥ .

(٤) الكلمات المكنونة : ٨٥، كلمة فيها إشارة إلى معنى كن فيكون .

بيان أن الفاعل ليس هو المفعول عند أهل البيت عليهم السلام

وأما على مذهب أهل البيت عليهم السلام فالفاعل ليس هو المفعول والطبيعة التي نسبوا إليها الفاعلية ليست في الفاعل ، وإنما هي في المفعول والمفعول لا يخلق نفسه إلّا على رأي هذا الخلق المنكوس إلّا إن أراد بالفاعل المباشر للتحريك فاعل القبول للإيجاد فتصح نسبة الفاعلية إلى القابلية كما قال تعالى فيكون بعد قوله : ﴿ كن ﴾ .

إمكان تحقق القسر في الكون

وقوله : (سواء كانت باستخدام النفس إياها كما في الحركة الإرادية ، أو بقسر قاسر كما في القسرية) ، قد قدمنا عليه أنّ الطبيعة غير النفس فيكون ذرات النفس في أنفسها غير متحركة ، لأن المتحرك هو طبيعتها لا هي وهي غير طبيعتها فينتقض عليه حدوث النفس ، لأن ذراتها قارّة ساكنة لذاتها فيكون الكون غير متعلق بها ، وإنما تعلق بمقاديرها ونظمها وهي حركات في أوضاعها لا في ذراتها فهو قول بقدم الأجزاء التي لا تتجزأ وثبوتها .

وقد قدّمنا أنّ القسر لا يتحقق في الكون على جهة الواقع ، والحقيقة أصلاً ما حققناه في الفوائد ، وفي شرحها ، وإنما

وجوده في العالم كله صوري إذ كان الفاعل مختاراً والفعل أحدثه الله بنفسه أي نفس الفعل بالاختيار والمفعولات كلها آثار الفعل وتأكيداته كلها يجب أن تكون مختارة بموجب دليل الحكمة .

والقسر ليس له مبدأ والموجود مما يصدق عليه الاسم ظاهراً ما يرجع ، إلى العسر والحرج والضيق التي جرت أحكام الملة الحنيفية السهلة على نفيها ، لأن الله سبحانه يريد بعباده اليسر ، ولا يريد بهم العسر فقال : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[1] .

واستخدم النفس لصفتها في التحرك ، موجب لتبدل الحركة بل والمتحرك أعني الطبيعة وهي صفة المستخدم وتجدد الصفة لا يسلتزم تجدد الموصوف ما لم تكن متحدة به وتحريك القاسر لو ثبت لا يستلزم تجدد المقسور .

والتشبيه بحركة الحجر إلى فوق لدافع قوي لقسر القاسر مبني على الأمر المتعارف عند عوام الناس وإلّا فالحجر في صعوده مختار إلّاأنّ اختياره ناقص فتمم نقصه الدافع ، لأن الصعود ممكن في حقه إلّا أنّ النزول أرجح ، لأن الله سبحانه ، وكّل به ملكاً ينزل به إلى حيث أمره الله عزّ وجلّ لحكمة حمل الإنسان وجعل شهوة الحجر تابعة لميل الملك ، وإذا دفعه دافع إلى فوق أعان قوة العضو الملك الموكل بعضو الدافع وجعل شهوة ميل

---

(١) سورة الحج ، الآية : ٧٨.

الملك المنزِل للحجر تابعة لميل الملك الموكل بالعضو الدافع إلى أن ينتهي ميله إلى الصعود ، وهو مقدار ما أمره الله عزّ وجلّ به فإذا انتهى ميله وارتفع نزل الملك الموكل بإنزال الحجر إلى أسفل فإمكان الصعود من الحجر من نوع إمكان النزول منه ، وإنما ترجح النزول لحكمة حمل الإنسان .

وهذا الكلام الذي ذكرته في بيان هذا السر الأعظم والطلسم المبهم نبّهوا عليه أئمة الهدى عليهم السلام وعرفه أولو الأفئدة وما أكثر من ينكره لقصور عقله عن نيله .

بيان اختلاف الحركة الإرادية

وقوله : (كما في المسمّاة في الطبيعة) ، يعني غير الحركة الإرادية والقسرية الطبيعية ، وقد سمعت الكلام في أن كلّ حركة إرادية بمعنى إن شاء فعل المتحرك ، وإن شاء ترك إلّا أنّ الإرادة مختلفة بالنسبة إلى أفراد العالم في الشدة والضعف كلّ شيء إرادته واختياره بنسبة مرتبته من الوجود ولأجل هذا أنكر أكثر الأفهام الاختيار والإرادة فيما سوى الحيوان لأنهم يطلبون من اختيار الجمادات وإراداتها مثل اختيار الإنسان المكلف وإرادته ولم ينظروا في كلّ شيء بحسبه فلذا فاتهم أكثر الأسرار والحقائق .

في أن الحركة بمنزلة شخص روحه الطبيعة

وقوله : (فالحركة بمنزلة شخص روحه الطبيعة) ، هذا على فرض مغايرة الطبيعة للحركة الذاتية صحيح .

قال : (والذي استشكله بهمنيار موافقاً لأستاذه في النفسانية من أنّه كيف استحالت الطبيعة محركة للأعضاء خلاف مقتضاها ، ولا رعشة عند تجاذب مقتضى النفس ومقتضى الطبيعة إنما ينحلّ إشكاله بأن الطبيعة المسخرة للنفس طوعاً التي هي قوة من قواها تستخدمها وتفعل بتوسطها أفاعيل البدن غير الطبيعة الموجودة في عناصر البدن وأعضائه بالعدد ، بل مرتبة من مقامات النفس والتي تبقى في البدن بعد انقطاع علاقة النفس غير ما ذكرنا ، وإنما يقع الإعياء والرعشة والمرض والفساد وغير ذلك بسبب تعصيّ الثانية عن النفس دون الأولى ، فللنفس طبيعتان مقهورتان ، إحداهما : منبعثة عن ذاتها . والثانية : لعنصر البدن يستخدم إحداهما لها طوعاً والثانية كرهاً) .

قول المصنف : والذي استشكله بهمنيار موافقاً لأستاذه

أقول : إنما ذكر إشكال بهمنيار(١) لأنه لمّا نسب الحركة إلى الطبيعة ذكر الإشكال ، وهو أنه كيف تكون الطبيعة تحرك الأعضاء ومقتضى الأعضاء وسائر الأجسام السكون فتحركها ومقتضاها السكون ، ولا تقع رعشة وهي المركبة من حركة غير مستقرة تامة ، ومن سكون غير مستقر تام ، لأن الذي ينبغي أن يحدث من مقتضى الطبيعة ، وهو الحركة ومقتضى النفس في محبتها لسكون الأعضاء طلباً للراحة ، لأن النفس مع تحرك الأعضاء كحال الماشي والعامل ، تحتاج على التبديل من الأمزجة عند التحليل ويحصل لها تعب بخلاف حالها في النوم والسكون رعشة أي تجد رعشة عند تجاذب مقتضى الطبيعة ومقتضى النفس وتصادمهما .

---

(١) بهمنيار بن مرزبان الآذربايجاني (أبو الحسن) ، حكيم ، من تلامذة ابن سينا ، كان مجوسي الملة . توفي سنة : ٤٥٨ هـ ١٠٦٦ م .
من تصانيفه : التحصيل ، الرتبة في المنطق ، كتاب في الموسيقى ، البهجة في الحكمة ، والسعادة .
انظر معجم المؤلفين لعمر كحالة : ٣ / ٨٠.

حلّ إشكال بهمنيار في الطبيعة المسخرة

فقال المصنف في حل الإشكال[١] : إن الطبيعة المسخرة للنفس طوعاً بمعنى الباعثة لها على تحريك الأعضاء ، لا على نحو القسر لأنها طبيعتها وطبيعة الشيء قوة من قواه فهي قوة من قوى النفس وقوة الشيء لا تقسره لأنها عبارة عن ميله ، أو عن باعثه إلى الميل ، وهو محبته للميل فهو باختياره ، فهي تستخدم النفس وتفعل الطبيعة بتوسط النفس ، أو بالعكس على اختلاف المقامات والمراتب تفعل أفاعيل البدن هي غير الطبيعة الموجودة في عناصر البدن وطبائعه سارية في أعضائه فإنّ تلك غير هذه بالعدد ، وإن كانت الثانية مَركباً للأولى ، والأولى روحها فإن الأولى مرتبة من مقامات النفس وأول تنزلاتها .

وأما التي في الجسم أي البدن وهي التي تبقى في البدن بعد انقطاع علاقة النفس عنه لأنها طبيعة نباتية نامية واختيارها ضعيف لا يحس في مقام اختيار الحيوان .

والأولى : حيوانية حسية فلكية شأنها الحركة ، والنفس شأنها الحركة فلا تكون بينها في التحريك وبين النفس تجاذُب وتدافع ، فلا تقع بمقتضاهما رعشةٌ لعدم التنافي وإنّما يقع التنافي بين النفس

---

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية : ٣ / ١٦٨ .

في مقتضاها وبين الثانية ومقتضاها فيقع الإعياء في الأعضاء عند مصادمة الدافع للماسك وبالعكس .

والرعشة لاجتماع الحركة والسكون وتداخل أجزائهما .

والمرض لمصادمة الدافعة للجاذبة والماسكة للهاضمة وبالعكس بسبب تعصي الثانية عن طاعة النفس ، لأن النفس إذا استخدمت الجاذبة لتحصيل الغذاء وعارضتها الماسكة ، أو الماسكة لحفظ المزاج وثباته وعارضتها الجاذبة ، أو الدافعة ، أو الهاضمة لإصلاح الكيموس أو الكيلوس(١) وعارضتها الجاذبة ، أو الماسكة حدث المرض والفساد .

فللنفس طبيعتان مقهورتان تحت سلطنتهما :

إحداهما : طبيعة ذاتية شأنها كشأن النفس منبعثة عنها لأنهما معاً فلكيتان متحركتان بالذات .

وثانيتهما : لعنصر البدن نباتية نامية منبعثة من الهاضمة تنسب إلى النفس لكونها من القوى الحاملة لها فهي بيت من بيوت النفس ، فالنفس تستخدم الأولى طوعاً من الأولى واختياراً لما اختارت النفس لأنها صفتها الموافقة لها في المقتضى .

---

(١) الكيلوس : هو الطعام إذا انهضم في المعدة قبل أن ينصرف عنها ويصير دماً ، ويسمونه أيضاً الكيلوس . انظر لسان العرب ، مادة : كمس .

وتستخدم الثانية كرهاً على الظاهر لكون شأنها السكون ، وهو غير شأن النفس .

وأما على الباطن فتستخدمها طوعاً ، إلّا أنها لكثافة ذاتها وضعف نورانيتها تكون بطيئة ، فتثقل على النفس لسرعة حركة النفس فلذا قيل مكرهة وهي مطيعة لكنها ليست من السابقين .

قال : (تفريع : فعلى هذا تظهر صحة كلام الفيلسوف الأول أن حركة الفلك طبيعية ، وأن نفسه منطبعة ، والذي ظهر لنا بالبرهان الكاشف النيّر أنّ ذات الفلك وطبيعته ونفسه الحيوانية شيء واحد بالوجود ، والتشخص متفاوت في النشآت الثلاث وليست للفلك نفس مجردة بل له نفس حيوانية خالية حاكية لصورة عقلية متشبهة بها متصلة بها كاتصال الشعاع بالنور كما أن طبيعة الفلك متصلة بنفسه الخيالية كاتصال الظل بالشاخص لكل طبيعة الفلك ونفسه الحيوانية بقوتها العلمية داثرتان هالكتان لتجددهما وسيلانهما وله كلمة باقية عند الله ثابتة في علمه لقوله : ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾(١) .

(١) سورة النحل ، الآية : ٩٦ .

قول المصنف : تفريع : فعلى هذا تظهر صحة كلام الفيلسوف

أقول : مراد الفيلسوف يوهم ظاهره موافقة كلام المصنف من أنّ الطبيعة هي المحركة لذي الطبيعة وهي التي تنشأ منها حركة ذي الطبيعة ، لا أن الحركة هي نفس طبيعته كما رجحناه بدليل الحكمة ، وذلك أن قول الفيلسوف إن حركة الفلك طبيعية منسوبة إلى طبيعة الفلك فهي ناشئة عنها .

في بيان حركة الفلك

وقوله : (إن نفسه أي : الفلك منطبعة فيكون لنفسه طبيعة ولطبيعته حركة وهذا موافق لرأي المصنف) .

والذي أراه أن كلام الفيلسوف كما يحتمل كلام المصنف يحتمل أنه أراد بطبيعية معنى ذاتية كما نقول ، وذلك أن الفلك حركته هي حركة نفسه ونفسه حيوانية حسية والحيوان طبيعته هي الحركة ولهذا كان بفتح الياء إشعاراً بأن وضعه لذي الحركة كما قيل في الطيران والغليان والنزوان .

فالحركة ليست صفة للطبيعة ، وإنما هي صفة لذي الحركة والمتحرك الذي طبعه الحركة كالنفوس والأرواح يقال له : تحرك بطبيعته يعني من شأنه التحرك والذي طبعه الحركة لا يراد منه أن فيه طبيعة غيره وغير حركته بل الحركة هي طبعه ونفسه منطبعة أي نفسه

طبيعية يعني ليست ناطقة قدسية ، وإنما خلق الفلك بطبعه متحركاً ، ولذا قال المصنف : وليست للفلك نفس مجردة يعني الناطقة .

وقول المصنف : (والذي يظهر لنا بالبرهان الكاشف النير ، إلخ) ، مثل سائر أقواله فيما يدعيه .

فنقول : إن أراد أن الفلك نفسه هو طبيعته ، وهو نفسه فالحركة من الجرم انبعثت من غير تعدد لا في الخارج ، ولا في نفس الأمر ، وإن كانت متعددة في الذهن لتعدد المفهوم كما هو ظاهر كلامه أن ذات الفلك وطبيعته ونفسه الحيوانية شيء واحد بالوجود والتشخص فيكون قوله متفاوت في النشآت الثلاث أن جرم الفلك في نشأة النفوس تشخص بنسبتها في اللطافة ، وفي هذه النشأة تشخّص بتشخص الأجرام ، وفي النشأة الطبيعية يتشخص بالتشخص الطبيعي اللطيف الذي هو بمنزلة أجسام الآخرة وإلّا فليس إلّا شيء واحد يتطور في كلّ نشأة بطورها ، وهو باطل لما ذكرنا سابقاً من أن صنع الحكيم تعالى في كلّ شيء على نمط متشابه ، وهو سرّ قوله تعالى : ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾(١) .

وقوله تعالى : ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ﴾(٢) .

---

(١) سورة لقمان ، الآية : ٢٨.

(٢) سورة الملك ، الآية : ٣.

وقول الرضا عليه السلام : **(قد علم أولو الألباب أنّ الاستدلال على ما هناك لا يُعلم إلّا بما هاهنا)**(١) انتهى .

ونحن نجد أنفسنا غير أجسادنا وغير طبائعنا ونجد لبّ اللوز دهنه غير ثفله ونجد الأشجار نفوسها النامية النباتية غير خشبها وإذا يبس الخشب ذهبت نفسه وبقي الخشب كالميت من الحيوانات ولم نجد شيئاً في العالم إلّا وله نفس قام بها وجرم تقومت به نفسه ، لو صحّ اتحاد الفلك ووحدته لوجد له مثل سبحان من لا مثل له قال الرضا عليه السلام : إن الله تعالى : **(لم يخلق شيئاً فرداً قائماً بذاته دون غيره للذي أراد من الدلالة عليه وإثبات وجوده)**(٢) انتهى .

وإن أراد أنّ الثلاثة جرم الفلك وطبيعته ونفسه كلها من نوع

---

(١) التوحيد للصدوق : ٤٣٨ ، وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٥٥ ، ونور البراهين : ٢ / ٤٧٩ .

(٢) قال الإمام الرضا عليه السلام : **(واعلم أن الواحد الذي هو قائم بغير تقدير ولا تحديد خلق خلقاً مقدراً بتحديد وتقدير ، وكان الذي خلق خلقين اثنين التقدير والمقدور فليس في كلٍّ واحد منهما لون ولا وزن ولا ذوق فجعل أحدهما يدرَك بالآخر وجعلهما مدرَكين بأنفسهما ، ولم يخلق شيئاً فرداً قائماً بنفسه دون غيره للذي أراد من الدلالة على نفسه وإثبات وجوده والله تعالى فرد واحد لا ثاني معه يقيمه ويعضده ولا يمسكه ، والخلق يمسك بعضه بعضاً بإذن الله ومشيّته)** التوحيد للصدوق : ٤٣٩ ، وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٥٦ ، وبحار الأنوار للمجلسي : ١٠ / ٣١٣ .

واحد ، أو من جنس واحد فنفس الفلك وطبيعته وجرمه ليس منها شيء مما في الفرس ومما في النخلة ومما في الإنسان وبالعكس ، بل من نوع الأفلاك كما أنها في الإنسان من نوعه لا من نوع الشجر ، ولا من نوع الحيوان وهكذا فهذا في الظاهر صحيح لكن الفلك لا يختص بهذا التخريج بل كلّ الأشياء هكذا فلا فائدة في خصوص ذكره .

وأيضاً لا يحسن تعقيبه لو كان المراد هو الفرض الثاني بقوله متفاوت في النشآت الثلاث لأنه لا ينطبق إلّا على الأول .

كل ما في العالم له نفس قام بها

وقوله : (بل له نفس حيوانية خيالية) ، أي مدركة كما للحيوانات العجم وكلامه هذا بأنّ له نفساً لا ينافي اتحادها فله أن يقول : له نفس هي طبيعته وجرمه حاكية أي مشابهة لصورة عقلية أي لنفس الإنسان ، فإنها عنده صورة لعقل كما مرّ متشبهة بها في صفاتها إلّا أنها عرض لنفس الإنسان لقوله متشبهة بها في تحريكها ، وفي إدراكها للصور متصلة بها كاتصال الشعاع بالنور لأنها مركب لنفس الإنسان .

بيان أن العالم الصغير طبق العالم الكبير

واعلم أنّ العارفين اتفقوا على أن العالم الصغير ؛ أعني الإنسان طبق العالم الكبير فيه جميع ما في الكبير ففي العالم

الكبير عرش وكرسي وسبع سماوات ، فيجب أن يكون في الصغير كذلك فقابلوا بينهما فالعرش في الصغير هو قلبه ، والكرسي فيه نفسه ، والعقل فيه أي تعقله فيه فلك زحل والعلم فيه فلك المشتري ، والوهم فيه فلك المريخ والخيال فيه فلك الزهرة والفكر فيه فلك عطادر والحياة فيه فلك القمر .

بيان القوى العشر في الإنسان

فالأفلاك لها نفوس كنفوس القوى المذكورة من الإنسان ، وما في الإنسان مثل لما في الأفلاك لأنها كلية بالنسبة إلى الإنسان ، ولأنّ الإنسان خلق من عشر قبضات من أشعة الأفلاك التسعة والقبضة العاشرة من العناصر ، فالأصل هو الأفلاك وما في الإنسان فرع من أشعته وذلك ، لأن الله تعالى أمر كلمته فقبض من كلّ فلك من الأفلاك التسعة قبضة كما ذكر ، والقبضة العاشرة من العناصر الأربعة لمادة جسده ، لكن لتعلم أن كلّ قبضة من الأفلاك يأخذها كلمته من نفس الفلك للروح ، ومن جرمه للجسد ، مثلاً قبض من فلك المحدد القلب ظاهره من ظاهره وباطنه من باطنه فيكون مخ الدماغ من جرم فلك زحل والتعقل المتعلق به كإشراق نور الشمس على الجدار من نفس زحل وهكذا الجميع .

ومثال القبض للنفوس من نفوس الأفلاك مثل ما إذا وضعت

المرآة في نور الشمس فإنه ينعكس عن المرآة نور من دون أن ينقص النور الذي في الجدار ، أو الأرض .

وأمّا قبض الأجسام فحيث دارت الأفلاك وألقت أشعّتها بواسطة الملائكة الحاملة ألقتها مصحوبة لأبخرة مائية أثارتها الثور لهيجان قدر أربعة أجزاء تقريباً وترابية من الهباء المنبث في الهواء الذي يلي الأرض قدر جزء تقريباً فانحلت اليبوسة في الرطوبة بحرارة النزول وأشعة الكواكب فوقعا ماءً على الأرض فاختلط به نبات الأرض بأن انحلّ منه جزآن في جزء من الأرض فكان منهما النبات فكان منه الطعام فكان منه النطفة فكان منها الجسد ذلك تقدير العزيز العليم .

والحاصل أنّ جرم الفلك كجسد الحيوانات ، لأن الحيوانات منه كما أشرنا إليه .

فقوله : (حيوانية خيالية) ، صحيح (حاكية لصورة عقلية) ، ليس بصحيح ، وإنما تحكي لصورة نفسية متشبهة بها لأنها ظاهرها متصلة بها كاتصال الشعاع بالمنير لا بالنور ، لأن النور هو الشعاع إلّا أن يراد به كاتصال شعاع الشعاع به ، أو كان شعاع الشعاع في جرم والشعاع منه ، فمن الشعاع الواقع منه ؟ فمن الشعاع الواقع عليه ؟ كالقمر والنور ، وإن كان يستعمل في المنير ، ولا عيب في إطلاقه .

لكن المصنف لمّا كان لا يلتفت إلى هذا نبّهتُ عليه على نحو التنبيه لا على نحو الرد ، لأن الخطب في هذا سهل .

اتصال الطبيعة بالنفس

وقوله : (كما أن طبيعة الفلك متصلة بنفسه الخيالية كاتصال الظل بالشخص) ، فيه ما تقدم من الكلام ، فإن طبيعة الشيء عنده ليست بمجعولة كما أنّ الظل ليس بمجعول لأنه من اللوازم التي توجد بتبعية ملزوماتها ، وقد بيّنا أنّ هذه الأمور كلها إنما قالوا فيها بما سمعوا لا عن علم بل كلها مخلوقة موجودة بإيجاد غير إيجاد ملزوماتها ، وإن كانت ملزوماتها ربما يكون وجودها من تمام قابلية اللوازم ، فاتصال الطبيعة بالنفس على المعنى المتعارف عندهم كاتصال النور بالمنير .

أقسام طبيعة الفلك

وفي الحقيقة هي طبيعتان :

١ ـ نزول ذي الطبيعة

الأولى : هي نزول ذي الطبيعة وكسره .

ومثاله للبيان : إذا كان عندك دواء مركب من حار وبارد فإنه يفعل بكلّ من الطبيعتين فإذا انحلّا حلاً تاماً حتى كانا ماءً واحداً بذاتهما لا بماء غيرهما ثم عُقِدا كان دواء واحد بطبيعة واحدة

يفعل فعلاً واحداً وبهذا النحو تتحد الأجزاء المختلفة الجسمانية وتكون طبيعة واحدة وتكمن نفوس الأجزاء المختلفة المجردة في غيب تلك الطبيعة الواحدة إذ لا يمكن ظهورها مع اختلافها في محل واحد ، فإذا استنبط الحكيم الأجزاء المنحلة وأخرجها بالتربية حتى تمايزت ، ظهرت كلّ نفس في محلها وهذه طبيعة ذاتية أي ذات الشيء .

٢ ـ الطبيعة الفعلية

والثانية : طبيعة فعلية وهي انبعاثها إلى الإفاضة على الآثار المفعولات فهذه تكون قائمة بنفس ذي الطبيعة قيام صدور وهي في اتصالها بنفس الشخص كاتصال الكلام بالمتكلم مع قيامه بالهواء وكاتصال الضرب بالضارب بخلاف الأولى فإن انبعاثها للاستفاضة من المؤثر فهذه هي مطلوبة المصنف لو وجدها .

وأما الثانية : فتدلّ على الحدوث إذا فرض عروضها لذي الطبيعة وإلّا فلا والأولى المطلوبة هي ماهيته وهي قابليته وهي انفعاله .

ونريد بالماهية هنا بالمعنى الأول كما قدمنا في ذكر الماهية والوجود لا بالمعنى الثاني وهي في الشيء كالظلمة في نور السراج ، فإن نور السراج كلما قرب من السراج كان أقوى نوراً وأضعف ظلمة ، وكلما بعد قويت الظلمة وضعف النور كذلك حكم الشيء وطبيعته إذا نسب إلى مبدئه .

وقوله : (لكن طبيعة الفلك ونفسه الحيوانية بقوتها العلمية داثرتان هالكتان ، إلخ) ، هذا الكلام إذا أريد بالهلاك فيه والدثور عودها إلى ما بُدِئَت منه وامتزاجها به كامتزاج قطرة الماء بماء النهر إذا وقعت فيه فهو صحيح ، وإن أريد بالدثور والهلاك الفناء فليس بصحيح إذ ما دخل في ملك الله تعالى لا يخرج منه ، وإنما استدرك الدثور والفناء بعد تشبيهه لها بالنفوس الناطقة للإشعار بأن النفس الناطقة غير داثرة ، ولا هالكة مع أنه ذكرها ووصفها بما وصف به نفس الفلك من الدثور والهلاك فإن لم يرد ذلك كان استدراكه لا فائدة فيه .

وأمّا قوة الفلك العلمية ففي فلك المشتري ، والخيالية في فلك الزهرة ، والفكرية في عطارد ، والوهمية في المريخ ، والتعقّلية في زحل ، والحياة في فلك القمر .

والوجود الثاني من الشمس كذا قاله بعض العارفين وأنا أكتب هذا فيما كتبت حيث قرّبه قلبي استناداً إلى اعتبارات منها قطعية ومنها ظنية متاخمة للعلم والمستند ما تشير إليه الأخبار .

بيان عدم الفرق بين المفارقات المحضة والجمادات

وأيضاً قد ذكرنا نحن فيما تقدم أنّ الأشياء كلها من الذوات والصفات الماديات والمجردات من عالم الغيب من كلّ ما سوى

الله سبحانه لا فرق عندنا بين المفارقات المحضة وبين الجمادات كلها بنسبة واحدة في الافتقار إلى الله سبحانه ، وفي احتياجها في وجودها وبقائها إلى المدد فكلها عندنا مشتركة في التجدد والسيلان ، وإن اختلفت في سرعة التجدد والتبدل وبطئه وطول البقاء وقصره .

وقوله : (وله كلمة باقية عند الله ثابتة في علمه) ، معناه ظاهر وليس مختصّاً بالفلك بل هو شامل لكلّ شيء .

قال : (توضيح إكمالي : إذا علمت أنّ لكلّ فلك محركاً مزاولاً ومحركاً مفارقاً هو الغاية في الحركة ، وأنّ مباشر التحريك السماوي متجدد الهوية سيّال الذات ظهر لك أنّ الدنيا دار فناء وزوال وانتقال والآخرة دار قرار ، وأنّ هذه الدار وما فيها منتقلة إلى الدار الآخرة ، وأنّ السماوات مطويات والكواكب ساقطة وحركاتها واقفة وأنوارها مطموسة ، فإذا قامت القيامة كوّرت الشمس وانكدرت النجوم ووقف الفلك عن التدوار والكواكب عن التسيار وذلك لا محالة كائن لا ريب فيه ولكن علم الساعة عند الله) .

قول المصنف : توضيح إكمالي : إذا علمت أنّ لكلّ فلك محركاً

بيان معنى الفلك المزاول

رأي المصنف

أقول : قوله : (توضيح إكمالي) ، أي توضيح به يكمل البيان (إذا علمت أنّ لكلّ فلك محركاً مزاولاً) ، وهو المباشر يعني به الطبيعة وهي عنده غير الفلك أي غير مادته وصورته ، مع أنه حكم عليهما مع نفسه بالاتحاد بالبرهان الكاشف لكنه لمّا كان فيه متكلفاً من غير معاينة يعني أنه نظر في ذلك بفهمه والفهم لا يدرك لا الغائب ، ولا الحاضر إلّا بمرشد ، فإن كان غائباً كان مرشده مع الكتاب والسنّة مع معرفة ما ضرب الله من الأمثال وهي آياته في الآفاق ، وفي الأنفس .

وإن كان شاهداً كان مرشده مع ذلك كلّه ما رأى ببصره وبعض ما سمع وما أدركه بشيء من حواسه .

ولمّا كان المصنف إنما يدرك ما تكلفه فهمه خالف مقتضى فطرته فهمه المتكلف فكان بمقتضى فطرته ناطقاً بالتعدد فالمزاول هو المباشر ، وهو عنده هو الطبيعة .

رأي الشيخ الأوحد في الفلك المزاول

وعندنا المزاول هو الملك والطبيعة آلة للملك .

والمحرك المفارق هو العقل عنده وعندنا هو الاسم البديع بالعقل ، أو العقل بالاسم البديع .

وقوله : (هو الغاية في الحركة) ، يعني أنه المطلوب بالحركة الناشئة من الطبيعة عنده .

وعنده أيضاً أنّ غاية الغايات هو الذات الواجب الذي ينتهي إليه كلّ طالب ومنه تنال المطالب عزّ وجلّ ، لأن الخلائق عنده كلها تنتهي إلى الوجوب الحق تعالى ونحن قد بيّنا أنّ هذا القول يلزم منه حدوث الواجب ، أو وجوب الحادث على رأيهم .

وأمّا عندنا فلا يلزم على هذا إلّا حدوث الواجب تعالى فالغاية عندنا أمر الله ، وهو يطلق على شيئين :

إطلاقات الغاية بين فعل الله تعالى والحقيقة المحمدية

أحدهما : فعل الله تعالى أعني مشيئته وإرادته وإبداعه والأشياء تنتهي إليه في العلة الفاعلية ، فهي قائمة به قيام صدور ونسمّيه أمر الله الفعلي .

وثانيهما : نور الأنوار أعني الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله والأشياء تنتهي إليه في العلّة المادية ، لأن جميع مواد الأشياء من شعاع ذلك النور الأنبياء عليهم السلام من شعاعه والمؤمنون من شعاع شعاعه ، وهكذا إلى التراب الطيب والماء العذب والكافرون من عكس شعاعه وشيعتهم من عكس ظلمتهم وهكذا

إلى الأرض السبخة والماء الأجاج ، وفي العلة الصورية ، لأن صور جميع الأشياء من هيئات هياكله لكلّ المؤمنين إلى الأرض العذبة والماء العذب وللكافرين من خلاف تلك الهيئات إلى الأرض السبخة والماء الأجاج فالأشياء كلها قائمة به قياماً ركنياً قيام تحقق .

وفي العلة الغائية لأن ذلك النور لأجله خلق تعالى ما خلق ، قال تعالى : (**لولاك لما خلقت الأفلاك**)(١) .

والعلّة الفاعلية لا تحقق إلّا بذلك النور فيصاغ منهما المثال الفاعل مثل قائم المصاغ من الفعل ، ومن أثره أعني القيام فكانت علل الأشياء كلها هذه العلل الأربع وكله في الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله ونسمّيه أمر الله المفعولي قال الصادق عليه السلام في الدعاء : (**كلّ شيء سواك قام بأمرك**)(٢) .

وأما العقل فهو ينتهي إليها أيضاً ، وإلى هذا الإشارة بقول الحسن العسكري عليه السلام كما في الدرة الفاخرة قال عليه السلام : (**وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة**)(٣) ، والباكورة أول الثمرة ، والصاقورة الأمر لله ، وأمر

(١) إعانة الطالبين : ١ / ١٣ ، وشرح أصول الكافي : ٩ / ٦١ ح ١٦ .

(٢) مصباح المتهجد للطوسي : ٤٣١ ، وبحار الأنوار : ٨٧ / ١٤٨ .

(٣) بحار الأنوار : ٢٦ / ٢٦٤ ح ٥٠ ، وقرة العيون للفيض الكاشاني : ٤٤٧ ، والمراقبات : ٢٤٥ .
=

الله هنا العرش ، يعني أنّ روح القدس - أعني عقل الكل - في الجنان التي سقفها عرش الرحمن ، وهي التي غرسوها بأيديهم عليهم السلام ، أول من ذاق ثمرة الوجود فهو ينتهي إلى ذلك النور وإليه تنتهي المخلوقات كلها لأنه كما سمعت جميع العلل الأربع .

ولا يصحّ أن يكون عقل الكل نهاية للأشياء إلّا نهاية إضافية لأنه مسبوق بالخلق الأول والعقل غصن من تلك الشجرة ، كما روي عنهم عليهم السلام : (**إن القلم أول غصن أخذ من شجرة الخلد**)[1] نقلته بالمعنى ، فالقلم هو عقل الكل وشجرة الخلد هي ذلك النور الأكبر الأعزّ الأجلّ الأعظم .

ولا يصحّ أن تكون ذات الحق تعالى نهاية للمخلوق ، وهو

= وتمامه : (**قد صَعدَنا ذرى الحقائق بأقدام النبوّة والولاية ونورنا سبع طبقات أعلام الفتوّة بالهداية ، فنحن ليوث الوغى وغيوث الندى ، وطعناء العدى وفينا السيف والقلم في العاجل ، ولواء الحمد والعلم في الآجل ، وأسباطنا حلفاء الدين وخلفاء النبيّين ، ومصابيح الأُمم ومفاتيح الكرم ، فالكليم أُلبس حلّة الاصطفاء لمّا عهدنا منه الوفاء ، وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة ، وشيعتنا الفئة الناجية والفرقة الزاكية ، صاروا لنا ردءاً وصوناً ، وعلى الظلمة لنا عوناً ، وسينفجر لهم ينابيع الحيوان بعد لظى النيران لتمام الم وطه والطواسين وهذا الكتاب ذرّة من جبل الرحمة وقطرة من بحر الحكمة . وكتب حسن بن علي العسكري في سنة أربع وخمسين ومئتين**) .

(١) لم نجده فيما توفر لنا من مصادر .

قول أمير المؤمنين عليه السلام : **(انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله الطريق مسدود والطلب مردود)**(١) انتهى .

---

(١) ورواه المصنف في الجزء الثاني من شرح العرشية ، قال عليه السلام في خطبته : **(وإن قلتَ : مِمَّ هُو ؟ فقد باين الأشياء كلّها ؟ فهو هو ، وإن قلتَ : فهو هو ، فالهاء والواو كلامه صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له ، وإن قلتَ : له حدّ فالحدّ لغيره ، وإن قلتَ : الهواء نسبه فالهواء من صنعه رجع من الوصف إلى الوصف وعمى القلب عن الفهم والفهم عن الإدراكِ ، والإدراكُ عن الاستنباط ، ودام الملك في الملك ، وانتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطّلب إلى شكله ، وهجم به الفحصُ إلى العجز ، والبيانُ على الفقدِ ، والجهد على اليأس ، والبلاغ على القطع ، والسبيل مسدود ، والطلب مردود ، دليله آياته ، ووجوده إثباته)** .

وهي الخطبة المعروفة بدرّة التوحيد روى بعضها السيد حيدر الآملي في جامع الأسرار ومنبع الأنوار : ٢٣٤، وأولها : **(الحمد لله حمد معترف بحمده مغترف من بحار مجده بلسان الثناء شاكر . . .)** . وفيها : **(السبيل مسدود والطالب مردود دليله آياته ووجوده إثباته ، ومعرفته توحيده ، وتوحيده تنزيهه من خلقه ، بأين لا بمسافة قريب لا بمداناة . له حقيقة الربوبيّة إذ لا مربوب ومعنى الإلهيّة إذ لا مألوه . صفة أنّه ربّ وغيره خلق . له تأويل البينونة لا بينونة له ، ما تصوّرته الأوهام فهو بخلافه . ليس بربّ من أطرح تحت البلاء ، ولا بمعبود من وجد في وعاء هواء وغير هواء . فهو في الأشياء كائن لا كينونة محصور (محظورة ـ م) بها عليه . ومن الأشياء بائن لا بينونة غائب عنها . .)** إلى قوله عليه السلام : **(فهو الأوّل لا أوّل له . والآخر لا آخر له . والظاهر لا ظاهر له والباطن لا باطن له)** . رواه السبزواري والطباطبائي باختصار : **(دليله آياته ، ووجوده إثباته ومعرفته توحيده وتوحيده تمييزه)** . انظر شرح الأسماء الحسنى : ١ / ١٦، وتفسير الميزان : ٦ / ١٠٢ . ورواه ابن شعبة الحراني =

في بطلان كون المحرك المباشر للأفلاك الطبيعة

ومراد المصنف غير مرادنا لأنه يريد أنّ المحرك المباشر للأفلاك ، وهو الطبيعة ، متجدد الهوية سيال الذات فهو وما حرّكه حادث .

وأما المحرك المفارق فهو الغاية ، والغاية لا تكون متجددة وإلّا لكان لها غاية ويلزم التسلسل .

ونحن نريد أنّ المنتهي والمنتهى إليه حادث ، ولا يلزم التسلسل لأنها تنتهي إلى الفعل المحدث أعني المشيئة والمشيئة جعل نهايتها إلى نفسها وأقامها بنفسها ، وقد نبه عليه السلام على ذلك الغافلين فقال : (**خلق الله المشيئة بنفسها ، ثم خلق الأشياء بالمشيئة**)[1] ، فجعل الخلق منتهياً إلى المشيئة ، والمشيئة منتهية إلى نفسها لأنها ظاهراً هي الحركة الإيجادية والحركة الإيجادية لا

= عن الإمام الحسين عليه السلام بتفاوت واختصار ، انظر تحف العقول : ٢٤٤، وبحار الأنوار : ٤ / ٣٠١ ح ٢٩.

(١) قال الإمام الصادق عليه السلام : (**خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة**) . التوحيد : ١٤٨ ح ١٩ باب (١١) صفات الذات وصفات الأفعال ، وشرح الأسماء الحسنى : ١ / ٧، وبحار الأنوار : ٤ / ١٤٥، ومختصر بصائر الدرجات : ١٤١ .

وفي رواية : (**خلق الله المشيئة قبل الأشياء ثم خلق الأشياء بالمشيئة**) التوحيد ح ٨ باب (٥٥) المشيئة والإرادة ، وبحار الأنوار : ٤ / ١٤٥ ح ٢٠.

تحتاج في إيجادها إلّا إلى حركة إيجادية وهي بنفسها حركة إيجادية فلا تحتاج إلى أزيد من نفسها ، فخلقها تعالى بنفسها وأنت في جميع حركاتك لا تحدثها إلّا بنفسها ، ولكنّك ما تفطنت في ذلك حتى إنّ الفقهاء أجمعوا على أنّ المصلي يحدث الصلاة بالنية ويحدث النية بنفسها وإلّا لزم التسلسل فانتهت المخلوقات إلى الفعل والفعل إلى نفسه وانقطعت سلسلة التسلسل ، فافهم .

بيان فناء الدنيا والانتقال إلى الدار الآخرة

وقوله : (إذا علمت ذلك ظهر ذلك أنّ الدنيا دار فناء) ، لأنها دار تكليف لا دار بقاء فلمّا أنزل تعالى الخلق إلى هذه الدار ألزم بُنْيتهم الأعراض والأغراض والدواعي إذ لم يجعلها دار قرار بل ابتلاهم بالبلايا وامتحنهم للاختبار ، فلحقهم من تلك الأعراض جميع الأسقام والأمراض ، ومن تلك الأغراض الغنى والفقر ، ومن تلك الدواعي طاعة الملك الجبار ومعصية السلطان القهار : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ﴾[1] ، وقصرت أعمارهم وطالت آمالهم واختبروا في أعمالهم وآمالهم ليعلموا أنها دار زوال وانتقال وضرب لهم الأمثال وبيّن لهم أنّ الآخرة هي دار القرار .

(١) سورة الفرقان ، الآية : ٢٠.

ومن نظر إلى تغير الأشياء في وقت ، وثباتها في وقت عرف أنّ الدنيا دار فناء حيث وجد التغير في الأشياء بالأمور الغريبة منها ، وأنّ الآخرة دار بقاء حيث وجد أنّ الثبات للأشياء من نفسها إذا تخلصت من الأمور الغريبة فإن فسادها من الغرائب ، فأماتهم سبحانه في هذه الدار وأقبرهم فيما خلقهم منه ليتخلصوا من العوارض الغريبة التي هي علة الفساد في الأجساد .

كل ما في علم الدنيا موجود في الآخرة

وقوله : (وإن هذه الدار وما فيها منتقلة إلى الدار الآخرة) ، لأن هذه الدار طريق لأهل الآخرة ليأخذوا منها متاعاً لسفرهم إلى دار قرارهم ولم يخلقوا من الدنيا ، وإنما مروا عليها لأجل المتاع فكلّ ما فيها من خير وشر منتقل إلى الآخرة فهذه الأبدان هي بعينها أبدان الآخرة كما قال صلى الله عليه وآله : (**وإنما تنقلون من دار إلى دار**)(1) .

وكذلك جنة الدنيا هي بعينها جنة الآخرة ونار الدنيا بعينها

---

(1) بحار الأنوار : ٦ / ٢٤٩.

وتمامه : (**ما خلقتم للبقاء وإنما تنقلون من دار إلى دار**) بحار الأنوار : ٦ / ٢٤٩. وروي بلفظ : (**إنّكم خُلقتم للبقاء لا للفناء**) شرح اعتقادات الصدوق ، للشيخ المفيد : ٤٧. وفي لفظ آخر : (**خلقتم للأبد وإنّما تنقلون من دار إلى دار**) علل الشرائع : ١ / ١١.

نار الآخرة كما قال تعالى في جنة الدنيا : ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ ﴾(١) فهذه في الدنيا ثم قال في هذه بعينها : ﴿ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴾(٢) يعني في الآخرة أي أنّ التي فيها بكرةً وعشيّاً في الدنيا هي التي نورث من عبادنا في الآخرة .

وقال في نار الدنيا : ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ ﴾(٣) ، فالغدوّ والعشيّ في الدنيا وهم يعرضون عليها في الدنيا ، غدوّاً وعشيّاً ويعرضون عليها يوم تقوم الساعة فالمعروض عليه واحد في الدارين دار الدنيا ودار الآخرة .

وقال صلى الله عليه وآله : (**الدنيا مزرعة الآخرة**)(٤) ، يعني الزرع في الدنيا والحصاد في الآخرة ، قال صلى الله عليه وآله : (**من يزرع خيراً يحصد غبطة ، ومن يزرع شراً يحصد ندامة**)(٥) .

---

(١) سورة مريم ، الآيتان : ٦١ ـ ٦٢ .
(٢) سورة مريم ، الآية : ٦٣ .
(٣) سورة غافر ، الآية : ٤٦ .
(٤) غنائم الأيام : ٣ / ٥٢١، وشرح أصول الكافي : ١ / ١٥٤ .
(٥) تحف العقول : ٤٨٩، وبحار الأنوار : ٧٥ / ٣٧٣ ح ١٩ .

بعض علامات قيام الساعة

وقوله : (وإنّ السماوات مطويات ، إلخ) ، أي يعرف بتجدد الأشياء وتبدلها أنّ السماوات مطويات كطيّ السجل أي الدفتر ، أو كما يطوي كاتب النّبي صلى الله عليه وآله الكتب واسمه السجل ، أو السجل اسم مَلَك .

والمراد من طيّها ، ومن تبديلها كشط ظاهرها وإلّا فهذه السماوات في الدنيا بعينها هي سماوات الآخرة ، كما أنّ جسدك في الدنيا هو جسد الآخرة ، وإنما تُصفّى كما يُصفّى جسدك .

والدليل عندك فأنت الدليل لك على كلّ شيء ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[1] ، ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّۗ ﴾[2] ، والكواكب ساقطة قال تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴾[3] ، لأن (**الكواكب منها معلق في سلاسل ومنها مركب كالفص في الخاتم**)[4] كما قال علي عليه السلام .

والمراد بالمعلق بالسلاسل ما كان له فلك تدوير مركوز في ثخن الفلك فإنه معلق بالنسبة إلى مقعرّ الفلك ومحدّبه لأنه في

---

(١) سورة الذاريات ، الآية : ٢١.

(٢) سورة فصلت ، الآية : ٥٣.

(٣) سورة الانفطار ، الآية : ٢.

(٤) لم نجده بهذه الألفاظ فيما توفر لدينا من مصادر .

فلك التدوير معلق بين سطحي الفلك والمركب كالفص من الخاتم ما كان سطحه مماسّاً لسطحي الفلك فإذا نفخ إسرافيل نفخة الصعق(١) بطلت الحركات وانتثرت أشعتها التي هي صورها فإذا كان يوم القيامة كانت السماوات أرضين للجنان .

والذي يظهر لي أنّ أجرام الكواكب تبقى في طورها فهي في أرض الجنان أعني السماوات كالجبال في أرض الدنيا وأنوار الكواكب مطموسة لرجوع أنوارها إلى الشمس ونور الشمس إلى الكرسي .

وقف الفلك أي الأفلاك لأنه أراد بالمفرد الجنس عن التدوار

---

(١) عن ثوير بن أبي فاختة ، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : سئل عن النفختين كم بينهما ؟ قال : **(ما شاء الله ، فقيل له : فأخبرني يابن رسول الله كيف ينفخ فيه ؟ فقال : أما النفخة الأولى فإن الله يأمر إسرافيل فيهبط إلى الدنيا ومعه صور ، وللصور رأس واحد وطرفان ، وبين طرف كل رأس منهما ما بين السماء والأرض ، قال : فإذا رأت الملائكة إسرافيل وقد هبط إلى الدنيا ومعه الصور قالوا : قد أذن الله في موت أهل الأرض وفي موت أهل السماء ، قال : فيهبط إسرافيل بحظيرة بيت المقدس ويستقبل الكعبة ، فإذا رأوا أهل الأرض قالوا : أذن الله في موت أهل الأرض ، قال : فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الأرض فلا يبقى في الأرض ذو روح إلا صعق ومات ، ويخرج الصوت من إسرافيل ، قال : فيقول الله لإسرافيل : يا إسرافيل مت ، فيموت إسرافيل . . .)** والحديث طويل ، انظر تفسير القمي : ٢ / ٢٥٢ ـ ٢٥٣، وبحار الأنوار للمجلسي : ٦ / ٣٢٥ ح ٢، وتفسير نور الثقلين للحويزي : ٤ / ٥٠٢ ح ١٦.

ـ بفتح التاء ـ أي عن الدوران لفناء نفسه بنفخة إسرافيل النفخة الأولى نفخة الصعق .

ووقف الكواكب عن التسيار ـ بفتح التاء ـ أي : عن السير لفناء نفوس أفلاكها ونفوسها التي تسبح بها في أفلاكها .

أما نفوس تداويرها ، أو نفوسها هي إذ كلّ فان وذلك الفناء لا محال كائن أما فناء الجزئيات فهو مقطوع به بالوجدان .

وأمّا فناء العالم العلوي عالم الأفلاك ونفوسها فقد ذكر المصنف دليله من التجدد والسيلان .

أدلة قيام الساعة

وأمّا قيام القيامة والساعة فعندهم أنّ دليله نص الكتاب المجمع على تأويله والسنّة عن النّبي صلى الله عليه وآله التي لا اختلاف فيها .

وأمّا الدليل العقلي فلم يقم لهم دليل عقلي على قيام الساعة الكبرى إلّا من حيث قيامه على حشر الأرواح للجزاء على الأعمال .

وأمّا على نفس قيام الساعة ، وعلى حشر الأجساد فلم يقم دليل عقلي على هذا ، وإنما يثبتونه من جهة الدليل النقلي من الكتاب والسنّة .

وأقول : أمّا الكتاب والسنّة فحجة قائمة وليس فوق الكتاب والسنّة حجة ، ولا أوضح برهاناً منهما .

وأمّا من جهة دليل العقل فيتوقف على ذكر مطالب يطول بذكرها الكلام ولكن أذكر قليلاً من ذلك ينتفع به أولوا البصائر والأفهام ، وإن كانوا مع كثرة توغّلهم ما عثروا عليه ولم تصل عقولهم إليه فنقول : مبدأ الأشياء أعلى من كلّ شيء فبدأهم تعالى منه ليصلوا بمعرفته وطاعته إلى أعلى درجات ما يمكن لكلّ واحد منهم ، ولا يكون ذلك إلّا بقبولهم باختيار منهم فخلقهم على الاختيار وكلفهم بما يوجب القيام به وصولهم إلى أعلى الدرجات ، ولا يمكن التكليف بالاختيار إلّا بإنزالهم إلى هذه الدار التي هي دار البلاء والاختبار فخلقهم ثم كلّفهم ثم أنزلهم إليها حتى كان منهم ما خلقهم له بما يسّرهم له فلمّا قضوا ما يُسّروا له مما خُلِقوا له من الأعمال نقلهم منها إلى ما هم صائرون إليه من أعمالهم التي منها طينتهم ، فرجعوا إلى ما بُدئوا منه صاعدين ، أو نازلين فلا بدّ أن يمرّوا بمحاذي نزولهم في كلّ رتبة فمحاذي الأول يكون أخيراً ومحاذي الأخير يكون أولاً كما هو شأن العود في كلّ شيء ، فأول مقام للتكليف في نزولهم مقام الخطاب بـ ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾(١) وهم نفوس كالذر يدبّون ، أو يدرجون ، وهو يوم

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢ . عن حمران ، عن أبي جعفر عليه السلام =

الجمع الأول في البَدء ، وهو يوم حقّت الكلمة وعض الأنامل من الغيظ ، ويحاذيه في صعودهم يوم القيامة .

فالأول : يوم القيامة الأول مقداره خمسون ألف سنة وذلك يوم النزول ويوم الدخول في قيود التكليف .

للقيامة يومان وبيان مقدارهما

والثاني : يوم القيامة الثاني مقداره خمسون ألف سنة ، وهو يوم الصعود ويوم الخروج من قيود التكليف وثاني مقام كسرهم في الطين وامتزاجهم في النور الأحمر المسمّى بالطبيعة الأولى مقداره أربع مئة سنة فكانوا في نزولهم طيناً مصلصلاً لا حسّ ولا محسوس ، لأجل عَركهِم بأعراض الدنيا التي هي دار التكليف ،

= قال : (إنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ حيث خلق الخلق خلق ماءً عذباً ، وماءً مالحاً أُجاجاً فامتزج الماءان ، وأخذ طيناً من أديم الأرض فعركه عركاً شديداً . فقال لأصحاب اليمين وهم كالذرّ يدبّون : إلى الجنّة بسلام ، وقال لأصحاب الشمال : إلى النار ولا أُبالي ، ثم قال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴾ . ثم أخذ الميثاق على النبيّين ، فقال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ وأنّ هذا محمّد رسولي ، وأنّ هذا عليّ أمير المؤمنين ؟ ﴿ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ ، فثبتت لهم النبوّة . وأخذ الميثاق على أُولي العزم أنّني ربّكم ، ومحمّد رسولي ، وعليّ أمير المؤمنين وأوصياؤه عليهم السلام من بعده ولاة أمري ، وخزّان علمي ، وأنّ المهديّ أنتصر به لديني ، وأُظهر به دولتي ، وأنتقم به من أعدائي ، وأُعبد به طوعاً وكرهاً . قالوا : أقررنا يا ربّ وشهدنا) .

ويحاذيه في صعودهم مقام ما بين النفختين مقداره أربع مئة سنة فكانوا تراباً متفتتاً هامداً .

فالأول : لأجل مزجهم بالأعراض والأغراض ودواعي الأمراض للابتلاء في التكليف وإيذاناً بالفناء والانتقال .

والثاني : لأجل تخليصهم من الغرائب والأعراض وما لحقهم من دار الفناء والزوال إيذاناً بالبقاء وعدم الارتحال فكانوا تراباً هامداً لا حسّ ولا محسوس ، فاقتضت الحكمة أن تكون هيئة الدخول كهيئة الخروج وحيث كانت الأجسام والأجساد أشياء ، وأخبر خالقها العالم بما خلق في قوله الحق : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾(١) ، وقد خوطبت النفوس بـ ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾(٢) وهي في أجسامها ، وتُسأل عن موافاة قولها : بلى في قبورها وهي في أجسامها وفي محاذاة يوم السؤال في البدء يوم الحشر فتعاد للجزاء وهي في أجسامها فهي كلّ مقام هي هي بلا زيادة ذاتية ، ولا نقصان ، وإنما كانت في البدء ذائبة لأجل تمكنها من العرك في الكسر والصوغ في الوجود الشرعي فلمّا انتهى ذلك جمدت لأجل الثبات فكانت جامدة متماسكة في البقاء في حكم الذائبة .

---

(١) سورة الحجر ، الآية : ٢١.

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢.

وآية هذا ما هو مشاهد عياناً في مراءاة الحكماء الذي هو عمل الإكسير على الطريق فإنهم يحلون المادة مرة بعد أخرى ويعقدونها ويحلونها ويعقدونها ، ثم يزوجون الذكر بعد تطهيره وغسله من سواد الأعراض بالأنثى ثم يفصلونه إلى العناصر الأربعة ثم يحلونه ويعقدونه ثلاثاً ثم يحلّونه ويعقدونه ستّاً على تفصيل عندهم وقد تمّ وهو جسد صاف لونه لون الذهب وأشد ، وكذا ثقله ولكنه شفاف كالبلور وكالماء في حكم الذوبان والانتشار والغوص وفعله روحاني وهو جسم ، وهو آية أجسام الآخرة فإنها تدرك ما تدركه النفوس وذلك لاعتيادها على الكسر والصوغ والحل والعقد فقد حلّت في العقل وعقدت في النفس وحُلّت في الطبيعة وعقدت في المثال وحلّت في السحاب والماء والتراب والنبات ، والنطفة حلّت فيها وعقدت في العقلة وحلّت فيها وعقدت في المضغة وحلّت فيها وعقدت في العظام وحلّت حين كسيت لحماً وعقدت في الدنيا وحلّت في القبر وعقدت في الرجعة وحلّت بين النفختين وعقدت في القيامة .

فكانت الأجسام كالنفوس في إدراك الغيب وكانت النفوس كالأجسام في إدراك الشهادة فجرى عليها الحشر بمقتضى حشر النفوس فافهم .

وأيضاً الأرواح والأجساد كلها من شيء واحد ، وهو الوجود إلّا أنّ الوجود لـمّا كان كلّه شعوراً وإحساساً وعقلاً وإدراكاً

واختياراً وحياة كان ما خلق منه كلّه مثله كلّ شيء بنسبته فما كان أقرب إلى المبدأ كانت الصفات المذكورة فيه أقوى وما كان أبعد كانت فيه أضعف فهي في الأرواح أقوى منها في الأجسام ، وفي الأجسام أقوى منها في الأجساد وهذه الصفات في كلّ شيء حتى في الجمادات .

فالدليل الدال على إعادة الأرواح دال على إعادة الأجسام والأجساد لأنها تحس وتتنعم وتتلذذ وتتألم كالأرواح إلّا أنّ ذلك ضعيف ولكنها مكلفة كالأرواح .

وانظر إلى الكتاب والسنّة فإنهما ناطقان وليس هذا مكاناً لهذا الكلام ، وإنما ذكرته استطراداً لينتفع به من كان طالباً له كما كنت أفعل في الأشياء المجهولة فإني أنبه عليه تلويحاً ، وإن لم يكن المقام يقتضيها .

بيان المراد من الساعة وعلمها

وقوله : (ولكن علم الساعة عند الله) ، يريد به أنّ ذلك من الأشياء الخمسة التي تفرّد الله سبحانه بعلمها ولكن الكلام في ذلك كثير ، وأنّ الساعة ما المراد بها ؟ .

فقيل : المراد بها القيامة الكبرى .

وقيل : المراد بها قيام القائم عليه السلام .

وقيل : المراد بها حضور الأجل المحتوم .

وقيل : المراد بها وقوع شأن من شؤون الله تعالى .

وقيل : المراد بها حضور الموت الإرادي كما قال الحكيم : مُت بالإرادة تُحيى بالطبيعة واختلاف الأقوال من اختلاف المفسرين والأخبار حتى إنهم ربما ذكروا وجوهاً من التأويل للآية كلها وقال بعضهم ما قال الله سبحانه وما يُدريك فقد أخبر به وما قال وما يدريك فإنه لم يخبر به .

والساعة قال فيها وما يدريك وقيام الساعة ، وإن كان من المحتوم إلّا أنّ المجهول وقت القيام فإنّ لله سبحانه البداء في التقديم والتأخير فمحمد وأهل بيته صلى الله عليه وآله يعلمون قيام الساعة في نفسه .

وأمّا التقديم والتأخير فإلى الله سبحانه فإن أخبرهم بالوقت المحتوم إلّا فهو من المبهم المجهول .

وكلام علي عليه السلام لميثم التمار : **(إن الله عزّ وجل تفرد بخمس لم يطلع عليها أحداً من خلقه وتلا الآية ، وقال له : لولا آية في كتاب الله ، وهو قوله : ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ﴾[(١)] ، لأخبرتكم بما كان وما يكون إلى يوم القيامة)**[(٢)]

---

(١) سورة الرعد ، الآية : ٣٩.

(٢) الحديث بالمعنى انظر بحار الأنوار : ٤٧ / ٢٧٥ ، وتفسير نور الثقلين : ٢ / ٥٣ ح ١٦٧ .

يدلّ على أنّ الجهل بها وبأمثالها من جهة البداء ، لأن ما لم يكن فَلِّله عزّ وجلّ البداء فيه .

تذنيب
في بيان معنى الزمان والحركات

ذهب كثير ومنهم المصنف إلى أنّ الزمان عبارة عن حركة الفلك ولو كان حقّاً لما وجد زمان بين النفختين لإجماع المسلمين على بطلان جميع الحركات أربع مئة سنّة ليس في الأرض ، ولا في السماوات ، ولا بينهن ، ولا فوقهن ، ولا تحتهنّ متحرك ، ولا ذو روح موجود إلّا وجه الله الباقي بعد فناء كلّ شيء ولأنه مقابل في الصعود لعالم الطبيعة الكلية أعني طبيعة الكل ، ومع هذا فأجرام السماوات والأرضين والجبال باقية والزمان لا يفارق الأجسام ، ولا تفارقه فلا يوجد زمان لا جسم فيه ، ولا جسم لا زمان له إلّا الأجسام الجوهرية المجردة عن المادة العنصرية والمدة الزمانية وهي النفوس والطبيعة الكلية وجوهر الهباء أي الحصص الجنسية قبل تعلق الحصص الفصلية به ، والزمان هو المُدد بضم الميم جمع مدة ، وهو مقدار مكث الجسم في مكان .

وأمّا الحركات فهي آلات تصوره كما إذا ابتدأ سائر سريع ومتوسط وبطيء من أول مسافة معينة دفعة كما ذكروه فالزمان هو

المكث الوقتي خلقه الله سبحانه مع المكان والجسم دفعه في الظهور الوجودي ، وإن تقدم عليهما بالذات إلّا أنه لا يظهر إلّا في مكان ووقت .

والحمد لله رب العالمين .

تمّ الجزء الأول[1] في المبدأ من شرح العرشية

ويتلوه الجزء الثاني في المعاد

بقلم مؤلفه أحمد بن زين الدين الأحسائي

في الليلة السادسة والعشرين من ذي الحجة الحرام

سنة أربع وثلاثين بعد المئتين والألف

حامداً مصلياً مسلماً مستغفراً

تمت

---

(١) بحسب تجزيئة المصنف .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

أما بعد : فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي الهجري :

هذا الجزء الثاني[(١)] من شرح العرشية لصدر الدين الشيرازي الشهير بملّا صدرا[(٢)] .

---

(١) بحسب تجزيئة الشارح قدّس سرّه .

(٢) هو محمد بن إبراهيم الشيرازي (صدر الدين) صاحب كتاب العرشية ، حكيم ، من أهل شيراز .
توفي سنة ١٠٥٠ هـ ١٦٤٠ م .
رحل إلى أصبهان وتعلم فيها ، وتوفي بالبصرة ، وهو متوجه إلى مكة حاجاً .
له تصانيف كثيرة منها : تفسير بعض سور من القرآن ، شرح هداية الحكمة للأبهري ، مفاتيح الغيب ، شرح الكافي للكليني ، والشواهد الربوبية في المناهج السلوكية .
انظر الفوائد الرضوية للشيخ عباس القمي : ٣٧٨ - ٣٨١، وهدية العارفين للبغدادي : ٢ / ٢٧٩.

المشرق الثاني

في علم المعاد

المشرق الثاني في علم المعاد

قال : (المشرق الثاني) ، في علم المعاد وفيه إشراقات :
الأول : في معرفة النفس ، وفيه قواعد :
قاعدة : اعلم أنّ معرفة النفس من العلوم الغامضة التي ذهلت عنها الفلاسفة ذهولاً شديداً مع طول بحثهم وقوة فكرهم وكثرة خوضهم فيها فضلاً عن غيرهم من الجدليين إذ لا يستفاد هذا العلم إلّا بالاقتباس من مشكاة النبوة والتتبع لأنوار الوحي والرسالة ومصابيح الكتاب والسنّة الواردة في طريق أئمتنا أصحاب الهداية والعصمة عن جدِّهم خاتم الأنبياء (عليه أفضل صلوات المصلين ، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين) .

الإشراق الأول في معرفة النفس

قول المصنف : المشرق الثاني في علم المعاد وفيه إشراقات

أقول : قوله : (المشرق الثاني) ، كما تقدم ؛ أنه لـمّا كان يبحث عن حقيقة الشيء التي لا تعرف إلّا من أصل بدئه ، عبّر بالمشرق تشبيهاً للبصيرة المدركة ، أو للشيء المبحوث عنه بالكوكب الظاهرة من المشرق ، ولأن المعاد كالبدء الثاني .

بيان معنى المعاد

ويراد من المعاد عود الأرواح إلى الأجساد بعد مفارقتها بالموت في عالم البرزخ فإنها تبقى الأرواح إلى نفخة الصعق[١] ساهرة كما قال الصادق عليه السلام في تأويل قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ ﴾[٢] ، قال عليه السلام : (**تبقى الأرواح ساهرة لا تنام**)[٣] فإذا نفخ إسرافيل نفخة الصعق وهي نفخة جذب لا نفخة دفع كالنفخة الثانية فإنها نفخة دفع فإذا

---

(١) عن ثوير بن أبي فاختة ، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : سئل عن النفختين كم بينهما ؟ قال : (**ما شاء الله ، فقيل له : فأخبرني يابن رسول الله كيف ينفخ فيه ؟ فقال : أما النفخة الأولى فإن الله يأمر إسرافيل فيهبط إلى الدنيا ومعه صور ، وللصور رأس واحد وطرفان ، وبين طرف كل رأس منهما ما بين السماء والأرض ، قال : فإذا رأت الملائكة إسرافيل وقد هبط إلى الدنيا ومعه الصور قالوا : قد أذن الله في موت أهل الأرض وفي موت أهل السماء ، قال : فيهبط إسرافيل بحظيرة بيت المقدس ويستقبل الكعبة ، فإذا رأوا أهل الأرض قالوا : أذن الله في موت أهل الأرض ، قال : فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الأرض فلا يبقى في الأرض ذو روح إلا صعق ومات ، ويخرج الصوت من إسرافيل ، قال : فيقول الله لإسرافيل : يا إسرافيل مت ، فيموت إسرافيل . . .**) والحديث طويل ، انظر تفسير القمي : ٢ / ٢٥٢ ـ ٢٥٣، وبحار الأنوار للمجلسي : ٦ / ٣٢٥ ح ٢، وتفسير نور الثقلين للحويزي : ٤ / ٥٠٢ ح ١٦.

(٢) سورة النازعات ، الآيتان : ١٣ ـ ١٤.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي : ٥٣ / ٤٥ ح ١٧ ، وموسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام : ١ / ٤٦٣ ح ١٠٠٥ . ورواه في مختصر البصائر بلفظ قال : =

نفخ نفخة الصعق انجذبت الأرواح كلها ودخلت في الصور ، وهو شكل صنوبري له شعبتان شعبة لأهل الأرض وشعبة للسماء وصورته هكذا .

والنفخ في الجذب والدفع من طرفه الدقيق ولكلّ روح فيه ثقبة تختص بها لا تصلح لغيرها وفيه أي من الثقب ستة بيوت فإذا انجذبت الروح إلى ثقبها ألقت صورتها أي مثالها في البيت الأدنى ومادتها في البيت الذي فوقه وطبيعتها في البيت الثالث ونفسها في البيت الرابع وروحها في البيت الخامس وعقلها في البيت السادس .

وتبطل صورتها ويضمحل تركيبها أربع مئة سنة فإذا أراد عزّ

= بهذا الإسناد : عن الحسن بن راشد قال : حدّثني محمّد بن عبد الله بن الحسين قال : دخلت مع أبي على أبي عبد الله عليه السلام ، فجرى بينهما حديث ، فقال أبي لأبي عبد الله عليه السلام : ما تقول في الكرّة ؟ قال : **(أقول فيها ما قال الله تعالى ؛ وذلك أنّ تفسيرها صار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن يأتي هذا الحرف بخمس وعشرين ليلة ، قول الله تعالى : ﴿ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾ إذا رجعوا إلى الدنيا ولم يقضوا ذحولهم . فقال له أبي : يقول الله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ ﴾ أيّ شيء أراد بهذا ؟ فقال : إذا انتقم منهم وماتت الأبدان بقيت الأرواح ساهرة لا تنام ولا تموت)** . مختصر البصائر : ١١٨ ح ٤٢ ، الرجعة : ٥٩ ح ٣٨ ، والإيقاظ من الهجعة : ٢٧٩ ح ٩٣ ، وتفسير البرهان : ٤ / ٤٢٥ ح ١ .

وجلّ إعادتها للجزاء أمر إسرافيل بعد إحيائه وإقامته فنفخ في الصور نفخة الفزع الأكبر وهي نفخة دفع فدفع عقلها أولاً ثم روحها معه ثم نفسها معهما ثم طبيعتها معها ثم مادتها ثم صورتها فتألفت كما ركّبها ﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾(١) ، وكان قبل النفخ أمطر على وجه الأرض مطراً من بحر تحت العرش اسمه صاد كما قال تعالى : ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴾(٢) حتى كان وجه الأرض بحراً فضربته الأمواج فاجتمعت أجزاء كلّ شخص في قبره وتألفت ونمت وتم الجسد كحالته يوم قُبِرَ في قبره فإذا تم تركيب الروح طارت إلى قبره وولجت في جسدها وانشق القبر وخرج الشخص ينفض التراب عن رأسه .

القاعدة الأولى :
في بيان اختلاف الأقوال في معرفة النفس

وقوله : (إنّ معرفة النفس من العلوم الغامضة ، إلخ) .

اعلم أنّ العلماء اختلفوا في معنى قول النّبي صلى الله عليه وآله : (**أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه**)(٣) وقول أمير المؤمنين عليه

(١) سورة الانفطار ، الآية : ٨.
(٢) سورة ص ، الآية : ١.
(٣) روضة الواعظين : ٢٠، وميزان الحكمة : ٣ / ١٨٧٨، والاقتصاد للطوسي : ١٤.

السلام : (**من عرف نفسه فقد عرف ربه**)[١] فقيل : هذا من باب التعليق على المحال فإن معرفة النفس محال ومعرفة ذات الله تعالى محال .

وقيل : هو كما قال نبي الله داود على محمد وآله وعليهم السلام : (**من عرف نفسه بالجهل عرف ربه بالعلم ، ومن عرف نفسه بالعجز عرف ربه بالقدرة ، ومن عرف نفسه بالفناء عرف ربه بالبقاء**)[٢] ، وهكذا .

وقيل : من عرف نفسه بأنها ليست في مكان من جسده ، ولا يخلو منها مكان منه وأنها غير ممازجة للجسد ، ولا مفارقة وأنها مدبرة له وغير مشاركة له في الغذاء وأمثال ذلك عرف ربه بالنسبة ، إلى سائر خلقه .

وقيل : إذا قُلتَ : نفسي وروحي وعقلي وجسدي ، وثوبي وبيتي وملكي وما أشبه ذلك ، كان ما أضفت إليه هذه المذكورات غيرها فإذا عرفته عرفت ربك في قوله : (**عبدي وأرضي ، وسمائي وبيتي ، وخَلقي وملكي**) ، فإن الذي أضفت إليه تلك الأشياء هو الله سبحانه .

---

(١) شرح أصول الكافي : ٣ / ٢٣ ، وعوالي اللآلي : ١ / ٥٤ ، وبحار الأنوار : ٢ / ٣٢ ، ومصباح الشريعة : ١٣ ، والصراط المستقيم : ١ / ١٥٦ ، وتفسير الميزان : ٦ / ١٧١ ـ ١٧٢ مورد الآية ١٠٥ من المائدة ـ البحث الروائي .

(٢) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية : ٣ / ٢١ الهامش .

والأصح من هذه كلها ، لمن طلب المعرفة الحقة الكاملة ، أنّ الإنسان مركب من مادة وصورة وحقيقة المادة من فيض كرم الله وهي وصف الله نفسه لعبده ، لأن الله سبحانه لمّا كان لا يمكن معرفته لغيره من نحو ذاته وأحب أن يعرفه عبده وصف نفسه وصف تعريف وتعرّف وجعل ذلك الوصف حقيقة عبده وتلك الحقيقة هي مادته وهي وجوده وهي جهته من ربه وهي نور الله الذي ينظر به المؤمن المتفرس ، وهو فؤاده ، وهو آية الله في نفسه التي أراهم الله إياها وهي أنموذج فهواني فأي لفظ سمعت منا من هذه الأمور السبعة فإنّا نريد بها وصف الله سبحانه نفسه لعبده فمن عرف الوصف عرف الموصوف .

بيان طرق معرفة الله تعالى

ولمعرفته طريقان طريق مجمل وطريق مفصّل :

١ ـ الطريق المجمل لمعرفة الله تعالى

فالأول : إن وجودَك بالمعنى الثاني للوجود كما ذكرنا سابقاً هو أن تجد نفسك أثراً ونوراً وصنعاً والأثر يدل باللزوم على المؤثر والنور يدل على المنير والصنع يدل على الصانع فهذا إجمالي لمعرفة النفس .

٢ ـ الطريق المفصّل لمعرفة الله تعالى

والثاني : أعني الطريق المفصّل أن تنفي في وجدانك جميع

سبحات نفسك حتى لا تجد إلّا نفسك ، وهو الحقيقة التي سأل كميل عليّاً عليه السلام عنها فقال له : (**ما لك والحقيقة يا كميل** ؟ .

فقال كميل : أَوَ لست صاحب سرك ؟

قال : **بلى ولكن يرشح عليك ما يطفح مني** .

فقال : أَوَ مثلك يخيب سائلاً ؟

قال عليه السلام : **الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة** .

قال : زدني بياناً .

قال عليه السلام : **محو الموهوم وصحو المعلوم** .

قال : زدني بياناً .

فقال عليه السلام : **هتك الستر وغلبة السرّ** .

قال : زدني بياناً .

فقال عليه السلام : **جذب الأحديّة لصفة التوحيد** .

قال : زدني بياناً .

فقال عليه السلام : **نور أشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره** .

قال : زدني بياناً .

فقال : **أطفئ السراج فقد طلع الصبح**)[١] انتهى .

فقوله عليه السلام : (**كشف سبحات الجلال**) جمع سبحة ، وهي النور والشعاع وهي أعمالك وأقوالك وأفعالك وأحوالك وأوضاعك ونسبك وملكك وفعلك وانفعالك وما أشبه ذلك ، فإنّ كلّ ما سوى ذاتك ليس من ذاتك فحركتك غير ذاتك ، وسكونك غير نفسك وكونك ابناً ، أو أباً ، أو من ، أو على ، أو في ، أو لكذا ، أو عن كذا ، أو بكذا ، أو أكلك أو نومك ، أو كونك حادثاً ، أو قديماً ، أو ممكناً وهكذا كلّ شيء ينسب إليك ، أو يوصف بك ، أو توصف به كلّ ذلك غير نفسك فإذا محوتَ من وجدانك كلّ ما سوى نفسك حتى المحو لم يبق إلّا محض الأنموذج الفهواني الذي خاطبك الله به ووصف نفسه به لك ، وهو نفسك التي خاطبك بها خطاباً فَهْوانياً أي مشافهة جهراً عياناً بغير رمز ، ولا إشارة فهو شيء ليس في شيء ، ولا على شيء ، ولا لشيء ، ولا بشيء ، ولا من شيء ، ولا منه شيء ، ولا إلى شيء ، ولا إليه شيء وليس كمثله شيء ، ولا داخل في شيء ، ولا خارج عن شيء ، ولا مع شيء ، ولا معه شيء ، ولا بعيد ، ولا قريب ، ولا عال ، ولا دان ، ولا مصمت ، ولا مجوّف ،

---

(١) شرح الأسماء الحسنى : ج : ١ ، ص : ١٣٣ ، وكتاب جامع الأسرار ومنبع الأنوار : ١٢٧ ، ونور البراهين : ١ / ٢٢٢ ، والتحفة السنية : ٨ ، والأسرار الفاطمية : ٤٨ .

ولا قائم ، ولا قاعد ، ولا نائم ، ولا أبيض ، ولا أصفر ، ولا أخضر ، ولا أحمر ، ولا أزرق ، ولا أملح ، ولا ذو لون .

بيان أن معرفة النفس يؤدي إلى معرفة الربّ

والحاصل : هو شيء ليس كمثله شيء ، لأن المشابهة غير الذات وإذا أفردت نفسك عن كلّ ما هو غير محض نفسك فقد عرفتها لأنك قد عرفت أنّ هذه الأغيار غيرها ، و(**من عرف نفسه فقد عرف ربه**)(١) لأنه عرف وصف الله سبحانه ، ومن عرف الوصف عرف الموصوف ، لأنه تعالى كذلك ليس في شيء ، ولا فيه شيء ، ولا من شيء ، ولا منه شيء وهكذا كما قلت في تفريد نفسك عن سُبُحاتها التي ذكرنا بعضها فإنها غير نفسك ، مثلاً إذا قيل لك : أنت في الأرض فكونك في الأرض خارج عن نفسك وكونك فوق شيء غير نفسك وكونك ابن فلان ، أو أبو فلان غير نفسك وكونك من شيء ، أو منك شيء غير نفسك وهكذا في كلّ شيء وكذا أنت ، وهو وأنا فإن نفسك غير الخطاب والتكلم والغيبة .

والحاصل : تعرف نفسك بعد كشف جميع سبُحاتها حتى الكشف نفسه كما أشار عليه السلام إليه بقوله : (**من غير**

(١) شرح أصول الكافي : ٣/ ٢٣، وعوالي اللآلي : ١/ ٥٤، وبحار الأنوار : ٢ / ٣٢، ومصباح الشريعة : ١٣، والصراط المستقيم : ١ / ١٥٦، وتفسير الميزان : ٦ / ١٧١ ـ ١٧٢ مورد الآية ١٠٥ من المائدة ـ البحث الروائي .

إشارة)[١] : فإن الإشارة أيضاً غير نفسك لأنها من جملة السبحات .

وباقي فقرات الحديث يرجع إلى هذا المعنى ، وقد تكلمنا عليه بتمامه في بعض رسائلنا وباقي كلام المصنف[٢] في هذه القاعدة ظاهر ليس فيه إشكال ، وإنما الإشكال في دعواه .

القاعدة الثانية في مقامات النفس الإنسانية

قول المصنف : قاعدة أن للنفس الإنسانية مقامات ودرجات كثيرة

قال : قاعدة (أن للنفس الإنسانية مقامات ودرجات كثيرة من أول تكونها إلى آخر غايتها ولها نشآت ذاتية وأطوار وجودية وهي في أول النشآت التعلقية جسماني ثم يتدرج شيئاً فشيئاً في الاشتداد ويتطوّر في أطوار الخلقة إلى أن تقوم بذاتها وتنفصل عن هذه الدار إلى الدار الآخرة فترجع إلى ربها ، فهي جسمانية الحدوث روحانية البقاء وأول ما تتكون من نشآتها قوة جسمانية ، ثم صورة طبيعية ثم نفس حساسة على مراتبها ، ثم مفكرة ، ثم ذاكرة ، ثم

---

(١) في حديث كميل المتقدم .

(٢) هو الملّا صدرا محمد بن إبراهيم الشيرازي (صدر الدين) صاحب كتاب العرشية الذي قام بشرحه الشيخ الأوحد هنا .

ناطقة ، ثم يحصل لها العقل النظري بعد العلم على درجاته من حدّ العقل بالقوة إلى حدّ العقل بالفعل والعقل الفعال ، وهو الروح الأمري المضاف إلى الله في قوله : ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾[١] ، وهو كائن في عدد قليل من أفراد البشر ، ولا بدّ في حصوله من جذبة ربانية لا يكفي فيه العلم والكسب كما ورد : ((جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين)) .

بيان حقيقة النفس

أقول : أراد بكلامه في هذه القاعدة تعريف النفس والكشف عن حقيقتها بما هو عن الكتاب وسنّة محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته المعصومين عليهم السلام ، كما هو دعواه ولكنه في عمله واعتقاده يسلك مسلك الفارابي[٢] وأبي علي بن

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٨٥.

(٢) هو محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان الفارابي ، ويلقب بالمعلم الثاني (أبو نصر) حكيم ، رياضي ، طبيب ، موسيقي عارف باللغات التركية والفارسية واليونانية والسريانية .
ولد في فاراب سنة (٢٦٠ هـ ـ ٨٧٤ م) ، وأحكم العربية ولقي متى بن يونس فأخذ ، عنه وسافر إلى حران ، فلزم بها يوحنا بن جيلان ، وسافر إلى مصر ، ثم رجع إلى دمشق فسكنها وتوفي بها في رجب سنة (٣٣٩ هـ ـ ٩٥٠ م) .
من تصانيفه الكثيرة (٣) : آراء أهل المدينة الفاضلة ، المدخل إلى صناعة =

سينا(١) وابن عربي(٢) وابن عطاء الله(٣) وأمثالهم .

= الموسيقى ، إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها ، المدخل إلى علم المنطق ، وتحصيل السعادة .
انظر البداية والنهاية لابن كثير : ١١ - ٢٢٤ .

(١) هو الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا البلخي ، ثم البخاري ، ويلقب بالشيخ الرئيس (أبو علي) فيلسوف ، طبيب ، شاعر ، مشارك في أنواع من العلوم .
ولد بخرميشن من قرى بخارى في صفر (٣٧٠ هـ - ٩٨٠ م) ، وتوفي بهمذان في رمضان سنة (٤٢٨ هـ - ١٠٣٧ م) .
وفي الكامل لابن الأثير : مات بأصبهان في شعبان .
من تصانيفه الكثيرة : القانون في الطب ، تقاسيم الحكمة ، لسان العرب في اللغة ، الموجز الكبير في المنطق ، وديوان شعر .
انظر معجم المؤلفين لعمر كحالة : ٤ / ١٩ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٩ / ١٥٧ .

(٢) هو أبو بكر محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي من ولد عبد الله بن حاتم الطائي الأندلسي .
ولد بمرسية بالأندلس يوم الاثنين السابع عشر من شهر رمضان المعظم سنة ستين وخمس مئة هجرية (٥٦٠ هـ) (٢٨ / ٧ / ١١٦٥ م) .
مات في ٢٢ ربيع الثاني سنة ٦٣٨ هـ (٢٦ / ١١ / ١٢٤٠ م) .
انظر ترجمته في الدر الثمين : ٣٧ ، وفوات الوفيات : ٢ / ٣٢٥ .

(٣) هو أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الاسكندري ، الجذامي ، الشاذلي ، الشهير بابن عطاء الله (تاج الدين ، أبو العباس ، وأبو الفضل) صوفي مشارك في أنواع من العلوم كالتفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو والأصول .
توفي بالقاهرة في جمادى الآخرة سنة (٧٠٩ هـ - ١٣٠٩ م) . =

وما كان سالكاً مسلكاً يوافق طريق الكتاب والسنّة لا في اللفظ ، ولا في نمط الأدلة ، ولا في المعاني المدلول عليها فأي معنى لتلك الدعوى والعجب من أولئك الأتباع كيف قبلوا منه ما يخالف الكتاب والسنّة ونسبتها إلى الكتاب والسنّة .

بيان مقامات ودرجات النفس

وقوله : (إن للنفس مقامات ودرجات كثيرة من أول تكونها إلى آخر غايتها) ، يدل على ذكر سَيرها في تنزلها وصعودها ، لا على معرفتها ولذا قال : (لها نشآت ذاتيات) ، أي : حصول وتحقق لذاتها يعني ذاتيّاً لا عرضيّاً وأطوار وجودية .

أمّا عنده فمن طَور النطفة إلى طَور العلقة ، ومنه إلى طور المضغة وهكذا لأنها عنده جسم زماني .

وأمّا عندنا فمن طَور العقل أي : معنًى إلى طَور الروح ، أي : رقيقة ومنه إلى طَور النفس ؛ أي : صورة جوهرية ، وجسم دهري ، كما أشرنا إلى بيانه فيما مضى من قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا

= من مصنفاته : التنوير في إسقاط التدبير في التصوف ، مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح في ذكر الله الكريم الفتاح ، لطائف المتن في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه أبي الحسن أصول مقدمات الوصول ، والمرقى إلى القدير الأبقى .
انظر طبقات الشافعية للسبكي : ٥ / ١٧٦ ـ ١٧٧، وإيضاح المكنون للبغدادي : ١ / ٩٣ .

﴿يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾[١] ، قال عليه السلام : (**يعني بموت العلماء**)[٢] انتهى ، وذلك أنّ الصور العلمية التي هي أطراف الأرض أي نهاياتها بمعنى أنّ ما يصدق عليه اسم الأرض إلى النفس التي هي محل الصور العلمية ، أو هي الصور العلمية .

وقوله : (وهي في أول النشآت جوهر جسماني) يشير به إلى ما قلنا مما عنده فإنها عنده في أول نشآتها جوهر جسماني ، يعني نطفة ثم يتدرج شيئاً فشيئاً أي علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم تكسى لحماً ثم تنشىء خلقاً آخر أي نفساً حيوانية حسية في الاشتداد والقوة من أول تعلقها بالمواد متطورة في مراتب التطور ، إلى أن قال : تقوم بذاتها وتستقلّ بقوتها وتنفصل عما تعلقت به في هذه الدنيا دار الضيق والعسر والحرج حيث كانت محبوسة في قفص الهموم والغموم والأمراض والأعراض ، إلى الدار الآخرة والفضاء الواسع فترجع إلى ربها بما تزودته من أعمالها الطيبة ، أو الخبيثة .

بيان كون النفس حادثة

قال : (فهي جسمانية الحدوث روحانية البقاء) ، يعني أنها

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٤٤ .

(٢) بحار الأنوار : ٦٧ / ٣٤، والتفسير الصافي : ٣ / ٣٤١ ح ٤٤.

حكمها في الحدوث حكم الأجسام النباتية ، وغيرها لاشتراكهما في الطبيعة المتجددة والمتبدّلة وحكمها في الثبات والبقاء حكم الأرواح ، في أنها لا تفنى ؛ ، لأنّ الأرواح عنده باقية ببقاء الله لا بإبقائه ، لأن الأرواح هي العقول عنده .

وأمّا عندنا فالنفوس لها بقاء أطول من بقاء الأجسام ، وحدوثها أقدم من حدوث الأجسام إلّا أنّ عباراته ومقاصده لا تصدق إلّا على النفوس الحسية الفلكية ، وهو يريد الناطقة القدسية بدليل أنه يقول : هذه لها جنبة عقلية لأنها إذا كملت كانت عقلاً بالفعل وينكر عقلاً غيرها وليست إلّا الناطقة لأنها هي التي هو يدّعي ذلك لها .

وعندنا أنّ الناطقة القدسية أصلها الذي خلقت منه تنزّل العقل ، ولا تكون عقلاً ، وإن بلغت غاية الكمال لأنها هي في الإنسان الصغير كاللوح المحفوظ في الإنسان الكبير والعقل هو القلم ، ولا يكون اللوح قلماً أبداً .

وأمّا حدوثها فقد حدثت في وسط الدهر ، لأن العقل حدث في أول الدهر كما أنّ الفلك الأطلس حدث في أول الزمان ، وحدثت النفس في وسط الدهر كما أنّ السماوات السبع حدثت في وسط الزمان ، وحدثت الطبيعة في آخر الدهر كما حدثت العناصر في آخر الزمان فالنفس لها تقدم دهري قبل عالم الملك

والزمان بأربعة آلاف عام فلمّا خوطبت النفوس في ذر التكليف بـ ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾[(١)] .

فقال لهم : (ومحمد نبيكم ؟) .

قال المؤمنون : بلى .

وقال الكافرون : بلى بنية الوقوف والانتظار ، حتى يروا ما العاقبة وكثيراً ما نعبّر عنه بالسكوت أي لما قال لهم : **(ومحمد نبيكم)** ؟ ، سكتوا فقال لهم : **(وعلي إمامكم ووليكم ، والأئمة عليهم السلام من ذريته أئمتكم ؟)** .

قالوا : بلى[(٢)] .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢ .

(٢) عن حمران ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : **(إنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ حيث خلق الخلق خلق ماءً عذباً ، وماءً مالحاً أُجاجاً فامتزج الماءان ، وأخذ طيناً من أديم الأرض فعركه عركاً شديداً . فقال لأصحاب اليمين وهم كالذرّ يدبّون : إلى الجنّة بسلام ، وقال لأصحاب الشمال : إلى النار ولا أُبالي ، ثم قال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴾ . ثم أخذ الميثاق على النبيّين ، فقال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ وأنّ هذا محمّد رسولي ، وأنّ هذا عليّ أمير المؤمنين ؟ ﴿ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ ، فثبتت لهم النبوّة . وأخذ الميثاق على أُولي العزم أنّني ربّكم ، ومحمّد رسولي ، وعليّ أمير المؤمنين وأوصياؤه عليهم السلام من بعده ولاة أمري ، وخزّان علمي ، وأنّ المهديّ أنتصر به لديني ، وأُظهر به دولتي ، وأنتقم به من أعدائي ، وأُعبد به طوعاً وكرهاً . قالوا : أقررنا يا ربّ وشهدنا)** انظر الكافي : ٢ / ٨ ح ١ ، ومختصر البصائر : ١٥٥ ، وتفسير نور الثقلين : ٢ / ٩٥ ح ٣٤٤ . وقال رسول الله =

فالمؤمنون مصدّقون ، خاشعون خاضعون ، والكفار والمشركون مكذبون ، مستكبرون منكرون .

فلمّا خاطب النفوس وسعد بالإجابة من سعد وشقي بالإنكار من شقي ، رجعهم إلى الطين ، يعني كسر صيغتهم وأذابهم فكانوا طبيعة واحدة ، ثم حصَّصهم أي : جعلهم حصصاً كلّ حصة لشخص ، وأجراهم في الماء والسحاب والأرض والنبات ، فخرجوا في غيب المطاعم والمشارب ، ثم انتقلوا إلى النطف والنفوس ثم إلى الغيب ، ثم إلى العلق ثم إلى المضغ ثم إلى العظام .

والنفوس في كلّ هذه الأطوار غيب كامن فلمّا كسيت العظام لحماً ودماً وشعراً وبشراً بعدما نسجت العظام بمخها وعصبها وعروقها ، ظهرت النفس الحسية الفلكية وهي الولادة الجسمانية يعني أنّ الجسم ولد ما كان حاملاً له في جوفه ، وهو النفس فلمّا تمت مدة الحمل وولدته أمه وهي الولادة الدنيويّة ظهرت النفس الناطقة فالنفس قبل الجسم .

= صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : **(أنت الذي احتجّ الله بك في ابتداعه الخلق حيث أقامهم أشباحاً ، فقال لهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ! وقال : محمد رسولكم ؟ قالوا : بلى . قال : وعلي أمير المؤمنين ؟ فأبى الخلق جميعاً إلّا استكباراً وعتوّاً عن ولايتك إلّا نفر قليل وهم أقل القليل وهم أصحاب اليمين)** أمالي الصدوق : ٢٣٣ ح ٤١٢ .

وإنما نسميها بالجسم لأنها جسمانية أي مرتبطة بالنفس الحسية التي هي مركبها وحمارها ولأنها نهايات الأرض كما مرّ من أنها آخر ما يصدق عليه اسم الأرض لا أنها جسم من أجسام العناصر المركبة ، ولا من الأجسام المركبة من الطبائع البسيطة كالأفلاك بل هي نور جامد والعقل نور ذائب فحدوثها قبل الأجسام وبقاؤها أطول من بقاء الأجسام وأشد ثباتاً لأنها إذا مات الشخص خرجت في عالم البرزخ باقية ما بقي البرزخ والأجسام فنيت وكانت تراباً وبقي منها الطينة الأصلية وهي طينة الجسد المأخوذ من جابرسا أو جابلقا[1] اللتين أفلاكهما الدائرة عليهما المدبرة بإذن الله سبحانه

---

(١) قال أمير المؤمنين في حديث طويل فيه تعداد خلق الله تعالى : (. . . ثم أراد الله أن يفرقهم فرقتين فجعل فرقة عند مطلع الشمس من وراء البحر وكوّن لهم مدينة أنشأها تسمى جابرسا طولها اثنا عشر ألف فرسخ في اثني عشر ألف فرسخ وكوّن عليها سوراً من حديد يقطع الأرض إلى السماء ثم أسكنهم فيها . وأسكن الفرقة الأخرى خلف مغرب الشمس من وراء البحر وكوّن لهم مدينة أنشأها تسمى جابلقا طولها اثنا عشر ألف فرسخ في اثني عشر ألف فرسخ ، وكوّن لهم سوراً من حديد يقطع الأرض إلى السماء . وأسكن الفرقة الأخرى فيها لا يعلم أهل جابرسا بموضع أهل جابلقا ، ولا يعلم أهل جابلقا بموضع أهل جابرسا ، ولا يعلم بهم أوساط الأرضين من الجن والنسناس . فكانت الشمس تطلع على أهل أوساط الأرضين من الجن والنسناس فينتفعون بحرّها ويستضيئون بنورها ، ثم تغرب في عين حمئة فلا يعلم بها أهل جابلقا إذا غربت ، ولا يعلم بها أهل جابرسا إذا طلعت لأنها تطلع من دون جابرسا وتغرب من دون جابلقا) . فقيل : يا أمير المؤمنين فكيف يبصرون ويحيون =

لما فيهما المسماة بـ(**هورقليا**)[١] ، ومعناه ملكاً آخر ، لأن عالم الملك قسمان سفلي ، وهو عالم الدنيا المشاهد ، وعلوي وهو (**هو رقليا**) ، أي عالم الملك الثاني ، وهو الأول للنازلين والثاني للصاعدين .

والنفوس باقية كما قال الصادق عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ ﴾[٢] قال عليه السلام في تأويلها : (**تبقى الأرواح ساهرة لا تنام**)[٣] ، إلى أن

= وكيف يأكلون ويشربون وليس تطلع الشمس عليهم ؟ . فقال عليه السلام : (**إنهم يستضيئون بنور الله فهم في أشد ضوء من نور الشمس ، ولا يرون أنّ الله خلق شمساً ، ولا قمراً ولا نجوماً ، ولا كواكب ، ولا يعرفون شيئاً غيره**) . فقيل : يا أمير المؤمنين فأين إبليس عنهم ؟ قال : (**لا يعرفون إبليس ، ولا سمعوا بذكره لا يعرفون إلّا الله وحده لا شريك له لم يكتسب أحد منهم قط خطيئة ولم يقترف إثماً لا يسقمون ، ولا يهرمون ، ولا يموتون إلى يوم القيامة يعبدون الله لا يفترون الليل والنهار عندهم سواء**) بحار الأنوار : ٥٤ / ٣٢٢، وقصص الأنبياء : ٣٩.

(١) قال المصنف في الجزء الأول من شرح العرشية : (وجسم برزخي : وهو جسم مقداري له طول وعرض وعمق بلا مادة هو الجسم المثالي الظلّي الشبحي ، وهو الذي يسمونه التعليمي ، وهو الذي يسمون عالمه العلوي بـ(هورقليا) ، يعني ملكاً آخر وعالمه السفلي بجابلقا وجابرسا الشرقية والغربية) انتهى . وقيل : عالم هورقليا هو عالم الأفلاك المثالي أو سماواته ، وقيلْ : هو ما يقابل عالم المثال ، انظر المبدأ والمعاد للشيرازي : ٥٢٢.

(٢) سورة النازعات ، الآيتان : ١٣ ـ ١٤.

(٣) بحار الأنوار : ٥٣ / ٤٥ ح ١٧، وموسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام : ١ / ٤٦٣ ح ١٠٠٥.

ينفخ إسرافيل نفخة الصعق فحينئذ تبطل صورتها ، ويضمحل تركيبها ، ويتفكك تأليفها ، كلّ جزء من أجزائها الستة ، كما تقدم في مكانه من نوعه في الصور .

بيان الحدوث والتبدل والسيلان

وأما قوله : (روحانية البقاء) ، فالذي قامت عليه الأدلة العقلية والنقلية ، أنّ التجدد والتبدل والسيلان ، التي هي علل الحدوث ، جارية في الأجسام العنصرية ، والهورقليوية والمثالية ، والطبيعية والنفسية ، وفي الأرواح والعقول ، لعلة الافتقار والاحتياج إلى إيجاد الله سبحانه ، وإمداده في الصدور ، وفي البقاء فكلّ ما له مفهوم غير مفهوم عنوان الحق عزّ وجلّ فهو مفتقر إلى الله سبحانه وباق بإبقائه لا ببقائه وإلّا لكان مستغنياً عن الله تعالى .

فإن قلتَ : إنّ الباقي ببقاء الله تعالى لا يكون مستغنياً لأنا لم نقل إنه باق بذاته بل نقول إنه باق ببقاء الله لا بإبقائه ، لأنه شأن من الشؤون الذاتية . .

قلتُ : تريدون أنها محتاجة إلى الله تعالى في الصدور ، والبقاء في تلقّي مدده أم تريدون أنها مستغنية في الحالة الصدورية أم مستغنية في البقاء لا في الصدور ؟ فإن أردتم الأول فمرحباً بالوفاق ، وإن أردتم الثاني تعددت القدماء ، وإن أردتم الثالث فقد جعلتموها محتاجة مستغنية ثم يلزمكم عدم تغير شيء من المدد ويلزم منه عدم تغير الأشياء .

فإذا ثبت امتناع تعدد القدماء تساوت الحاجة والفقر إلى القديم تعالى من كلّ الأشياء التي يغاير مفهومها مفهوم عنوان القديم تعالى ، لا فرق بين المجرد كالعقول والأرواح والنفوس والطبائع وبين الماديات بل المجردات أشد افتقاراً من الماديات وأكثر استمداداً ولهذا كانت أبطأ تغيراً وأطول بقاءً .

بيان معنى القديم

وقولي : مفهوم عنوان القديم ولم أقل مفهوم القديم تعالى ، لأن القديم تعالى لا مفهوم له ، لأن المفهوم فرع المدركية ، وهو سبحانه لا يُدرك ، ولا يحيطون به علماً والعنوان لا يخالف صفة الذات القديم سبحانه في الوصف الإمكاني أي الذي تعرف به لخلقه .

ولمّا كان العنوان حادثاً في نفسه ، لأنه الدليل جاز إطلاق المفهوم عليه لأنه تعرّف الحق تعالى إلى خلقه فلو لم يفهموه لم يكن للتعرف فائدة ولكونه وصفاً حادثاً صح كونه صفة استدلال لا صفة كاشفة ولم يصح أن يكون للممتنع عنوان ، لأنه وصف والوصف لا يكون إلّا للموصوف الموجود ، ومن ثَمَّ أبطلنا ما صححه المنطقيون من قولهم : شريك البارئ معدوم وقلنا : هذه القضية كاذبة إذ شرط الصحة تصور الموضوع وما ليس بشيء لا يتصوّر ، لأن الصورة كما بيناه فيما مضى لا تقع في الذهن إلّا ظلية انتزاعية من خارج عن ذلك الذهن .

وما ذكروه من أنّ النفس لها قوة الاختراع للصور فقد أبطلناه وما ذكروا من أنّ تصور الموضوع يكفي فيه أدنى الالتفات والذكر ولو إجمالاً باطل ، لأنّ ما يدرك بالحقيقة لا يتصور ، ولا يحمل عليه منه ، إلّا على الجهة المدركة فلو لم يدرك من شيء إلّا أنه موجود بمعنى هسْت لم يحمل عليه قاعد ، أو قائم ولو أدركت أنه قائم لم تحمل عليه أنه قاعد فلا بدّ من تصور الموضوع بالصفة المحمولة .

وأيضاً قولهم : شريك البارئ معدوم ؛ هذا العدم المحمول إن كان محمولاً على الصورة الذهنية ، فالقضية كاذبة لأنها عندهم على زعمهم موجودة .

وإن كان على شيء خارج فهي كاذبة ، لأنه إذا كان خارجاً فهو موجود .

وإن كان على عنوانه فليس للاشيء عنوان مع أنّ العنوان لو ثبت فهو موجود ، وإنِ كان الحمل على الصورة باعتبار لا شيء رجع ، المعنى إلّا أنّ الحمل على الصورة بخصوصها ، لأن لا شيء إن كان نفياً إمكانياً فهو مخلوق كما ذكرنا قبل ، وكما قال الصادق عليه السلام للسائل : (**قل بقول هشام**[1] **في هذه**

---

(١) هو أبو محمد مولى كندة ، سكن البصرة ، وكان مشهوراً بالكلام ، كلم الناس ، وحكي عنه مجالس كثيرة ، ذكر بعض أصحابنا رحمهم الله أنه رأى له كتاباً في الإمامة . =

المسألة)[1] يعني أنّ النفي مخلوق ، وإن كان ما يزعمون من النفي الليس المحض أي الامتناع رجع القيد على خصوص الصورة فالحمل على كلّ حال لا يكون إلّا على موجود .

بيان النفس النباتية والحساسة

وقوله : (وأول ما تتكون من نشأتها ـ إلى قوله ـ : على مراتبها) ، قد ذكرنا قبل أنّ هذا لا ينطبق إلّا على النفس النباتية لأنها هي التي أول أو ما تتكون قوة جسمانية ثم صورة طبيعية إلى هنا .

وأمّا النفس الحساسة فهي قوة فلكية كما ذكرنا سابقاً ، وإن كانت النباتية مرَكباً لها لأنها إنما تتعلق بها وتشرق عليها ، إلّا أنّ النباتية من العناصر والحساسة ليست من العناصر ، وإنما هي من المجردات المقارنة ، إلّا أنها تعد من أسافل المجردات المقارنة لأنها من نوع البرازخ حتى أنها ربما نسيت أصلها ، وذلك لأنها بعدت عن مبدئها واتصلت بغير نوعها وهي النباتية فجمدت

= ومولده الكوفة ، ومنشؤه واسط ، وتجارته بغداد . ثم انتقل إليها في آخر عمره ونزل قصر وضاح . وروى هشام عن أبي عبد الله وأبي الحسن موسى عليهما السلام ، وكان ثقة في الروايات ، حسن التحقيق بهذا الأمر .
انظر رجال النجاشي : ٤٣٤ رقم ١١٦٤ .

(١) بحار الأنوار : ٤ / ٣٢٢، ومسند الإمام الرضا عليه السلام : ٢ / ٤٥٣ ح ٥٧ .

فشابهت مركبها وذلك لبعض أفرادها كنفوس الجراد والخنافس وأمثالهما حتى أنها إذا قطع عضو من أعضائها بقي يتحرك مدة ، لأنّ نفسها تقبل الفصل والتجزي لجمودها وبعدها عن مبدئها وممازجتها للنباتية ، إلّا أنها على كلّ حال ليست من نوع النباتية ، لأن النباتية استقصّها العناصر منها بدأت وإليها تعود والحساسة من نفوس الأفلاك منها بدأت وإليها تعود .

ومراتبها تكون بالشدة والضعف ، ولا تكون النباتية حساسة كما لا تكون الحساسة ناطقة ، على ما بيناه سابقاً .

أقسام الحواس الباطنة

وقوله : (ثم مفكرة ثم ذاكرة ثم ناطقة) .

اعلم أنّ الحواس الباطنة يقسمونها إلى خمس :

١ ـ الحس المشترك (بنطاسيا)

الأولى : الحس المشترك ويسمى (**بنطاسيا**) ، في اللغة اليونانية ، وهو يدرك الخيالات الظاهرة أي المحسوسة كما ترى إذا أردت شيئاً بسرعة رأيته دائرة ، لأنّ إدراكه مركب من البصر والخيال ، لأن الحس المشترك برزخ بين الظاهر والباطن .

وإنما يعد من الباطنة ، لأن محله فيها ، وهو مشرف على الظاهرة مستعملاً لها ليوصل ما تؤديه إلى خزانته ، أعني الخيال

ومحله مقدّم البطن الأول من الدماغ ، لأن الدماغ له ثلاثة بطون أي تجويفات :

بطون الدماغ

أ ـ بنطاسيا والخيال

فالأول : فيه بنطاسيا في مقدمه والخيال في مؤخره .

ب ـ المتخيلة والوهم

والثاني : فيه قوّتان المتخيلة في أوله والوهم في آخره .

ت ـ البطن المؤخر فيه الحافظة

والثالث : هو البطن المؤخر فيه الحافظة خاصة وهي مراتب أفعال القلب .

وهذه القوى الخمس مجردة عن المواد العنصرية بذاتها إلّا أنها متعلقة بالدماغ بفعلها ، فهي مشرقة عليه كإشراقة الشمس ، وبمعونة محالّها ، تتصرف فيما خلقت له .

فالقوة المسماة (**ببنطاسيا**) ، أعني الحس المشترك تؤدي ما استفادته من الحواس بعد غيبتها إلى الخيال ، وهو خزانة الحس المشترك ، وهو في الإنسان الكبير فلك الزهرة ، لأن الحس تكون فيه الصور ما دامت الظاهرة تؤدي إليه والظاهرة تؤدي ما دامت الصور المدركة حاضرة فإذا غابت انقطع تأدي الظاهرة وأدى

الحس المشترك ما وصل إليه من الظاهرة قبل انقطاع تأديها إلى خزانته وهي الخيال لكون (**بنطاسيا**) ، برزخياً لا يتحقق تحصيله بدون البرزخية .

٢ ـ الخيال

والخيال هو الثاني قالوا وهو واضع كرسيه على الماء وطبعه مائل إلى الرطوبة والنسيان غالب عليه ، وكلّ ما يعرض عليه يحله في الوقت ولكن لا يحفظه .

٣ ـ الوهم

والثالث : الوهم ، وهو قوة تدرك بها النفس معاني جزئية لم تصل إليه من الحواس الظاهرة كالعداوة والصداقة والموافقة والمخالفة كما تدرك الشاة معنًى في الذئب ويدرك الكبش معنًى في النعجة ، وهذا شخص الوهم قد وضع كرسيه في النار وطبعه الحرارة واليبس مائل إلى اليبوسة ، وهو بعيد الفهم وإذا حفظ شيئاً لا ينساه كذا قالوا .

وأقول : إنه شخص ذو قدرة إلّا أنه يظهر ما ذكروه للأغيار ويبطن خلاف ذلك للأخيار يبطن الماء ويظهر النار على حدّ قوله تعالى : ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1] ، وهو نفس

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥٤.

المريخ فإنه نحس في ظاهره وحار يابس وهذا بحسب ظاهره وصورته .

وأمّا بحسب باطنه فإنه بارد رطب وسعد وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾(١) .

وقد قال الصادق عليه السلام : (**إنه سعد ، وهو بارد رطب ، وهو نجم سيدنا أمير المؤمنين عليه السلام**)(٢) .

وذكر علماء الصناعة هذا المعنى بعينه ولوّح إليه ابن أرفع رأس .

وقال علماء الطبيعة : الحديد ظاهره ذهب ، وباطنه فضة يعنون أنّ زعفرانه حار يابس يدخل في أصباغ الذهب وإذا طُهّرت أوساخه كان فضة .

وقبل هذا الشخص شخص المتخيلة .

فالأولى : أن يكون هو الثالث والوهم هو الرابع ، لأنّ شخص المتخيلة قاعد في السماء الثانية مصاحب للملائكة الثلاثة شمعون وزيتون وسيمون بجوار الكاتب عطارد ، وهو مكان الفكر .

ومن ثم قيل : إنّ المتخيلة مرادفة للمفكرة ، وإنما أخّر شخص المتخيلة عن الوهم في الذكر ، لأنّ شخص المتخيلة

---

(١) سورة الحديد ، الآية : ١٣ .

(٢) لم نعثر على هذه الرواية فيما توفر لدينا من مصادر .

يشارك جميع القوى ويكون بطبع ما يكون معه وشأنه تركيب الصورة بعضها ببعض والمعاني بعضها ببعض ، والصور بالمعاني وبالعكس كتركيب أجنحة للإنسان وقرون للطير ومنه تركيب ألف رأس لشخص واحد هذا عندهم .

وأمّا عندنا فكلّ ما في هذه القوى انتزاعية من الأشياء الخارجة كما بيناه سابقاً .

وقيل الأول : شخص الخيال ، لأنّ الحس المشترك برزخ لا يُعد منها .

والثاني : شخص الوهم .

والثالث : شخص الفكر قد وضع كرسيه في الهواء وطبعه مائل إلى البرودة يكذّب ويتهم ويفتري فيها ويحكم على الذي لا يعرف فلا يلتفت إليه .

٤ ـ التذكير

والرابع : شخص التذكر قد وضع كرسيه على الماء وطبعه مائل إلى الحرارة ففي وقت يكون على صفة الملكية ، وفي وقت يكون على صفة المرأة والشياطين يؤلف الأشياء ويركبها وعنده غرائبها وعجائبها مثل علوم الصنائع والسيمياء والسحر والناريجات والشعوذة ، وهو المهندس فيه فاحذر أن يغرك كذا قيل .

٥ ـ الحفظ

والخامس : شخص الحفظ قد وضع كرسيه على الأرض وطبعه مائل إلى الاعتدال والغالب عليه المكر والحيلة والخدعة وهو حافظها بريء من الخيانة فيما تؤدّي إليه الأبواب الأربعة السابقة فيحفظ أفعالها فإن وقع عنده تغيير فليس منه ، وإنما هو من البوابين كذا ذكروا .

ولي في هذه الأشياء كلام يطول ذكره يصحح بعض ما قالوا ويكذّب بعضاً .

وقد يسمى الثالث باسم الرابع ، لأنّ الذكر لا يتم إلّا بالحفظ .

وقيل : شخص الحفظ يحفظ المعاني الجزئية ، وهو في جوار المشتري ونسبته إلى الوهم كنسبة الخيال إلى (**بنطاسيا**) .

فالمفكّرة من أفعال الناطقة مع استعمال القوة العقلية .

والمتخيلة من أفعال الناطقة مع استعمال القوة الوهمية .

وكذلك الذاكرة .

فإذا كانت هذه الحواس أحوالاً وأفعالاً للناطقة كيف تكون هي الناطقة ؟ لأنها لو كانت كما ذكره المصنف من أنها تترقّى حتى تكون ناطقة لما وجدت للناطقة ولما وُجدت حيث توجد الناطقة ، بل تكون للناطقة كالحصرم للعنب إذا بلغ العنبية ذهبت الحصرمية .

وكالنطفة بالنسبة إلى العلقة والعلقة بالنسبة إلى المضغة والمضغة بالنسبة إلى العظام وهكذا فلا يكون للرتبة السفلى تأثير ، ولا تحقق عند وجود الرتبة العليا والأمر فيما ذكره على العكس إذ لا توجد المفكّرة ، ولا المتخيلة ، ولا الذاكرة ، ولا الحافظة ما لم توجد الناطقة .

فقوله : (أول ما تتكون من نشأتها قوة جسمانية) ، غلط ، لأنّ ما يشير إليه هو النفس النباتية ولكنه نظر إلى العود الأخضر من زرع الحنطة ولم ينظر إلى الحبة التي ظهر منها العود الأخضر ، فإن الحبة أصله فإذا زرع ظهر في ظاهره العود الأخضر والحبة كامنة فيه حتى تخرج فكذلك النفس الناطقة فإنها غيب في النفس الجسمانية ، أعني النباتية وليست هي إياها ، وإن كانا معاً من الوجود ظاهراً ، إلّا أنها ليست منها ، وإن كانت النباتية من أثرها فإن الناطقة كالشمس والنفس الفلكية الحيوانية الحسية ، كالشعاع من الشمس ، لأنها من شعاعها .

والنفس الجسمية النباتية كالعكس من الشعاع ، أي شعاع الشعاع فلا يكون شعاع الشعاع شعاعاً في جميع أحواله وإن بلغ الغاية في التكمل ، ولا يكون الشعاع شمساً في جميع أحواله ، وإن بلغ كمال الترقي ، فكيف تكون النباتية التي هي شعاع الشعاع ناطقة كما لا يكون نور الظل الذي هو عكس شعاع الشمس وشعاعه شمساً ، لأنّ الناطقة ، أول ما تتكون من تنزّل العقل

وظهوره وليست جزءاً من العقل ، ولا جزئياً له ، وإنما هي بمنزلة الثلج من الماء ، فإن الجمود الذي هو حقيقة الثلج ليس من الماء ، ولا يكون ماءً ، وإنما هو صورة خارجية عرضت للماء بواسطة البرودة الخارجية لا البرودة التي هي جزء الماء وإلّا لكان الماء على الدوام جامداً فلا تكون الناطقة عقلاً بحال من الأحوال .

وقوله : (ثم يحصل لها العقل النظري) ، يعني به أنّ النفس ترقّت من جسمانيتها إلى أنّ حصل لها العقل النظري ، أي : الاكتسابي ، وهو الدرجة الثانية للعقل .

بيان الأقوال في تعريف العقل

واعلم أنّ العقل في تعريفه سبعة أقوال السابع منها : أنّ العقل هو النفس الناطقة الإنسانية ، باعتبار مراتبها في استكمالها علماً وعملاً كما يراه المصنف .

وأهل هذا القول يطلقون العقل على نفس تلك المراتب ، وعلى قوى النفس في تلك المراتب وذلك أنّ للنفس قوة باعتبار تأثرها عمّا فوقها وتلقيها منه ما يكمّل جوهرها من التعقلات ويسمى تحصيلها ذلك عقلاً نظرياً كما أنّ باعتبار تأثيرها في البدن بتكميل جوهره عقلاً اختيارياً ، لأنّ البدن آلة لها في تحصيل العلم والعمل ولها قوة أخرى وتسمّى عقلاً عملياً .

بيان مراتب العقل النظري

قالوا : وللعقل النظري مراتب أربع :

١ ـ استعداد بعيد للكمال

الأولى : استعداد بعيد للكمال ، وهو محض قابلية النفس للإدراك ويسمى عقلاً هيولانياً تشبيهاً بالهيولى الأولى المجردة لأنها قابلة لكلّ صورة كذلك محض قابليتها صالحة لكلّ استعداد من الاكتسابية النظرية ولهذا شبهت بالهيولى الأولى احترازاً عن الهيولى الثانية التي أخذ فيها الصور .

٢ ـ استعداد متوسط لتحصيل النظريات

الثانية : استعداد متوسط لتحصيل النظريات بعد حصول الضروريات بالأولى ويسمى عقلاً بالملكة يعني بالقوة لا بالفعل لكنه استعداد ثابت .

٣ ـ استعداد قريب لاستحضار النظريات

الثالثة : استعداد قريب لاستحضار النظريات وهذا العقل منهم من يسميه عقلاً بالفعل ومنهم من يسميه عقلاً مستفاداً .

٤ ـ الكمال وتحصيل النظريات مشاهدة

الرابعة : الكمال ، وهو تحصيل النظريات مشاهدة أي حصولها له بغير كسب ويسمى عقلاً مستفاداً .

ومنهم من يسمي هذا عقلاً بالفعل ويريدون بالفعل وبالمستفاد المدركات لا الإدراكات وربما اعتبر في المرتبة الثالثة حصول البعض بغير كسب .

وفي الرابعة حصول الكلّ بحيث لا يغيب عنه شيء .

ومن اعتبر الكلّ في المرتبة الرابعة قال بعضهم لا يكون هذا في الدنيا ، وإنما يكون في الآخرة .

وقال الآخرون : يجوز أن يكون في الدنيا للنفوس القَوية التي لا تشتغل بشيء وهذا أقوى ولكن الكلية إضافية ، لأنّ الأشياء مع تحققها كلها في عالم الإمكان قد يتحقق بعضها في الأطوار الكونية من الغيب والشهادة ، وقد لا يتحقق بعض منها ، وقد يكون بعض منها مشروطاً ومنه ما يحصل شرطه ومنه ما لا يحصل ، وعلى هذا لا تحصل جميع المدركات ولذا قال تعالى : ﴿ رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾(١) .

وقال صلى الله عليه وآله : (**اللهم زدني فيك تحيراً**)(٢) .

مع أنّ أحداً لا يجوّز رتبة لأحد من الخلق تساوي رتبة النّبي صلى الله عليه وآله فضلاً أن تكون فوق رتبته ، وأنّ أحداً لا يشك في بلوغه صلى الله عليه وآله الرتبة الرابعة من العقل كيف لا ، وقد

---

(١) سورة طه ، الآية : ١١٤ .

(٢) شرح الأسماء الحسنى : ١ / ١٩٨ .

قال تعالى في خطاب العقل : (**ولا أكملتك إلّا فيمن أحب**)[(١)] ، وهو حبيب الله صلى الله عليه وآله والله سبحانه أمره بطلب زيادة العلم وهو عليه السلام طلب زيادة التحير في الله عزّ وجلّ .

بيان مراتب العقل العملي

وقوله : (بعد العملي على درجاته) ، يعني به أنه يحصل للنفس الناطقة العقل النظري بعد أن تحصِّل العقل العملي على درجاته فإن له مراتب أربع كالنظري :

١ ـ تهذيب الظاهر

الأولى : تهذيب الظاهر باستعمال الشرائع النبوية .

٢ ـ تهذيب الباطن

الثانية : تهذيب الباطن من المهلكات المردية وترك الشواغل عن عالم الغيب .

٣ ـ تحلي النفس بالصور القدسية

الثالثة : تحلي النفس بالصور القدسية بعد القرب والاتصال بعالم الغيب .

---

(١) المحاسن : ١ / ١٩٢ ح ٦، الكافي : ١ / ١٠ ح ١، والأمالي للصدوق : ٥٠٤ ح ٦٩٢.

٤ ـ انجلاء ضياء المعرفة بالفؤاد

الرابعة : انجلاء ضياء المعرفة بالفؤاد واستغراقه في أنوار الجلال والجمال ، وهو مقام الصدق في المحبة ومقتول الحب الذي أشير إليه في الحديث القدسي : (**من أحببته قتلته ، ومن قتلته فعليّ ديته ، ومن عليّ ديته فأنا ديته**)(١) انتهى ، وليس وراء ذلك في العقل العملي على هذا الاصطلاح رتبة .

وأقول : المراد من قوله تعالى : (**ومن عليّ ديته فأنا ديته**) مثل قوله تعالى في حديث الأسرار : (**كلّما رفَعتُ لهم علماً وضَعتُ لهم حلماً ، وليس لمحبتي غاية ، ولا نهاية**)(٢) انتهى .

---

(١) الكلمات المكنونة : ٣٨٩، كلمة في شأن العالم العلوي وترقيات النفس الإنسانية إليه .
ولفظه : (**من طلبني وجدني ، ومن وجدني عرفني ، ومن عرفني أحبّني ، ومن أحبني عشقني ، ومن عشقني عشقته ، ومن عشقته قتلته ، ومن قتلته فعليّ ديّته ، ومن عليّ ديّته فأنّا ديته**) .

(٢) في حديث الأسرار كما رواه المصنف في شرح الزيارة الجامعة قال تعالى في القدسي : (**يا أحمد وجبت محبتي للمتحابين فيّ ، ووجبت محبتي للمتقاطعين فيّ ، ووجبت محبتي للمتواصلين فيّ ، ووجبت محبتي للمتوكلين عليّ ، وليس لمحبتي غاية ولا نهاية كلما رفعت لهم علماً وضعت لهم حلماً ، أولئك الذين نظروا إلى المخلوقين بنظري إليهم ولا يرفعون الحوائج إلى الخلق بطونهم خفيفة من أكل الحلال يغنيهم من الدعاء ذكري ومحبتي ورضائي عنهم**) الجواهر السنية للحر العاملي : ١٩١، وسرّ الأسرار في شرح حديث المعراج : ١ / ١٢ الفصل الثاني .

وهو كناية عن القرب ، وتقريب من أحبه منه بلا غاية بل دائماً يرفعه في درجات القرب إليه تعالى بلا غاية ، ولا نهاية لذلك السير ، ولا تقصر المسافة بينهما .

والحاصل : يريد المصنف بعد مراتب العقل العملي الأربع المذكورة والتحلي بها يحصل للنفس العقل النظري .

وأقول : إذا حصلت للإنسان هذه المراتب الأربع وتخلق بآدابها وتحلّى بحليتها ، على النحو الذي قرره الشارع عليه السلام ظاهراً وباطناً حصل له العقل الشرعي الذي به يعبد الرحمن ويكتسب به الجنان ، ولكن الإشكال في تصحيح المقدمات ، لأنّ صحة النتيجة متوقفة على صحة المقدمات وكثير ممن يسمع هذا يقرأ بيت مجنون ليلى :

وَكُلٌّ يَدَّعِي وَصلاً بِلَيلَى وَلَيلَى لا تُقِرُّ لَهُم بِذَاكَا[1]

فأجيبه ببيت مجنون ليلى :

إِذَا انبَجَسَت[2] **دُمُوعٌ فِي خُدُودِ تَبَيَّنَ مَن بَكَى مِمَّن تَباكَا**[3]

فإذا أردتَ أن تعرف الحق لتطلب به النجاة فخذ من الكلام ما نطقت به أخبار محمد وأهل بيته صلى الله عليه وآله وإياك أن تدخل

(١) أعيان الشيعة : ١ / ٢٩٨ .

(٢) في بعض المصادر : (انسكبت) ، وفي البعض الآخر : (اشتبكت) .

(٣) بحار الأنوار : ٣٥ / ٣٧٧ ح ١ ، وتفسير القرطبي : ٨ / ٢٣٠ .

عليك شبهة أنّ الأمور الأصولية الاعتقادية لا تكون إلّا بدليل العقل ، أو شبهة أنّ هذا طريقة الإخباريين ، أو شبهة أنّ العلماء الفحول الأجلّة على خلاف هذا ، أو واهمة عظم الأموات وكبرهم وجلالتهم في النفوس وصِغَر الأحياء المشاهدين .

فإن الحق أن تعرف الرجال بالمقال لا أن تعرف المقال بالرجال ، وإن أبيت إلّا أن تعرف المقال بالرجال فمحمد وآله المعصومون المسددون المؤيدون من الله سبحانه الصادقون على الله تعالى أولى من غيرهم بذلك فالزم النصيحة لئلّا تحل بك الفضيحة .

وقول المصنف : (من حدّ العقل بالقوة ، إلخ) ، يعني أنّ النفس التي منشاؤها القوة الجسمانية على زعمه ، تخرج وتنتقل من حدّ الجسمانية إلى الحيوانية الحساسة ثم إلى القوى النفسانية ، كالفكر والخيال والوهم والعلم ، والتعقل على الترتيب فإذا بلغت التعقل بالفعل ترقّت إلى العقل الفعال ، أي عقل الكلّ ونحن قد بيّنا فساد هذه الترقيات كما تقدم من أنّ الآثار لا تكون هي المؤثرات لها ، ولا تساويها في حال من الأحوال ولم يخلق الله تعالى مفعولاً من فاعله وإذا عاد كلّ شيء إلى أصله وما منه بدئ لم يعد المفعول إلى فاعله عود اتحاد ، ولا مساواة ، وإنما يعود إليه عود افتقار وسؤال كما بدأه كذلك : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[1] .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٢٩.

ولو جاز أن تؤول القوة الجسمانية إلى العقل الفعال ، وقد علم مما لا خلاف فيه ، ولا إشكال يعتريه أنّ كلّ شيء يعود إلى أصله لكان أصل القوة الجسمانية من العقل الفعال فيقال : إنها قوة عقلية لا جسمانية والعقل الفعال عند أصحاب العقول العشرة هو عقل العناصر وعند الأكثر هو عقل الكلّ الذي يسمونه أصحاب العقول العشرة بالعقل الأول ، وهو مراد المصنف .

واعلم أنّ لي هنا أبحاثاً شريفة يطول بذكرها الكلام فربما أذكر بعضاً منها مفرقاً في هذا الشرح ، وفي غيره مما يتعلق بالعقل .

إطلاقات الروح

وقوله : (وهو الروح الأمري المضاف إلى الله ، إلخ) .

اعلم أنّ الروح يطلق على ملكَيْن من العالين إذا نسب إلى أمر الله وأمر الرب .

١ ـ النور الأبيض

أحدهما : على النور الأبيض من أركان العرش ، وهو الأيمن الأعلى ، وهو العقل الكلي أي عقل الكلّ المسمى بالقلم .

٢ ـ النور الأصفر

وثانيهما : على النور الأصفر من أركان العرش ، وهو الأيمن الأسفل ، وهو الروح الكلي أي روح الكلّ .

ويطلق على ملكين آخرين من العالين أيضاً .

٣ ـ النور الأخضر

أحدهما : على النور الأخضر من أركان العرش ، وهو الأيسر الأعلى ، وهو النفس الكلية أي نفس الكلّ المسمى باللوح المحفوظ .

٤ ـ النور الأحمر

وثانيهما : على النور الأحمر من أركان العرش ، وهو الأيسر الأسفل أي الطبيعة الكلية أي طبيعة الكلّ .

فالأولان : هما الروح من أمر الله .

والأخيران : هما الروح الذي على ملائكة الحجب ، وقد أشار إلى هذا زين العابدين عليه السلام في الصحيفة في دعاء الصلاة على الملائكة فقال : (**والروح الذي على ملائكة الحجب**) ، وأراد به الأخيرين ، (**والروح الذي هو من أمرك**)[1] وأراد به الأولين .

معنى الأمر الذي منه الروح

والمراد من الأمر الأمر الفعلي ، وهو المشيّة والإرادة والأمر

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ٣٤، بحار الأنوار : ٥٦ / ٢١٧، ورياض السالكين : ٢ / ٢٩.

المفعولي ، وهو الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله وهذا أظهر ، لأنّ قوله : ﴿ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾[1] ، أتى فيه بمن الابتدائية التي تدل على التبعيض فإنها تدخل على أصل المادة مثل صغت الخاتم من الفضة وخلق الإنسان من التراب فإن من تدخل على المادة المبتدأ منها فالروح من الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله كما أنّ عقلك خلق من حقيقتك ، أي : وجودك فالأمر هنا هو المفعولي والعقل تقوّم به تقوّم تحقق أي تقوّماً ركنياً لا الأمر الفعلي ، الذي يتقوّم به العقل تقوّم صدور ، لأنّ (من) ، إذا دخلت عليه ما لو قلت : الكتاب المكتوب من حركة يد الكاتب ، كانت للمجاز بخلاف ما لو قلت : المكتوب من المداد فإنه حقيقة ، لأنّ المداد هو المادة .

بيان معنى ملائكة الحُجب

والمراد من ملائكة الحجب الملائكة الكروبيون وهم مئة ألف وأربعة وعشرون ألف ملك .

روى ابن إدريس في مستطرفات السرائر ، عن الصادق عليه السلام ، وقد سئل عن الكروبيين فقال : (**قوم من شيعتنا من الخلق الأول جعلهم الله خلف العرش لو قسم نور واحد منهم**

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٨٥.

على أهل الأرض لكفاهم . ولمّا سأل موسى ربه ما سأل أمر رجلاً من الكروبيين فتجلّى للجبل فجعله دكًا)[1] انتهى .

على مَن ينزل روح القدس ؟

وقوله : (وهو كائن في عدد قليل من أفراد البشر) ، ما أدري ما أراد بالقليل هل هو قليل إضافي يعني به الأنبياء عليهم السلام ، أو هم والأولياء أم هم مع العرفاء أم قليل حقيقي ؟

ومقتضى مذهبه أنه يريد به الأنبياء عليهم السلام والأولياء والعارفين .

وأمّا مذهب الأئمة عليهم السلام فإنه عندهم لا يوجد بذاته إلّا في محمد وآله الثلاثة عشر المعصومين عليهم السلام ، لأنّ أحاديثهم عليهم السلام دلت بأن هذا الروح لم ينزل إلى الأرض قط قبل محمد صلى الله عليه وآله ، ومنذ وجد صلى الله عليه وآله نزل ولم يصعد قط .

ويكون المراد أنه ينزل على الأنبياء عليهم السلام بوجه من وجوهه ، بل وعلى سائر المؤمنين ، بل وعلى غيرهم كما قال صلى الله عليه وآله لحسان بن ثابت ، وهو من المخالفين لمّا قال شعره المعلوم الذي أوله : (**يناديهم يوم الغدير نبيهم**)[2] ، قال

---

(١) بصائر الدرجات : ٨٩ ح ٢، وتفسير نور الثقلين : ٢ / ٦٤ ح ٢٤٥.

(٢) الأمالي للصدوق : ٦٧٠ ح ٨٩٨، خصائص الأئمة : ٤٢، روضة الواعظين : ١٠٣.

صلى الله عليه وآله : **(لا زلت يا حسان مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك)**[١] ، نعم يكون مع الأنبياء عليهم السلام بوجه من وجوهه كلّ بنسبة مرتبته من القرب من الله تعالى ويكون مع محمد وأهل بيته المعصومين صلى الله عليه وآله كلّه بجميع وجوهه وبذاته[٢] ، ولذا قالوا عليهم السلام لم ينزل قبل محمد

---

(١) شجرة طوبى : ٢ / ٢٢٣، وانظر المصدر السابق .

(٢) في الكافي روى أبو بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء : ٨٥] قال : **(خلق أعظم من جبرائيل وميكائيل لم يكن مع أحد ممن مضى غير محمد صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة عليهم السلام يسدّدهم وليس كلّ ما طلب وجد)** أصول الكافي : ١ / ٢٧٣ ح ٤ ، وبصائر الدرجات : ٤٥١ ـ ٤٤٥ ، ونور الثقلين : ٤ / ٥١٣ ح ٢٣ مورد آية المؤمن ١٥ .

وعن الإمام العسكري عليه السلام في قصة ولادة الإمام المهدي عليه السلام وحكيمة : (فصاح بي أبو محمد عليه السلام فقال : **(يا عمة تناوليه وهاتيه فتناولته وأتيت به نحوه ، فلما مثلت بين يدي أبيه وهو على يدي سلم على أبيه فتناوله الحسن عليه السلام مني والطير ترفرف على رأسه وناوله لسانه فشرب منه ، ثم قال : امضيَ به إلى أمه لترضعه ورديه إلي)** قالت : فتناولته أمه فأرضعته فرددته إلى أبي محمد عليه السلام والطير ترفرف على رأسه فصاح بطير منها فقال له : **(احمله واحفظه ورده إلينا في كل أربعين يوماً)** فتناوله الطير وطار به في جوّ السماء واتبعه سائر الطير فسمعت أبا محمد عليه السلام يقول : **(أستودعك الله الذي أودعته أم موسى موسى)** فبكت نرجس فقال لها : **(اسكتي فإن الرضاع محرم عليه إلا من ثديك وسيعاد إليك كما ردّ موسى إلى أمه ، وذلك قول الله عزّ وجلّ : ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ [القصص: ١٣]) قالت حكيمة : فقلت : وما هذا الطير ؟ قال : (هذا روح =**

صلى الله عليه وآله ولمّا وجد عليه السلام نزل عليه ولم يصعد أبداً ، والمراد أنه مع النّبي صلى الله عليه وآله وبعد وفاته انتقل إلى وصيه ، ولا يزال مع الأوصياء عليهم السلام ، وهو الآن مع الحجة عليه السلام .

شرط تنزل روح القدس

قوله : (ولا بدّ في حصوله من جذبة ربانية لا يكفي فيه العمل والكسب) ، يريد منه ما يذكره الصوفية فإن قوله كما ورد : (جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين) ، ليس من طرقنا ، وإنما هو من روايات الصوفية .

ويفهم من كلامه أنّ روح القدس ينزل على الصوفية إذا حصلت لهم جذبة من جذبات الحق ولقد شاهدنا أشخاصاً مجانين سلبت عقولهم فلا يصلي ، ولا يصوم ، ولا يترك محرّماً والعامة يعظمونه ويقولون : هذا مجذوب فيستدلّون على المجذوب بكونه مجنوناً ، أو مخالفاً لجميع أوامر الله ونواهيه فلذا ترى بعضهم يصعق ويقع من شدة الطرب عند سماع الملاهي ويبقى كالسكران ساعة ويقولون : هذا جذبٌ إلهي ونحن وجدناهم لا يزدادون بهذا الجذب إلّا جهلاً وتهتكاً للحرمات .

= القدس الموكل بالأئمة عليهم السلام يوفقهم ويسددهم ويربيهم بالعلم) .
روضة الواعظين : ٢٥٩ ، وكمال الدين وتمام النعمة : ٤٢٩ باب ٤٢ ح ٢ ، والأنوار النعمانية للجزائري : ٢ / ١٨ ، وبحار الأنوار : ٥١ / ١٤ ح ١٤ .

وأمّا على طريقة الحق المفهومة من أخبار أئمة الهدى عليهم السلام فلا يحصل روح القدس المشار إليه لغير محمد وآله صلى الله عليه وآله ، وأنّ الجذب جنون شيطاني لا إلهي كما زعموه .

وإنما طريق تحصيله لمحمد وآله صلى الله عليه وآله العمل الخالص والإقبال على الله سبحانه في جميع الأحوال بحيث لم يفقدهم حيث يحب ، ولا يجدهم حيث يكره ، فَهُم : ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾(١) ، فطريق تحصيله العمل والكسب بصدق القوابل الظاهرة للإيجاد والباطنة بالأعمال والمجاهدات ، لأنّ القوابل هي الطين بفتح الياء والأعمال من مقتضى الطينة وذلك ، لأنّ الفطرة التي على كمال الاعتدال تقتضي اقتران النور بها لأنها نور ، وعلى غاية كمال قابلية النور وكمال اعتدال الفطرة أنّ تصنع من طين وماء صافيَيْن معتدلَين في النسبة ، وفي التخمير فالماء الصافي هو الوجود أعني المادة ومعنى صفائه تلاشي إنيته أعني قابليته حتى تكاد تفنى لأنها أول الكون وأول الكون مادة بحت لكن وُسِمت في جهتها السفلى بشيء ما من الإنيّة وهي الانفعال ، وإنما قل انفعالها وضعف لأنها محل الفعل المقوّمة له فأثّرت في تحققه كما أثّر في تحققها فرجحت فيها جهة الفعلية في حال مفعوليتها فرقّت إنيتها ، لأنّ

---

(١) سورة الأنبياء ، الآيتان : ١٩ ـ ٢٠.

الفعل لا يتعدد فهي من جهة جنبة الفعلية غير متعددة واعتبار تعددها بحيث يقال لها : إنية فمن جهة جنبة المفعولية فليس فيها إلّا أقل ما يمكن أن تتقوم به من الإنية فهي ماء صاف ، وهو أول فائضٍ من الفعل ، وثاني الكون إجابتها حين قال تعالى : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾(١) ، فأجج نار التكليف على أكمل ما يحتمله الإمكان من إحسان الإجابة الذي هو الطينة التي هي القابلية التي هي الأم التي يسعد من سعد في بطنها ويشقى الشقي في بطنها .

وأمّا التخمير ، فتدبير ذلك باسمه الرحمن في سبعة أشواط حول بيت مشيته تعالى ، وهو كسره في الألف الأول أي النفس الرحماني الأوّلي بفتح الفاء سبع مرات اللّطف ثم صلاة ركعتين خلف مقام ظهوره ، وهو صوغه الأول في السحاب المزجى ثم في سبعة أشواط أُخر ، وهو كسره للتخليص بين صفا القدر ومروة القضاء ثم أحله في الصوغ الثاني وزاوج بينه وبين الوحي بالسَّقي بالألطاف والإمدادات مرة بعد أخرى وطاف به حول القدرة ثمانين ألف عام ، ثم حول العظمة ثم عضده بأعضاد علّاهم بتعليته وسما بهم إلى رتبته فإذا خلق أبوه أعني مادته في الملك القديم وخُلِقت أمه أعني الصورة في أحسن تقويم من نار هو نور لا ظلمة فيه خرج الشخص مستحقّاً لثناء الله سبحانه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢ .

عَظِيمٍ ﴾[١] ، ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[٢] ، ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾[٣] ، فـإذا تـأمـلـت هـذه الآيـات وأمثالها ومثل الحديث القدسي : (**ما زال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ، ويده التي يبطش بها إن دعاني أجبته ، وإن سألني أعطيته ، وإن سكت عني ابتدأته**)[٤] .

شرط تنزل الروح القدسية العمل والطاعة

ونظائر هذا علمت أنّ حصول الروح المذكور ليس إلّا بالعمل

(١) سورة القلم ، الآية : ٤.
(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٤٦.
(٣) سورة الأنعام ، الآية : ١٢٤.
(٤) الكافي : ٢ / ٣٥٢ ح ٧، وعوالي اللآلي للأحسائي : ٤ / ١٠٣ ح ١٥٢، ومعارج اليقين : ٢٠٥ ح ٥٠٥ ، ومشرق الشمسين للبهائي : ٤٠٢، ووسائل الشيعة : ٤ / ٧٢ ح ٤٥٤٤، ومحاسن البرقي : ١ / ٢٩١ ح ٤٤٣ بتفاوت . ولفظه في الكافي : عنْ حماد بن بشير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (**قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال الله عزّ وجلّ : من أهان لي ولياً فقد أرصد لمحاربتي ، وما تقرب إليّ عبدٌ بشيء أحبّ إلي مما افترضت عليه ، وإنه ليتقرب إلي بالنافلة حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها ، إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله كترددي عن موت المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته**) . وقد تقدم من المصنف قدس سره في الجزء الأول من شرح الزيارة معاني التقرب .

والكسب خاصة ، وأمّا التأييدات الإلهية والإمدادات الابتدائية ، وإن كانت لا تجب على الملك إعطاءها المستحقين لها ، لأنّ استحقاقهم ليس ملكاً ، ولا سبباً للملك ، وإن كان سبباً للتمليك والتملك بمقتضى عادة الكرم ، بمعنى أنّ تمليكه بسبب ذلك التأهل مخرج للإفاضة والإعطاء عن العبث والترجيح بلا مرجح وليس ذلك السبب ناقلاً للملك عن تملك مالكه عزّ وجلّ وذلك ، لأنّ الجذب المدّعى مقتضى فعل القدرة العامة غير المشروطة في تعلق أفعالها على شيء بحال من الأحوال ولو جاز إجراء الجذب بلا سبب ، ولا ترجيح لجرى على جميع الخلق من الإنسان وغيره حتى الجمادات لتساوي القدرة وأفعالها إلى جميع الأشياء على السواء فجميع الإمدادات والألطاف والخيرات كلها على حسب القوابل التي هي الأعمال الظاهرة والباطنة ، وإن كانت تلك النعم ابتدائية بمعنى عدم الاستحقاق لها بالتملك الناقل ، إذ يجوز أن يستحق العبد شيئاً ، ولا يعطيه الرب تعالى ، لأنّ العبد لا يملك شيئاً ، لأنه مملوك والملك لا يملك ، وإنما يعطي المستحق كرماً ابتدائياً ، وإن كان لأنه أهلٌ له ، وفي الدعاء : (**وجعل ما امتنّ به على عباده كفاءً**(١) **لتأدية حقه**)(٢) انتهى .

وقد ذكر الصادق عليه السلام كون النعمة بالاستحقاق على

(١) في بعض المصادر : (كفاية) .

(٢) مستدرك الوسائل : ١٣ / ٤٢ ح ١٤٦٨٦، ومفتاح الفلاح : ٢٦٥.

النحو الذي ذكرنا لا الاستحقاق الناقل عن ملك المالك تعالى قال عليه السلام لمّا سأله السائل : من أين لحق الشقاء أهل المعصية حتى حكم لهم في علمه بالعذاب على عملهم ؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام : (**أيها السائل حكم الله[١] عزّ وجلّ لا يقوم له أحد من خلقه بحقه ، فلمّا حكم بذلك وهب لأهل محبته القوة على معرفته ، ووضع عنهم ثقل العمل بحقيقة ما هم أهله ووهب لأهل المعصية القوة على معصيته لسبق علمه فيهم ومنعهم إطاقة القبول منه**)[٢] الحديث .

فتأمل هذا الحديث الشريف يرشدك إلى ما ذكرنا حرفاً حرفاً ، فما ذكره المصنف من التوقف على الجذب على معنى ما يذكرونه أهل هذه الدعوى غلط جرى منهم بغير علم ، ولا هدى ، ولا كتاب منير .

القاعدة الثالثة في قوة اللمس

قال : (أول ما ينشأ من روائح عالم الغيب ونسائم الملكوت في ذي الروح من القوى النفسانية قوة اللمس ، وهي تعم الحيوانات وتسري في الأعضاء من جهة الروح البخاري ومدركاتها ، أوائل

(١) في بعض المصادر : (علم الله) .
(٢) الكافي : ١ / ١٥٣ ح ٢، والتوحيد : ٣٥٤ ح ١.

الكيفيات الأربع وما يجري مجراهم ثم قوة الذوق لإدراك صور المطعومات التسعة ، وما يتركب منها ثم الشم المدرك لصور الروائح هي ألطف من الأوّلين ، وألطف الخمس وأشرفها قوتا السمع والبصر وقوة البصر للمبصرات بالفاعل أشبه منها بالقابل والسمع بالعكس بالقياس إلى المسموعات) .

قول المصنف : أول ما ينشأ من روائح عالم الغيب

أقول : لما ذكر الحواس الباطنة ذكر الحواس الظاهرة ومقتضى قاعدة رأيه من أنّ أول نشأة النفس قوة جسمانية أن يذكر الحواس الظاهرة أولاً إلّا أنه لعلّه إنما أخّرها لطول الكلام عليها ، أو من غير ملاحظة ، ولا عيب فيه .

بيان الحواس الظاهرة

وإنما ذكر اللمس أولاً ، لأنّ اللمس أقربها من الأجسام النباتية ، فيكون أولها وجوداً ثم الذوق لكون مدركه ألطف من الملموس ؛ لأنه يكون بنفوذ الأجزاء اللطيفة ، أو كيفية المذوق فالذوق ، لمس وإدراك وملاءمة ، أو منافرة ثم الشم لترتبه على الأولين لأخذ غاياتهما فيه وإدراكه على نحو إدراك الذوق بكون إدراكهما لأجزاء لطيفة ، أو لكيفية ثم السمع وإدراكه للأصوات وكيفياتها ، وهي ألطف من المدركات الأولى ، ولذا كان السمع

ألطف مما قبله ، ثم البصر وإدراكه للأشباح والألوان ، وهي ألطف من الأصوات ، ولذا كان ألطف من السمع .

وربما قيل : بتقديم البصر وقوة السمع لدعوى تقدم بطلان البصر قبله ، عند ابتداء النوم ، لأنّ النوم اجتماع الروح في القلب ، وأول ما تنجذب من البصر وتقديم السمع في الذكر أولى ، لأنّ البصر يدرك بدون مباشرة بخلاف السمع فإنه إنما يدرك إذا ضرب صوت الكلام الحجاب الذي هو كالطبل .

١ ـ بيان حاسة اللمس

أمّا اللمس فقالوا فيه : إنّ الحيوان الأرضي لمّا كان حامل كيفية اعتدالية لا يستقيم بدونها ، ولا تتعلق النفس الفلكية بغير الاعتدالية ، بل يكون سبب فراقها اختلال ذلك الاعتدال احتاج في حفظها إلى قوة حافظة لها بكونها مدركة لمّا يباشر ذلك الحيوان كالهواء والماء ، بأنه مخالف ، أو موافق ليحترز بها من المخالف ويطلب الملائم حتى لا يكون المخالف محرقاً له بحرّه ، أو مجمداً له ببرده ، أو مغرقاً له برطوبته وحتى يسكن الموافق ويتقوّى به الاعتدال عن الاختلال ، ولذا كان اللمس أسبق الحواس حصولاً ، ولأنه إنما يكون بالمباشرة التي هي من شأن الأجسام ولأن المدرك يكون من جنس مادة الكيفيات المدركات .

وحيث كانت الكيفية الاعتدالية شاملة لجميع البنية الحيوانية

وجب أن يكون الحافظ لها كذلك فكذا اللمس في جميع البدن وأعدل قوة اللمس ما كان في أنملة السّبّابة .

وأيضاً هذه القوة ، وإن كانت من أعراض عالم الغيب إلّا أنها لمّا كانت لتمييز أحوال الشهادة غلب عليها جانب الشهادة ، لأنّ تمييزها بالمباشرة فكانت سارية في جميع البدن من جهة الروح البخاريّ الذي هو محل الروح الحيواني فهي تجري حيث يجري الروح البخاري والروح البخاري يجري حيث يجري الروح الحيواني .

وقوله : (ومدركاتها أوائل الكيفيات الأربع) ، يعني أنها تميز بين هيئات مبادىء الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة ، ومن ثم قال بعضهم : إنّ قوة اللمس حاكمة بين الحار والبارد وبين الرطب واليابس وبين الصلب واللين وبين الأملس والخشن .

وقيل : وبين الثقيل والخفيف .

والوجه الأولى بالتحقيق : أنّ حكمها ليس للتمييز بين المتقابلات ، وإن حصل ذلك من باب اللزوم ، وإنما تميز بين المتقابلات وبين المفردات في مراتبها في الشدة والضعف للفائدة المذكورة وحيث ثبت أنّ جميع الأشياء إنما تتقوم بكيفية اعتدالية بنسبة رتبة كلّ شيء منها من الوجود الكوني الأمري المفعولي الذي به قام كلّ شيء قيام تحقق وجب أن يكون في كلّ شيء منها قوة حافظة لتلك الكيفية فيكون في المعادن مثلاً قوة لمس

معدنية ، وفي النبات قوة لمس نباتية ، وفي الحيوان قوة لمس حيوانية ، وفي الإنسان قوة لمس إنسانية .

٢ ـ بيان حاسة الذوق

وأمّا الذوق ؛ فهو بعد اللمس في الظهور ، وفي القرب من الأجسام وأعم الأربعة بعد اللمس لكنه لمّا كان مدركه ألطف من مدرك اللمس لأنه إما أجزاء لطيفة تنفذ في مسام اللسان ، أو كيفية يتكيف بها ريق الذائق فيدركها اللسان .

ولما كان مقتضى الحكمة أن يكون بين المدرك وما يدركه مناسبة ومشابهة ، وجسد الحيوان ليس كلّه لطيفاً مشابهاً ، لمّا تدركه القوة الذائقة ، لم يحسن أن تسري الذائقة في جميع الجسد بخلاف اللامسة ، ومع هذا فلا بدّ من القوة اللّامسة في إدراك الذائقة لاشتراط المباشرة فيها فاللامسة دليلها فإذا باشر المطعوم آلة الذوق وهي اللسان فني اعتبار اللامسة ، وتوّلت الذائقة إدراك المطعوم بجذب أجزاء لطيفة منه إلى جوفها ، فإذا انجذبت إلى جوف آلة الذائقة ، سوَاء كان بنفس الأجزاء أم بواسطة الرطوبة اللعابية المعدّة لمذُوقة الطعام المنبعثة من العرقين اللّذين تحت اللسان حصلت لها الملاءمة ، أو المنافرة اللتين يتحقق بأحدهما الذوق بشرط ألا يكون في الرطوبة ، ولا في اللسان طعم ليتأدى طعم المطعوم إلى القوة الذائقة ، أو يكون فيهما ، أو في أحدهما

طعم ضعيف لا يغير طعم المطعوم والصورة الذوقية هي الملائمة للقوة الذائقة ، أو المنافرة لها ونسبة هذه الصورة إلى القوة كنسبة الصورة إلى المادة وكنسبة الأنثى إلى الذكر .

والطعوم التسعة الحرافة والمرارة والملوحة وهذه الثلاثة من فعل الحرارة والحموضة والعفوصة والقبض ، وهذه الثلاثة من فعل البرودة ، والدسومة والحلاوة والتفاهة وهذه الثلاثة من فعل الكيفية المتوسطة .

معنى التفاهة

والمراد من التفاهة أحد معنيين :

أ ـ عدم الطعم

الأول : عدم الطعم حقيقة والتفه بهذا المعنى يسمى مَسيخاً .

ب ـ عدم الإحساس بالطعم

والثاني : ألا يحس بطعمه لشدة تلازم أجزائه فلا تنحل منه أجزاء تخالط اللّسان ، ولا تتكيّف الرطوبة اللعابية به بسرعة ، فلا يحس منه بطعم إلّا إذ عولج تحليل أجزائه ، أو تكريره في اللعابية ، فإنه يحس به كالحديد والنحاس وهذا معدوم الطعم دون الأول كذا ذكروا .

واعترض عليه بأن حصر الفاعل في محض الحرارة والبرودة

والكيفية المتوسطة ممنوع لحصول الفاعل من غيرها فإن مراتب الحرارة والبرودة في الشدة والضعف ، وفي اللطافة والكثافة غير محصورة فكيف تنحصر في التسعة .

وأيضاً الخيار والحنطة النيّة يحس منهما طعم بسيط ليس من التسعة فالاختلاف في اللطافة والكثافة والشدة والضعف إن اقتضى الاختلاف في النوع تتعدد الطعوم بلا حصر ، وإن لم يقتض الاختلاف كان القبض والعفوصة واحداً إذ لا فرق بينهما إلّا في الشدة والضعف فإن القابض يقبض ظاهر اللسان والعفص يقبض ظاهره وباطنه .

وأيضاً الترياق مرّ ، وهو بارد والعسل حلو ، وهو حار وكذلك السمن والماء له طعم غير التسعة ، وهو بارد .

فلعلّ ذكرهم التسعة من باب الأغلبية وإلّا فالحصر لا يصح بالاستقراء ، ولا بالعقل نعم يمكن أن نقول : ذكرهم الفاعل الغالب إذ لا يوجد طبيعة بسيطة ، أو الفاعل باعتبارين كما نقول : طعم الماء طعم الحياة والفاعل الحرارة والرطوبة ، أو الرطوبة والبرودة .

فالأول : فاعل الكون والذات .

والثاني : فاعل البقاء والصفة فتدبر .

ولي مسلك تعديل بين هذه الاضطرابات إلّا أنه يحتاج إلى تطويل لا يفيد فيما نحن بصدده فائدة يعتد بها .

٣ ـ بيان حاسّة الشمّ

وأمّا الشم فكما قلنا قبل : إنه ألطف من الذوق ، ولهذا تقدم الذوق عليه في الحصول وتأخر الشم ولأن مدركه ، وهو الهواء ألطف من مدرك الذوق سواء قلنا : إنّ الهواء يتكيف بكيفية ذي الرائحة ويؤدي بها إلى حلمتي الخيشوم ، أو يحمل أجزاء لطيفة من ذي الرائحة قد انبثّت فيه ويؤدي بها إلى الحلمتين أي العصبتين اللتين في المنخرين عند الخيشوم في كلّ واحد واحدة شبيهة بحلمتي ثدي المرأة ينبسطان عند وصول الرائحة الطيبة وينقبضان عند وصول الرائحة الخبيثة .

وبالانبساط والانقباض يحصل الشم للقوة الشامة إذ هما آلة إدراكها للرائحة .

والأرجح عندي في الذوق والشم أنّ المدرَك ـ بفتح الراء ـ الكيف لا الأجزاء ففي الذوق بتكيف الرطوبة اللعابية بطعم ذي الطعم ، وفي الشم بتكيف الهواء برائحة ذي الرائحة .

وقول أصحاب الأجزاء لتوهم عدم انفكاك الطعم عن الأجزاء والرائحة عن الأجزاء لعدم انتقال الأعراض ضعيف ، لأنّ المادة علّة ما ادعاه في الذوق والشم ، والهواء ألطف من الأجزاء وأشد نفوذاً ومماسة وأقرب إلى الصورة الشمية والصورة الذوقية من الأجزاء ، لأنّ الماء مقوّم للصورة الذوقية ، والهواء مقوّم للصورة

الشمية ونسبة هذه الصورة إلى القوة الشامة كنسبة الصورة الذوقية إلى القوة الذائقة ، وقد أشرنا إلى مثال النسبة في بحث الذوق .

وكون الأجزاء هي الحاملة للأعراض والأعراض لا تنفك عنها لو سُلِّم ذلك لا يلزم من ذلك كونها ركناً للصورة بل حاملة لركن الصورة وحججهم واستدلالهم بمثل فناء الكافور وتفرق أجزائه ونقصه بخروج رائحته وذبول التفاح بشمّه وما أشبه ذلك مدخول .

٤ ـ بيان حاسّة السمع

وأمّا السمع : فهو عبارة عن إدراك الصوت ، والصوت يحدث من بين شيئين ، يكون بينهما قرع ، أو قلع ، أو ضغط فيصدم ما بينهما من الهواء بأحد الثلاثة ما يليه ويصدم ما يليه ما بعده بهيئة ما صدمه ما قبله ، وهكذا يتدافع الهواء بعضه لبعض بهيئة الدفع الأول ، والدفع الأول الذي حصل بالهواء ، المتحرك بالقرع ، أو القلع ، أو الضغط يكون بتلك الهيئة في الشدة والضعف والجهر والهَمس والرخاوة واللين والقلقلة وما أشبه ذلك من صفات الحروف وأمثالها كالدّق على القرطاس والنحاس والماء ، فإن هذه الأصوات المختلفة هيئات تلك الحركات الثلاث بين جسمين فيخرج من بينهما الهواء حاملاً لتلك الهيئات والأوضاع ، ويدفع ما يليه أي يصدم ما يليه ، بنحو ما صدمه به الجسمان وهكذا حتى يصل الجزء الأخير من الهواء إلى الصماخ

من أذن السامع ، فيصدم تلك الجلدة الرقيقة التي تلي الدماغ كهيئة الطبل بما حمل من الهيئات فتتوجه القوة السمعية عند دق بابها لهيئة الدق ، فتدرك الصدم الأول بما حمل لها الهواء من هيئاته بتدافعه كما يتدافع ماء الحوض ويكون من جميع الجهات فيسمع كلامك من هو أمامك وخلفك ويمينك وشمالك وفوقك وتحتك لأنه يتموج الهواء بالصدم الأول مستديراً كما ترى إذا حركت وسط حوض الماء ، إلّا أنه قد لا تستوي جهات امتداده على الحقيقة ، وإن تساوت في الجملة ، لأنّ الهواء المدفوع أولاً ، وهو المصدوم الذي يصدم ما وراءه ربما يكون في جهة انبعاثه أطول وأظهر وأقوى ولابدّ من الهواء في حمل الهيئات ، أو ما يشابهه في التخلل والسيلان إلّا أنه ضعيف جداً لا يحكيها كما هي إلّا الهواء ، ولهذا قد يسمع الدق والصوت تحت الماء لسيلانه وإمكان تدافعه ولكنه لا يتميز الصوت لأجل ثقله .

بيان كيفية حفظ الحروف للوصول الى الأُذن

وبالجملة : ليس الحافظ للحروف مثلاً العقل ، أو النفس ، أو غير ذلك كما توهمّه بعضهم ، وإنما يحملها الهواء إذ هو المجانس لها والمتكيف بها فإذا دق باب السامعة تلقته من وراء الحجاب وذكر احتجاجاتهم وإبطالها مما يطول به الكلام فإذا دق بابها حفظت صورته بواسطة الحس المشترك المسمى ببنطاسي

فيرفعه إلى خزانته الخيال وحفظته النفس وتناول العقل معناه من الصورة النفسية فإذا أراد مالك القرية إبراز ذلك كما وصل إليه أمر خدامه فصاغوا أصواتاً بهيئات كما وصلها ، وألبس تلك المعاني والصور تلك الهيئات المصاغة على هيئة ما حمله إليه الهواء .

بيان معنى المسموع وحاجته للهواء

والأصح أنّ المسموع هو الصوت القائم بالهواء القارع للصماخ ، وهو المحسوس لا الصوت القائم بالهواء الخارج عن الأذن .

وشرط تحقق السماع على كماله توسط الهواء بين السامع وذي الصوت ، وأمّا ما نقل عن قدماء الحكماء باكتفاء تماس الأفلاك بعضها من بعض كما نسب إلى أساطين الحكمة كأفلاطون(١) ، ومن قبله أنهم يثبتون للأفلاك أصواتاً عجيبة ونغمات غريبة يتحير من سماعها العقل .

وحكي عن فيثاغورس(٢) أنه عرج بنفسه إلى العالم العلوي

(١) هو أحد حكماء اليونان واسمه أرسطو قليس بن أرسطون ، ولقب بأفلاطون لعموم نفعه ، ولد سنة ٤٢٧ وتوفي سنة ٣٤٧ قبل الميلاد ، له عدة تآليف منها : العقل ، والربوبية .

(٢) وهو أحد الحكماء والفلاسفة واسمه فيثاغورس بن منسارخس ، قيل إنه ولد سنة ٥٧٠ قبل الميلاد في بلدة ساميا ، كان زمن النبي سليمان بن داود =

فسمع بصفاء جوهر نفسه وذكاء قلبه نغمات الأفلاك وأصوات حركات الكواكب ، ثم رجع إلى استعمال القوى البدنية ورتب عليها الألحان والنغمات ، كذا ذكر المصنف في الأسفار بعد أن ذكر احتياج السماع إلى الهواء بما يدل على أنه فهم أنّ الحكماء ذكروا سماعاً للأصوات المحسوسة لم يشترط في تحققه توسط الهواء وهذا الكلام ليس بمستقيم ، لأنّ السماع الذي يشيرون إليه ليس المراد منه السماع الحسي الذي نحن بصدده حتى يشترط فيه توسط الهواء .

وإنما السامع لتلك الأصوات أذن القلب الواعية وينزل معانيها القلب إلى الروح فتخلع عليها الخلع الصفر وتنزلها الروح إلى النفس فتلبسها ثياباً خضراً من سندس وإستبرق وتنزلها النفس طيناً وذرّاً وتتقاسمها القوى الخمسة النفسانية على نسبة سيرها في أفلاكها ، فتخرجها بتلك النسب ألحاناً موسيقية ، وإن أردتَ أني أتكلم بها تكلمت .

فأقول : كما قال علماء العروض : إنّ الكلام باعتبار الحركات والسكنات يجمعها قولهم : (لَمْ أَرَ على ظَهرِ جَبَلِن سَمَكَتَن) ، (لَمْ) سبب خفيف ، وهو كحركة زحل و(أَرَ) سبب

= عليهما السلام ، وقد أخذ الحكمة من معدن النبوة . وهو الحكيم الفاضل ، ذو الرأي المتين ، والعقل الرصين .

انظر كتاب الملل والنحل : ١٥٨ .

ثقيل ، وهو كحركة المشتري ، و(على) وتد مجموع ، وهو كحركة المريخ ، و(ظَهْرِ) وتد مفروق ، وهو كحركة الخَيال ، و(جَبَلِنْ) فاصلة صغرى ، وهو كحركة عطارد ، و(سَمَكَتَنْ) فاصلة كبرى ، وهو كحركة القمر ، لأنّ فلك القمر يماسَ فلك عطارد بنقطة هي شخصية من فلك القمر ونوعية من فلك عطارد وعطارد يماسَ فلك الزهرة ، أو الشمس مثلاً وإلّا فالثلاثة متقاربان فتختلف النوعية والشخصية فيها بالمحاذاة .

ونحن نريد التمثيل للألحان فنقول لأجل البيان : النقطة من عطارد ، أو الزهرة ، أو الشمس شخصية ، ومن المريخ نوعية ، ومن المريخ شخصيّة ومن المشتري نوعية ومن المشتري شخصيّة ومن زحل نوعية ومن زحل شخصية ، ومن فلك البروج نوعية فإذا نسبْتَ حركات الأفلاك الأربع والعشرين الحركة بنسبة ما مثّلنا بالشخصية والنوعية حصل من تناسب الأوضاع بين الشخصية والنوعية ، ونوعية النوغية وبين النوعية ونوعية نوعية النوعية ، وبالعكس ونحو هذا هيئات وأوضاع بين الأسباب والأوتاد والفواصل إذا أُخرج الصوت عليها خرج بألحان ونغمات تكون أقرب كلّ شيء إلى مطابقة النفوس وملاءمتها ، لأنّ النفس مركبة من تلك الألحان حياتها من الفاصلة الكبرى وفكرها من الفاصلة الصغرى ، وخيالها من الوتد المفروق ووهمها من الوتد المجموع ، وعلمها من السبب الثقيل وتعقلها من السبب الخفيف

وليس سماعهم لتلك الألحان بالأذن التي يسمع العوام بها كلام أمثالهم المراد بهذا البحث هنا .

وإن كان الحكيم الماهر الذي راضَ نفسه بالعمل الصالح يرفع أذنه المحسوسة بتنزل أذنه العقلية إليها حتى توصلها إلى رتبة ألحان الأفلاك ويسمع بالأذن الظاهرة تلك الأصوات ويسمع تسبيح الجمادات والنباتات ، وكثيراً من تسبيح الملائكة ، وإلى سرّ ما أشرنا أشار تعالى بقوله : ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾(١) ولم يقل لا تسمعون تسبيحهم لأنهم يسمعون تسبيحهم ولكن لا يفقهونه ؛ ، لأنّ من ذلك التسبيح ما يسمعونه بجميع أعضائهم وجوارحهم ، ومنه ما يسمعونه بألسنتهم ومنه ما يسمعونه بآلات شمهم ومنه ما يسمعون بآذانهم ومنه ما يسمعونه بأعينهم ، وعندهم أنهم ما سمعوا إلّا ما سمعوه بآذانهم وهذا أيضاً أكثره لا يفقهونه إذ لا يفقهون منه إلّا ما كان بلغة أبناء نوعهم .

والكلام في طعوم الأفلاك وروائحها التي ذكرها الحكماء كالكلام فيما ذكروا من أصواتها وألحانها ونغماتها فافهم فإني قد أشرت إلى طريق سماعهم لتلك الألحان وشمهم لتلك الروائح وذوقهم لتلك الطعوم وهنا أبحاث أعرضنا عنها كما في غيره .

---

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٤٤ .

٥ ـ بيان حاسة البصر

وأمّا البصر فقد قال علماء التشريح إنه نبت من الدماغ سبعة أزواج من العصب لسائر القوى والزوج الأول يبدأ من غور البطنين المقدمين من الدماغ عند جوار الزائدتين الشبيهتين بحلمتي الثدي ، وهو صغير مجوف يتياسر النابت منهما يميناً ويتيامن النابت منهما يساراً ، قالوا : ويتقاطعان بتقاطع صليبي ينفذ النابت يساراً إلى الحدقة اليمنى والنابت يميناً ينفذ إلى الحدقة اليسرى وقوة الإبصار في الروح المنفوخة في تجويف ملتقى التقاطع واختلفوا في كيفية الإبصار فقيل : إنه بالانطباع .

وقال الرياضيون : إنه بخروج الشعاع .

وقال الإشراقيون : إنه لا شعاع ، ولا انطباع ، وإنما هو بمقابلة المستنير للعضو الباصر الذي فيه رطوبة صقيلة وإذا وجدت هذه الشروط مع زوال المانع يقع للنفس علم إشراقي حضوري على المبصر فتدركه النفس مشاهدة ظاهرة جلية واختاره شهاب الدين السهروردي .

وقيل : إنه بإنشاء صورة مماثلة للمرئي بقدرة الله من عالم الملكوت النفساني مجردة عن المادة الخارجية حاضرة عند النفس المدركة قائمة بها قيام الفعل بفاعله لا قيام المقبول بقابله ، وهو اختيار المصنف .

في أن الإبصار بالانطباع لا بخروج الشعاع

والحق الذي دل عليه العقل والنقل ، وأنّ الإبصار بالانطباع لا بخروج الشعاع وإلّا لكان المرئي لك من وجهك في المرآة مقلوباً بل يكون مواجهاً لك فترى عينك اليمنى في المرآة مقابلة لعينك اليسرى ، كما إذا واجهت شخصاً غيرك ولكن صورتك في المرآة مقلوبة فأنت ناظر في خلفها فتكون العين اليمنى تقابل اليمنى في المرآة واليسرى تقابل اليسرى كما إذا نظرت في قفا زيد فإن يمناك بإزاء يمناه ويسراك بإزاء يسراه .

ولا بالعلم الإشراقي ، لأنّ قولهم : فتدركه النفس إلخ ، فيه أنّ العلم الإشراقي إن أريد منه أنّ العلم نفس المعلوم صح الإشراقي ، وكان العالم بذلك العلم الإشراقي أعني نفس الناظر مدركاً للصورة الحسية بنفسها لأنها هي العلم فحينئذ فهي معلوم لا مرئيّ وكونها مرئية فبالعين .

وإن أريد منه أنّ العلم غير المعلوم فبالطريق الأولى ، لأنّ المعلومات على هذا غير العلم والنفس إنما تُحصِّل الصور العلمية المجردة ، ولا بصورة مماثلة من عالم الملكوت إذ يلزم أنّ الأشياء لا تدركها الأبصار على جهة الحقيقة ، وهذا مخالف للعقلاء من عامة الخلق ومخالف للكتب الإلهية .

والنقل من الكتاب والسنّة مصرح بأن العيون هي المبصرة ،

كما قال تعالى : ﴿ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا ﴾[(١)] ، وهذا كثير في القرآن بأن الإبصار بالعيون وكفى بكتاب الله مبطلاً للقول الثالث وللقول الرابع ، الذي ذهب إليه المصنف والدليل العقلي مبطل للكل .

ولخصوص القول الثاني ، روى المفيد[(٢)] في الاختصاص في حديث طويل بإسناده إلى موسى بن محمد الجواد عليه السلام ، أنه سأل أخاه أبا الحسن العسكري عليه السلام ، عن مسائل سألها عنه يحيى بن أكثم فكان جوابه إلى أن قال : (**وأمّا قول علي عليه السلام في الخنثى : إنه يورّث من المبال فهو كما قال وينظر إليه قوم عدول فيأخذ كلّ واحد منهم المرآة فيقوم الخنثى خلفهم عرياناً وينظرون في المرآة فيرون الشبح فيحكمون عليه**)[(٣)] انتهى .

وهو بصريحه يدل على أنّ الرؤية في المرآة بالانطباع لا بخروج الشعاع ، ولا بالنفس ، ولا بصوة مماثلة من عالم

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٩ .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي العكبري البغدادي . ولد في الحادي عشر من ذي القعدة سنة ٣٣٦ هـ بسويقة ابن البصري من عكبراء .
توفي رحمه الله ليلة الجمعة لثلاث ليال خلون من شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وأربع مئة (٤١٣) ببغداد ، وصلّى عليه تلميذه السيد المرتضى .

(٣) مستدرك الوسائل : ١٧ / ٢٢٤ ح ٢١٢، والاختصاص : ٩٥ .

الملكوت ، لأنّ الشبح هو ظل صورة الشخص المقابل انطبع ذلك الظل في المرآة والرؤية بالعين كالمرآة بتسليم الخصم واعترافه .

وذكره الصدوق[1] في باب العشرة من الخصال ، انتهى .

واعلم أنّ لأهل هذه الأربعة الأقوال حججاً كثيرة وأجوبة طويلة ومعارضات لا فائدة في إيرادها ونقضها مع ما هي عليه من الطول وقصر الفائدة فيما نحن بصدده .

بيان أن قوة البصر فاعلة للإبصار لا قابلة له

وقوله : (وقوة البصر للمبصرات بالفاعل أشبه منا بالقابل ، إلى آخره) ، يعني به أنّ قوة البصر فاعلة للإبصار لا قابلة له ، لأنّ الإبصار عنده أنّ النفس تدرك صورة نفسانية من عالم الملكوت تشابه صورة المرئي ، وأنّ النفس تخترع تلك الصورة ، أو تنتزعها من المرئي بواسطة الحس المشترك ثم الخيال ولأجل تقريبه لمثل هذا قال : إنها أشبه بالفاعل منها بالقابل ، وفي السمع بالعكس ، لأنّه بقرع الهواء الحامل للصوت لحجاب الدماغ الشبيه بالطّبل فتكون القوة السامعة قابلة لِمَّا يصل إليها .

---

(١) هو الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه المشتهر بالصدوق .
ولد بدعاء الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه بقم المقدسة بعد سنة ٣٠٥ هـ .
توفي بالري سنة ٣٨١ هـ ودفن فيها قرب السيد عبد العظيم الحسني .

والحق كما تقدم أنّ الإبصار أيضاً كالسمع في كونه قابلاً لأنه على الصحيح بالانطباع ما مرّ .

وعلى كلّ تقدير لو قلنا بقوله كيف تكون النفس هي المبصرة لأنها إن فرض إبصارها للمحسوس فهو ليس بصحيح لأنها مجردة ، ولا تدرك المحسوسات بغير الوسائط ، وإن فرض ما ذهب إليه من الصورة المماثلة الملكوتية فالنفس تدركها ولكن المرئي ليس حينئذ بمرئي في الحقيقة ، وإنما المرئي هي الصورة المماثلة الملكوتية مع أنّ العين لا فائدة فيها وكونها طريقاً للنفس لا يفيده لأنه لا يقول بأن النفس تدرك المرئي ، وإن كان بوسائط ، وإنما يذهب إلى أنّ النفس تدرك صورة ملكوتية يعني من نوع النفوس إلّا أنها مماثلة للمرئي فالعين يلزمه أنها لا مدخل لها .

بيان مدركات الحواس الخمس

قول المصنف : ومدركاتها الخمس كما أشرنا في اللمس مُثُل

قال : (ومدركاتها الخمس كما أشرنا في اللمس مُثُل نورية غيبية موجودة في عالم آخر لا الكيفيات المسماة بالمحسوسات إلّا بالعرض فهي من جنس الكيفيات النفسانية ، وإن سألت الحق فهذه القوى ليست قائمات بالأعضاء بل الأعضاء تقوم بأمرها ، لأنّ البرهان ناهض ، على أن الحال بالشيء الذي وجوده في نفسه

هو وجوده لمحله لا يمكن أن يكون وجوده في عالم ووجود المحل في عالم آخر فالحال والمحل في عالم واحد والمدرِك والمدرَك من نحو واحد فالحرارة الملموسة بالذات مثلاً ليست التي وجدت في الجسم المجاور للعضو كالنار ، ولا التي في العضو المتسخّن المسمى باللامس بل صورة أخرى غائبة عن هذا العالم حاصلة في نشأة النفس تدركه بقوتها اللمسية وكذا القياس في سائر المحسوسات وما فوقها ، وفيه سرّ .

وقد تتعطل هذه بمرض ، أو نوم ، أو إغماء ، أو زمانة ، أو موت وتلك الحواس غير منعزلة عن فعلها وهذه الظواهر حجب وأغشية عليها وهي أصل هذه الداثرات وفيه سر) .

أقول : قوله : (ومدركاتها الخمس) ، يعني ما تدركه هذه الحواس الخمس ، وهو ما تدركه القوة اللامسة من الملموس وما تدركه القوة الذائقة من المذوق وما تدركه القوة الشامة من المشموم ، وما تدركه القوة السامعة من المسموع ، وما تدركه الباصرة من المرئي مُثُل بضم الميم والثاء جمع مثال أي صورة نورية غيبية يعني أنّ مدركات تلك القوى صور من عالم الملكوت مماثلة للمحسوسة موجودة في عالم آخر ، لأنّ المحسوسة في عالم الملك عالم الأجسام وتلك الصورة المماثلة للمحسوسة في عالم آخر أي : في عالم الملكوت .

ومراده أنّ النفس من عالم الملكوت وهذه القوى قواها فهي في عالمها ويجب أن تكون مدركاتها معها في عالم واحد .

ولمّا كانت المرادة من المدركات هي من عالم الملك ، ولا يمكن أن تباشرها النفس الغائبة وجب أن تباشر صوراً تشابهها فتعرف النفس المحسوسة وتدركها بإدراك المشابه لها .

والحق غير ما ذكر المصنف ، لأنّا قد ذكرنا أنّ النفس من عالم الغيب وعالم الغيب لا يدرك شيئاً من عالم الشهادة إلّا بواسطة شيء له جهتان جهة تناسب المدرك بكسر الراء ، وجهة تناسب المدرَك بفتح الراء ، أمّا في اللمس فالقوة اللامسة من عالم البرزخ جنْبتها العليا من نوع النفس وجنبتها السفلى من أعلى مراتب عالم الأجسام أعني الروح البخاري أعني الأبخرة المعتدلة في الوزن الطبيعي بأن يكون جزء من اليبوسة وجزء من الرطوبة وجزء من الحرارة وجزآن من البرودة .

وفي التدبير الاعتدالي كما أشرنا إليه سابقاً في بيان النفس الحيوانية الحسية بتسخين الحرارة الغريزية ومعونة كَرِّ الأفلاك بأشعة الكواكب فهو برزخ بين النفس الحيوانية الفلكية وبين النفس النامية النباتية المتقومة بالدم الساري في جميع أقطار البدن مما تحله الحياة ، لأنّ الحياة الحيوانية من نفس فلك القمر وهي تتعلق بذلك الروح البخاري بواسطة الطبائع الأربع فتدرك تلك القوة النفسانية هيئة الملموس من حرارة ، أو برودة ، أو صلابة ، أو

لين ، أو ما أشبه ذلك بواسطة الروح البخاري المدرك بواسطة الدم الساري في ما تحله الحياة بواسطته ، لأنّ المدرَك بفتح الراء جسماني عارض بالجسم .

ودعوى المصنف بأن المدرك مجرد ملكوتي غير متجهة ، لأنّ الشيء إذا جُرّد عن رتبة كونه سقطت منه العوارض الخارجية وإذا سقطت لم يبق للقوة اللامسة ما تدركه وليس في الصورة الملكوتية ما يشابه الهيئة التي تدركها اللامسة إذ لو أمكن حصولها كانت الهيئات الجسمانية في الملكوت وكانت الموجودة في الجسم الملموس أولى من المشابهة لها والقوة الذائقة والقوة الشامة على نحو القوة اللامسة .

مدركات القوة السامعة والباصرة

وأمّا القوة السامعة والقوة الباصرة فهما ووسائطهما من نوع القوى الثلاث السابقة إلّا أنّ هاتين خالفتا السابقات في كيفية الواسطة الأخيرة المباشرة للمدرَك بفتح الراء فلمّا كان المدرك هو هذه الأشياء الظاهرة وجب أنّ تكون الواسطة التي تلي المدرَك ـ بفتح الراء ـ وتباشره من نوعه فلمّا كانت مدرك القوة السامعة هي الأصوات ناسبت أن تكون الواسطة التي تباشرها مما يمكن تأثر الصوت فيها وهي الجلدة الشبيهة بالطبل .

ولمّا كان مدرَك القوة الباصرة الألوان والصور ناسب أن

تكون الواسطة التي تباشرها تناسب الألوان والصور وهي الجليدية الصقيلة الرطبة لتنطبع فيها الألوان والصور وهذا أظهر من كلّ دليل لمن يفهم . على أنّ مدرك القوة الباصرة هو الألوان وكذا السامعة كما قلنا وإلّا لم يكن للعين في الإبصار والأذن في السمع فائدة لو كان المدرك صورة ملكوتية مشابهة للمرئي فإن المصنف إذا جعل الإبصار إنما هو بالنفس لا يحتاج إلى العين .

فإن قال : فائدة العين انطباع الصورة والمدرك للون هو النفس فإنها تدرك مثل المنطبع من عالم الملكوت .

قلنا : إدراك النفس لمّا في الملكوت لا يتوقف على الحواس إلّا لتكون طريقاً للنفس وإذا فرض هذا كان ما أدركته صورة المرئي لا مثلها في عالم آخر كما قال المصنف .

وقوله : (لا الكيفيات المسماة بالمحسوسات إلّا بالعرض) ، يعني به أنّ المدرَك مثال للكيفية المحسوسة نوري غيبي موجود في عالم الملكوت ؛ لأنه من جنس الكيفيات النفسانية ، كما ذكره مكرراً وأنت قد سمعت رد هذا الكلام فإن المدرَك ليس إلّا الكيفيات المحسوسة ، ولهذا أجمع العقلاء من المتقدمين والمتأخرين على تسمية المدرِكات لهذه الكيفيات المحسوسة بالحواس الظاهرة ويريدون أنها هي المدركة لهذه الكيفيات الظاهرة وهذا هو المعقول .

ولو كان المدرِك لها هو النفس كما يدعيه المصنف لمّا سمّوها بالحواس الظاهرة .

بيان أن القوى المدرِكة لهذه الأشياء قوى نفسانية

وقوله : (وإن سألت الحق فهذه القوى ليست قائمات بالأعضاء بل الأعضاء تقوم بأمرها) ، فيه أنّ الحق في هذه المسألة ليس على ما قال بل القوى المدرِكة لهذه الأشياء قوى نفسانية ولكنها ليست هي التي في النفس ، لأنّ النفس ليس فيها شيء غيرها وهذه القوى التي يذكرونها هي إدراكات النفس والنفس لا تدرك في رتبة عالمها إلّا ما كان مجرداً عن المواد العنصرية ، وهذه الأمور المدرَكة أعني الملموسة والمذوقة والمشمومة والمسموعة والمبصرة ليست من عالم الملكوت عالم النفس بل هي أجسام ، أو جسمانيات وكِلَا الأمرين من هذا العالم ، وقد ثبت أنّ المدرِك لها لا يكون خارجاً عن عالمها إلّا بوسائط من عالمها والنفس واحدة وتدرك ما تدركه بفعل منها فإن كان ما أدركته من عالم الملكوت أدركته بنفسه بلا توسط شيء ، وإن كان في عالم الملك أدركته بآلاتها وخلق الله سبحانه لها آلات فخلق النفس البخارية السارية في الدم تدرك بها هيئة الملموس والمذوق والمشموم وخلق الجلدة الرقيقة التي على الصماخ تُدرِك بها الأصوات ، وخلق الجليدية الصقيلة الرطبة

بالعين تنطبع فيها الصورة المرئية فتدركها بالقوة التي في التقاطع الصليبي بين القَصبتين .

فإذا أرادت النفس إدراك شيء من أحد الخمسة المذكورة أشرق إحساسها على حاسته فحييَ بإحساسها كما إذا أشرقت الشمس على الجدار فاستنار بإشراقها ، فكما أنّ الجدار ينوّر ما يقابله لما فيه من إشراق الشمس عليه ، ولا يقال : إنّ الشمس نورت ذلك المقابل ، لأنّ الإنارة للجدار إذ الاستنارة على حسب قابليته بل يقال : إنّ الجدار هو المنوّر لمّا قابله كذلك تلك الحواس فإنها بإشراق النفس عليها كانت حاسة بنفسها ولهذا يختلف الإحساس في القوة والضعف بصحتها وعدمها والنفس واحدة فالحاس للمبصر القوة التي في التقاطع الصليبي ، والحاس للمسموع القوة التي في جنبتي الدماغ التي تلي جلدة الصماخ وهما عصبتان مضاعفان بحذاء كلّ أذن وعدّهما المشرّحون واحداً لتقارب منشئهما وهما يدخلان في ثقبين :

أحدهما : من قدام ، وهو مجرى السمع يفضي إلى الجلدة الشبيهة بالطبل ، وعلى باب القصبة التي من قدام كما ذكرنا ترجمان السمع يترجم الصوت القارع لجلدة الطبل فكان حاسّاً بالأصوات بسبب ما أشرق عليه من إشعار النفس ، وكذلك باقي الحواس الخمس فإنها هي الحاسة ، وإن كانت بسبب ما أشرقت عليه النفس .

فقول المصنف(١) : (فهذه القوى ليست قائمات بالأعضاء) غلط وإلّا لمّا سميت بالحواس الظاهرة بل هي قائمة بتلك الأعضاء قيام إشراق كقيام حركة اليد فيها من النفس فإنها حين تعلقت باليد كانت حركة جسمانية من عالم الملك ، وإن كان مبدؤها حركة نفسانية من عالم الملكوت فافهم .

وقوله : (لأن البرهان ناهض ، على أنّ الحال بالشيء الذي وجوده في نفسه هو وجوده لمحله لا يمكن أن يكون وجوده في عالم ووجود المحل في عالم آخر إلى قوله من نحو واحد) ، غير صحيح لأنه يريد بالحال العرض ، وأن وجوده في نفسه وجوده لمعروضه كما ذهب إليه تبعاً لبعض الحكماء والمشبه به ليس بصحيح والمشبه غير مطابق وغير مراد .

أمّا كون المشبه به ليس بصحيح فقد ذكرناه في شرح المشاعر عند ذكره هذه المسألة .

---

(١) هو محمد بن إبراهيم الشيرازي (صدر الدين) صاحب كتاب العرشية ، حكيم ، من أهل شيراز .
توفي سنة ١٠٥٠ هـ ١٦٤٠ م .
رحل إلى أصبهان وتعلم فيها ، وتوفي بالبصرة ، وهو متوجه إلى مكة حاجاً .
له تصانيف كثيرة منها : تفسير بعض سور من القرآن ، شرح هداية الحكمة للأبهري ، مفاتيح الغيب ، شرح الكافي للكليني ، والشواهد الربوبية في المناهج السلوكية .
انظر الفوائد الرضوية للشيخ عباس القمي : ٣٧٨ - ٣٨١، وهدية العارفين للبغدادي : ٢ / ٢٧٩.

ووجه عدم صحته أنّ الحكماء اتفقوا على أنّ العرض ممكن والمصنف قائل به إذ لا خلاف فيه وكلّ ممكن زوج تركيبي فالعرض لا محالة مركب من مادة وصورة أي من وجود وماهية .

والمراد بالوجود إما المادة ، أو المعنى المصدري والرابطي وما أشبههما وما سوى هذين النوعين وَهْم نشأ من عدم فهم الوجود .

والمراد به هنا المادة فالعرض مركب من مادة أي وجود ، ومن صورة .

أمّا مادته فليست من نفس المعروض ، وإنما هي صفة .

وأمّا صورته فمن حدود أحدها وجود معروضه .

فقولهم : إنّ وجود العرض في نفسه هو وجوده لمعروضه إن أرادوا بوجوده الذي هو مادته وحقيقته فهو غلط ظاهر ، لأنّ حمرة الثوب مادتها من القرمز مثلاً ، أو الفوة .

وإن أرادوا بوجوده ظهوره في الأعيان فلا تبعد الصحة ، لأنّ وجوده لمعروضه من تمام قابليته للظهور فحينئذ يراد بالوجود المعنى الوصفي لا الذاتي وإلّا فليس بصحيح .

وأمّا كون المشبّه غير مطابق فلأنّ إدراك النفس ، وإن كان عرضاً لها بمعنى أنه فعل لها ليس حالاً بها لأنه إنما قال بها قيام صدور كالشعاع من السراج فإنه وإن كان عرضاً إلّا أنه قائم

بالجدار لا بالسراج فليس معه في محل واحد كما مثّلنا بحركة اليد فإنها قائمة باليد التي هي من عالم الملك ، وهي أيضاً من عالم الملك مع أنها صفة للنفس التي هي من عالم الملكوت لأنها ليست قائمة بها قيام عروض ، وإنما هي قائمة قيام صدور فلا تكون معها في مكان واحد ولا في عالم واحد .

وأمّا كونه غير مراد فلأن المراد مما تدركه الحاسة من ذي المجسّة والذوق والرائحة ، ومن اللون والصوت الظاهرة لا المتخيلة فإنها ليست مرادة لجميع العقلاء فجعْلُه أنّ الحاسة إنما تدرك صورة من عالم الملكوت ، مشابهة لهذه الظاهرة ، مخالف للمعلوم المقطوع به من أنّ المدرَك إنما هو الأشياء الظاهرة ألا تراهم يقولون للأمور الظاهرة التي هي من عالم الملك الأجسام والأعراض هذه الأشياء المحسوسة يعني الظاهرة حتى المصنف ، فإن كتبه مشحونة من هذه العبارات غير منكر لها بل يحتج بها ، ولا معنى للمحسوسة إلّا المدركة بالحواس وهذا شيء لا غبار عليه ، وإنما الغبار على القلوب .

بيان الحرارة الملموسة بالذات

وقوله : (فالحرارة الملموسة بالذات ليست التي وجدت في الجسم المجاور للعضو كالنار ، إلخ) ، غلط ، لأنّ هذه الحرارة في الجسم والتي في العضو المتسخن المسمى باللّامس أي شيء

يقال لها المحسوسة أم يقال لها : شبيهة المحسوسة ، ولِمَ سُمّيت هذه بالحواس الظاهرة وتلك بالحواس الباطنة ، أعني الحس المشترك والخيال ، إلخ ، على أنّ قوله قبل هذا قوة اللمس وتسري في الأعضاء من جهة الروح البخاري صريح فيما نقول نحن ، وذلك حين غلبت طبيعته الفطرية طبيعة تكلفه نطق بالحق بأن قوة اللمس تسري في الأعضاء من جهة الروح البخاري ، والروح البخاري من عالم الملك والقوة اللامسة قائمة فيها قيام حلول سارية معها في الأعضاء كلها لأنها في الدم الجاري في اللحم .

وقوله : (بل صورة أخرى غائبة عن هذا العالم حاصلة في نشأة النفس ، إلخ) ، قد تقدم الكلام عليه بما لا مزيد عليه مكرراً .

سرّ في أن العاقل متّحد بالصورة المعقولة

وقوله : (وفيه سرّ) ، لعلّ المراد بالسرّ ما صرح به من أنّ العاقل متّحد بالصورة المعقولة ، وأمّا الجسمية والجسمانية فلم يتحد بها ، وإنما تدخل في المعلومية بالعرض لأنه إنما يعلمها بالصورة المعقولة ، ونحن قد ذكرنا فيما سبق بطلان كلامه هذا .

وهو هاهنا فرع على ذلك إدراك النفس للمحسوسات بصورة ملكوتية مشابهة للمحسوسة ، وقد سمعت بطلان كلامه هنا أيضاً وهذا سرّ مفضوح .

القاعدة الرابعة في خصوصيات النفس

قال : وللنفس في ذاتها سمع وبصر وشم وذوق ولمس غير هذه المكشوفة

بيان جملة من خصوصيات النفس

وقوله : (وللنفس في ذاتها سمع وبصر وشم وذوق ولمس غير هذه المكشوفة) .

جوابه : إنّ للنفس ذلك إلّا أنها هي نفسها بمعنى أنّ الله سبحانه أعلمها معرفة هذه المدركات وأقدرها على إدراك صورها النفسانية الملكوتية إدراكاً علميّاً وأقدرها على إدراك هذه الظاهرة المكشوفة بما خلق لها من الآلات ، على نحو ما ذكرنا سابقاً لا كما ذهب إليه .

وقوله : (وقد تتعطل هذه بمرض ، أو نوم ، أو إغماء ، إلخ) .

جوابه : إنها أدوات للنفس فإذا حصل للنفس معطّل تعطلت لأنها إنما هي توجهات النفس وتصوراتها لا غير .

وقوله : (وتلك الحواس غير منعزلة عن نفسها) .

جوابه : إنّا نقول ما نثبت لها من الحواس الملكوتية إلّا ما هو

فعلها بنفسه وإلّا ما معناه عينها لا فعلها ، وهي علمها وقدرتها كما أشرنا إليه ، وما تدركه في عالمها من هذه الأمور الظاهرة فهي صورها العلمية .

وإذا أرادت إدراكها بأنفسها تنزلت واستعملت آلاتها فتدركها بالتناول بمعنى أنّ الطعم مثلاً تدركه القوة الجسمانية التي في اللسان وتلك القوة مدركة للطعم لحياتها بإشراق نور النفس عليها فتؤدي معرفة ذلك الطعم إلى فعل النفس فينتزعها صورة علمية لا كيفية جسمانية .

والمدرَك ـ بفتح الراء ـ هو المحسوس والنفس عالمة بذلك بصورته الانتزاعية العلمية كصورة زيد في خيالك والمدرك جسماني تدركه قوة جسمانية أي : الروح البخاري الجسمي الساري في العضو الظاهر ، وإن كان بواسطة حياة النفس وفعلها كما قلنا في حركة اليد .

وقوله : (وهذه الظواهر حجب وأغشية عليها وهي أصل هذه الداثرات) ، جوابه أنّ هذه الحجب آلات للإدراك ، والمدرِكة هي بما سرى فيها من الحَياة البخارية التي هي النفس النباتية .

وإنما كانت مدركة بها ، لأنّ البخارية حاملة للحيوانية الحسية التي هي من الأفلاك كما ذكرنا سابقاً فافهم .

وقوله : (وهي أصل هذه الداثرات) ، يعني أنّ تلك القوى المجردة الملكوتية الباقية هي أصل هذه الحواس الداثرات بمعنى

أنّ هذه أشباح وأظلة لتلك الملكوتية ونحن نقول هذه حواملها حين تنزلت العليا فجمدت كان الجامد منها هذه الداثرات والذائب ملكوتي .

سرّ في أن حقائق الأشياء كلها ثابتة في علمه تعالى

وقوله : (وفيه سرّ) ، مثل سرّه الأول ويشير إلى سر مفضوح ، وهو أنّ حقائق الأشياء كلها ثابتة في علمه الذي هو ذاته تعالى وهذه الأشياء الظاهرة الداثرة تنزلت من تلك الثابتة ، تنزل الأشباح والأظلال وحيث كانت هذه الظاهرة آيات للغائبة فرّع معرفة هذه على ما يدعيه من معرفة تلك ولو عكس فعرّف هذه أولاً لأنها مشاهدة يمكن معرفتها واستدل بها على الغائبة فعرّف الغائبة بالحاضرة ، لأصاب ولنصره قول الرضا عليه السلام : **(قد علم أولو الألباب أنّ الاستدلال على ما هناك لا يعلم إلّا بما هنا)**[1] .

القاعدة الخامسة في الإبصار

قال : قاعدة (الإبصار ليس بخروج الشعاع من البصر كما ذهب إليه الرياضيون ولا بانطباع شبح المرئي في العضو الجليدي كما

---

(١) نور البراهين : ٢ / ٤٧٩، التوحيد : ٤٣٨، وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٥٦.

ذهب إليه الطبيعيون لفساد كلّ منهما بوجوه عديدة مذكورة في الكتب ، ولا بمشاهدة النفس للصورة الخارجية القائمة بالمادة كما ذهب إليه الإشراقيون حسبما هو المشهور واستحسنه جمع من المتأخرين كأبي نصر الفارابي[١] وشهاب الدين المقتول) .

قول المصنف : قاعدة : الإبصار ليس بخروج الشعاع من البصر

أقول : اختلفوا في إبصار المرئي ، على أقوال أربعة :

آراء العلماء في إبصار المرئي

١ ـ رأي الرياضيين

الأول : قول الرياضيين ومنهم هشام بن الحكم[٢] فإنهم

---

(١) هو محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان الفارابي ، ويلقب بالمعلم الثاني (أبو نصر) حكيم ، رياضي ، طبيب ، موسيقي عارف باللغات التركية والفارسية واليونانية والسريانية .
ولد في فاراب سنة (٢٦٠ هـ ـ ٨٧٤ م) ، وأحكم العربية ولقي متى بن يونس فأخذ ، عنه وسافر إلى حران ، فلزم بها يوحنا بن جيلان ، وسافر إلى مصر ، ثم رجع إلى دمشق فسكنها وتوفي بها في رجب سنة (٣٣٩ هـ ـ ٩٥٠ م) .
من تصانيفه الكثيرة (٣) : آراء أهل المدينة الفاضلة ، المدخل إلى صناعة الموسيقى ، إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها ، المدخل إلى علم المنطق ، وتحصيل السعادة .
انظر البداية والنهاية لابن كثير : ١١ - ٢٢٤.

(٢) هو أبو محمد مولى كندة ، سكن البصرة ، وكان مشهوراً بالكلام ، كلم =

يقولون الإبصار بكسر الهمزة بخروج شعاع من العين على هيئة مخروط رأسه عند العين ينبعث من التقاطع الصليبي من بين قصبتين ضيقتين كما قاله علماء التشريح ، قالوا : ثقبة كلّ منهم قدر ما تمرّ منه شعرة خنزير ومجتمعهما ضيق ولذا كان النور على هيئة مخروط رأسه من التقاطع وقاعدته على المرئي .

واختلف هؤلاء فقال بعضهم : المخروط مصمت . وقال بعضهم : مؤلف من خطوط مجتمعة عند رأسه متفرقة عند قاعدته وقال بعضهم : ليس على هيئة مخروط بل خط دقيق ثابت عند التقاطع متقلب الطرف الذي عند المرئيّ على أجزائه .

وقال بعضهم : إنّ الشعاع الذي في العين يكيّف الهواء بكيفيته ويصير الكلّ آلة للإبصار ، ومَن نظر إلى الآيات الآفاقية التي ذكرها سبحانه في كتابه في قوله : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾(١) ، عرف فساد هذا القول بجميع أقواله فإن المرآة تكون فيها صورة المرئي ولم ينبعث

= الناس ، وحكي عنه مجالس كثيرة ، ذكر بعض أصحابنا رحمهم الله أنه رأى له كتاباً في الإمامة .

ومولده الكوفة ، ومنشؤه واسط ، وتجارته بغداد . ثم انتقل إليها في آخر عمره ونزل قصر وضاح . وروى هشام عن أبي عبد الله وأبي الحسن موسى عليهما السلام ، وكان ثقة في الروايات ، حسن التحقيق بهذا الأمر .

انظر رجال النجاشي : ٤٣٤ رقم ١١٦٤ .

(١) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ .

منها نور ، والمرآة مثال للإبصار بالعين ضربه الله سبحانه لأولي الأبصار .

وأيضاً لو كان الإبصار بالشعاع لكنتَ ترى صورتك في المرآة مقابلة لصورتك كشخص آخر فترى عين صورتك اليمنى مقابلة لعينك اليسرى وعين صورتك اليسرى مقابلة لعينك اليمنى وهذا ظاهر ، لأنّ الشعاع يخرج من العينين فيقع على المرآة فينعكس إلى وجهك فيكون كشخص مواجه لك ولكن الأمر على العكس فلا يكون بخروج الشعاع .

٢ ـ رأي الطبيعيين

الثاني : قول الطبيعيين ، وهو أنّ الإبصار بانطباع صورة المرئي أي : شبحه في الرطوبة الجليدية التي تشبه البرد والجمد فإنها مثل مرآة فإذا قابلها متلون مضيء انطبع شبح صورته فيها كما تنطبع صورة الإنسان في المرآة بأن يقع ظل المرئي وشبحه في العين ، وفي المرآة بشرائط ذلك وهي المقابلة المخصوصة مع توسط الهواء المشف واستضاءة المرئي والمقابل وعدم القرب والبعد المفرطين .

وأورد عليهم من وجهين :

الأول : أنّ المرئي يكون صورة الشيء وشبحه لا نفسه مع قطعنا بأنّا نرى الشيء نفسه .

والثاني : أنّ شبح الشيء مساوٍ في المقدار وإلّا لم يكن صورة له ويلزم ألا يرى ما هو أعظم من الجليدية لامتناع انطباع الكبير في الصغير .

وأجابوا عن الإيراد الأول : بأنه إذا كان رؤية الشيء بانطباع شبحه كان المرئي هو الذي انطبع شبحه لا نفس الشبح كما في العلم بالأشياء الخارجة فإنّ العلم بها مشاهدة صورها الخيالية والنفسية .

و[أجابوا] عن الثاني : بأن شبح الشيء لا يساويه في المقدار كما نراه من صورة الوجه في المرآة الصغيرة ، لأنّ المراد به ما يناسب الشيء في الشكل واللون دون المقدار .

غاية الأمر أنّا لا نعرف لمّيّة إبصار الشيء العظيم ، وإدراك البعد بينه وبين الرائي بمجرد انطباع صور صغيرة منه في الجليدية وتأديتها بواسطة الروح المصبوب في العصبتين إلى الباصرة .

٣ ـ رأي الإشراقيين

والثالث : قول الإشراقيين ، أو المنسوب إليهم واختاره شهاب الدين المقتول السهروردي أنه لا شعاع ، ولا انطباع ، وإنما الإبصار بمقابلة المستنير للعضو الباصر الذي فيه رطوبة صقيلة وإذا وجدت هذه الشروط مع زوال المانع يقع للنفس علم إشراقي حضوري على المبصر فتدركه النفس مشاهدة ظاهرة جلية .

ويرد على هذا القول ما أوردناه على المصنف في ذكره أنّ النفس تدرك صورة ملكوتية مشابهة للمرئي .

وأيضاً العلم الإشراقي هو نفس حضور المعلوم عند العالم به في رتبة كونه كما حقق في محله فإن معلومات الحق تعالى حاضرة عنده في أماكنها وأوقاتها في مراتب أكوانها لا في الأزل ، لأنّ الأزل هو الله سبحانه على مذهب الحق .

وأمّا على مذهب المصنف من أنّ المعلومات صور في علمه الذي هو ذاته تعالى وهي حقائق الأشياء وهي متحدة بالعالم .

وأمّا ما انحط عن تلك الحقائق فهي بمنزلة الأشباح والأظلال ، وهي الداثرات ومعلوميتها له بالتبعية لا بالأصالة ، يعني أنّ العلم بالعلل يستلزم العلم بالمعلولات ، وقد شحن كتبه من هذه الخرافات وهذا هو أصله في هذه المسائل ، فلذا جعل المدرَك هو النفس لكنها تدرك صورة ملكوتية مشابهة للمحسوس وهذا ، وإن كان باطلاً لكنه لم يجعل النفس مدركة بذاتها للمحسوس .

ومن قال : بأن النفس تدرك المحسوسات بذاتها ، مع وجود تلك الشروط مع زوال المانع مشاهدة جلية ، فقد قاس هذا الذي ذكر للنفس على ما يثبته لله تعالى وقياسه باطل ، لأنّ النفس لا تدرك المحسوسات بذاتها ، وإنما تدركها بالوسائط والمدرك المباشر لإدراكها جسماني حامل لفعل النفس يؤدى إليها بواسطة

فعلها ما أخذه من المحسوس فتتنعم النفس ، أو تتألم بواسطة تنعّم محلها وتألّمه ، ولا كذلك علم الله سبحانه فإن علمه الحضوري لا يكون بواسطة شيء غير نفس الشيء .

٤ ـ رأي الملّا صدرا وأرسطو طاليس

والرابع : ما ذهب إليه المصنف وقال به أرسطوطاليس(١) في كتابه أثولوجيا : (وهو أنّ الإبصار بإنشاء صورة مماثلة له بقدرة الله تعالى من عالم الملكوت النفساني مجردة عن المادة الخارجية حاضرة عند النفس المدركة قائمة بها قيام الفعل بفاعله لا قيام المقبول بقابله) .

وقال المصنف أيضاً : (البرهان عليه يستفاد مما برهنّا به على اتحاد العاقل بالمعقول فإنه بعينه جار في جميع الإدراكات الحسية والخيالية والوهمية ، وقد نبهنا على هذا المطلب في مباحث العاقل والمعقول وقلنا : إنّ الإحساس مطلقاً ليس كما هو المشهور بين عامة الحكماء أنّ الحس يجرّد صوة المحسوس بعينه من مادته ويصادفها مع عوارضها المكتنفة ، وكذا الخيال يجردها تجريداً أكثر لمّا علم من امتناع المنطبعات ، بل الإدراك مطلقاً

---

(١) هو المفكر والفيلسوف اليوناني المشهور صاحب الفكر الكبير ، له جملة من الآراء والمؤلفات تمّ ترجمتها إلى العربية وتأثر البعض بها .

إنما يحصل بأن تفيض من الواهب صورة أخرى نورية إدراكية يحصل بها الإدراك والشعور فهي الحاسة بالفعل والمحسوسة بالفعل) .

وأمّا وجود صورة في مادة فلا حس ، ولا محسوس ، إلّا أنها من المعدات لفيضان تلك الصورة ، مع تحقق الشرائط ، انتهى كلامه من كتابه الأسفار .

إبطال الشيخ الأوحد لرأي الملّا

وقد تقدم إبطال كلامه فإن العقلاء قولاً واحداً يسمونها الحواس الظاهرة ، ويعدّون الحس المشترك من الحواس الباطنة ، مع كونه برزخاً ، وكونه أنزل من الصورة المماثلة على زعمه أنها من الملكوت ، مجردة عن المادة الخارجية على أنّ المحسوس هو الكيفية الحالّة في الزنجبيل وإذ جردتها النفس ورفعتها إلى عالمها كان الصورة المدركة هي الصورة العلمية فالنفس تعلم أنّ صاحب هذه الصورة يحدث حرارة في الجسم المباشر له كاللسان حتى يتألم اللسان وربما تشقق ، أو حدث فيه السلاق لا أنّ النفس تحس به ، وإنما تتألم[1] آلاتها الجسمانية بكيفية الزنجبيل فينطوي إشراقها الذي على آلاتها كما يتغير إشراق الشمس على

(١) في نسخة : يتألم .

الجدار المبيض إذا غيّر بياضه ، فالتقاطع الصليبي إنما يدرك المرئي مع شرائط الرؤية بما أشرق عليه من حياة النفس وهذه الحياة جسمانية من عالم الملك كحركة اليد ، فإنها وإن كانت من حياة النفس المجردة التي هي من عالم الملكوت إلّا أنها لمّا أشرقت على اليد وانصبت بواسطة الدم في العروق والعصب كانت جسمانية من عالم الملك ، مع أنها معلومة أنها هي الحركة الملكوتية إذ ليس في اليد حركة إلّا حركة النفس ، وقد تقدم ما ذكرنا من الحديث .

ومن القرآن حيث عاتب المنكرين للآيات بقوله : ﴿ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ﴾(١) فنطق كتاب الله بأنّ الإبصار بالعيون والسماع بالآذان .

ودعوى أنه جار على ما يفهمه العوام والذي يدركه الخيال من ذلك والذي تدركه النفس من الصورة التي أفاضها الواهب عزّ وجلّ هي صورة العلم بذلك ونحن نعترف به ، فإنه تعالى أعطى كلّ ذي حق حقه فأعطى العين الإبصار من لون المرئي وأعطى النفس العلم من حاسة البصر وأعطى العقل المعنى من صورة العلم النفسية ، وهو تعالى مع كلّ شيء بما له من فيض فعله وعطاء صنعه وما ذكره من كون دليله .

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٩ .

على أنّ النفس تدرك حرارة الزنجبيل بصورة ملكوتية متحدة بالنفس هو برهانه على اتحاد العاقل بالمعقول ، والحاس بالمحسوس هو دليلنا على عدم صحة قوله هناك ، وهنا قد تقدم عند ذكره اتحاد العاقل بالمعقول في هذه الرسالة ، وفي المشاعر في شرحنا عليه ما يكفي الفاهم ويغني العالم .

٥ ـ رأي الشيخ الأوحد في إبصار المرئي

والحق في هذه المسألة ما ذهب إليه أصحاب القول الثاني لإجماع العقلاء على صحة قول من قال : سبحان من لا تراه العيون ولا تُحققه الظنون ، مع أنّ الظنون من فعل النفس لمّا تشاهده من الصورة ، وإن كانت مترددة بينها وبين غيرها وإلّا لكان معنى العبارتين مكرراً وفيما ذكرناه كفاية لمن وُفّق له .

ولكلّ واحد من هذه الأقوال الأربعة حجج ، وترد عليه إيرادات وله جوابات لها وليس هذا محل ذكرها وهي طويلة ذكروها في الكتب المبسوطة ، وإنما لم نذكرها لطولها ولعدم تمام الفائدة فيها بدون الكلام على كل منها ، وهذا يستلزم تأليف كتاب على حدة .

قول المصنف : لأنه باطل من وجوه ذكرناها في حواشينا ردّ الشيخ الأوحد على مذهب الإشراقيين

قال : (لأنه باطل من وجوه ذكرناها في حواشينا على حكمة الإشراق ، منها : أنّ البرهان قائم ، على أنّ ما في المواد الخارجية ليس مما يتعلق به إدراك بالذات ، ولا من شأنه الحضور الإدراكي والوجود الشعوري . ومنها أنّ تلك الإضافة غير صحيحة إذ النسبة بين ما لا وضع له وبين ذات الأوضاع المادية ممتنعة إلّا بواسطة ما له وضع ، وعلى تقدير صحتها بالواسطة لم تكن إضافة علمية إشراقية بل وضعية مادية إذ جميع أفاعيل القوى المادية وانفعالاتها بمشاركة الوضع بل الحق في الإبصار كما أفاده الله لنا بالإلهام أنّ النفس ينشأ منها بعد حصول هذه الشرائط المخصوصة بإذن الله صور معلقة قائمة بها حاضرة عندها متمثلة في عالمها لا في هذا العالم والناس في غفلة من هذا . ويزعمون أنّ هذه الصورة منغمرة في المواد مما يتعلق به الإدراك والذي حصّلناه من كيفية الإبصار هو الحريّ باسم الإضافة الإشراقية ، لأنّ المضاف إليه كالمضاف موجود بوجود نوري بالذات .

وقد علمت أيضاً أنّ الصور الإدراكية كلها موجودة في عالم آخر ﴿ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴾[1]) .

أقول : هذا ردّ على ما ذهب إليه الإشراقيون ، من أنّ الإبصار بمشاهدة النفس للصورة الخارجية القائمة بالمادة ، وهو من وجوه قال منها : (إنّ البرهان قائم على ما في المواد الخارجية ليس مما يتعلق به إدراك بالذات) .

أقول : أما أنّ ما في المواد الخارجية ليس مما يتعلق به إدراك النفس بذاتها وبفعل ذاتها فصحيح .

وأمّا أنه لا يتعلق به إدراك مطلقاً فباطل بل يتعلق به إدراك القوى الجسمانية ولكن المصنف جعل برهانه تفريعاً على مسألة اتحاد العاقل بالمعقول فإنه منع هناك من كون الماديات معقولة لله تعالى بالذات بل بتبعية عقله لحقائقها المجردة ، وقد ذكرنا بطلانه ونذكر هنا بطلان الفرع فإنه على زعمه يعقلها بنفس علمه الذي هو ذاته .

وعلى قوله : (يلزمه ألّا تكون الذات الحق عزّ وجلّ متساوية النسبة إلى جميع الأشياء ، وهو خلاف الاتفاق على ذلك) .

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٦ .

بيان الحضور الإدراكي والوجود الشعوري

وقوله : (ولا من شأنه الحضور الإدراكي والوجود الشعوري) ، أمّا الحضور الإدراكي فممنوع ، لأنّ كلّ شيء يحضر بكونه سواء في ذلك المادي والمجرد وكلّ مدرك له فإدراكه له بنفس حضوره لا بصورة مماثلة أجنبية ، أو منتزعة ، لأنّ المدرِك ـ بكسر الراء ـ تحضر عنده صورة المدرَك بفتح الراء في غيبه عند غيبته .

وأمّا عند حضوره فلا توجد عند ذي الإدراك صورة غيره كما إذا غاب عنك زيد حضرت في ذهنك صورته ، لأنّ ذهنك يأخذها منه إذا غاب فإذا حضر أخذ منك ما أخذت منه فلا يوجد عندك إلّا نفس حضوره الذي هو به هو وهذا تتساوى فيه الأشياء كلها .

وأمّا الوجود الشعوري فالذي أعطى العقل الشعور بالمعاني لذاته لا بالصورة الجوهرية وأعطى النفوس الشعور بالصور الجوهرية لذاتها لا بالجسمانية وأعطى القوى الجسمانية الشعور بالكيفيات الجسمانية ، على أنّ كلّ مدرك إنما يحضر عند مدرِكه بنفسه لا بمماثله ، إذ لو كان الإدراك إنما هو للمماثل النفساني لكانت الصورة هي الصورة العلمية ، ولا خلاف في حصول الصور العلمية للنفس لكنها ليست هي الكيفيات الملموسة والمذوقة والمشمومة والمسموعة والمبصرة كما أنّ صورة زيد في

ذهنك ليس زيداً ، ولا الإحساس بزيد ، وإنما هي به فمعارضته ليست بصحيحة .

وقول الإشراقيين ليس بصحيح أيضاً ، لأنّ النفس لا تدرك الكيفيات المحسوسة بنفسها فالرد والمردود مردودان ضعف الطالب والمطلوب .

وقوله : (ومنها أنّ تلك الإضافة غير صحيحة إذ النسبة بين ما لا وضع له وبين ذات الأوضاع) .

أقول : وهو كما قال على دعواهم ، ولكنهم يعارضونه بهذا في دعواه بأن النفس تدرك صورة مماثلة للمحسوس ، لأنّ الصورة المذكورة مما لا وضع لها فالنسبة بينها وبين ذات الأوضاع في المماثلة غير صحيحة ، بل ربما يكون عدم النسبة فيما قال من المماثلة أولى منه فيما قالوا من الإدراك لأنه إشراق .

والإشراق العلمي كما يكون في الصورة الملكوتية يكون في الجماد ، لأنّ المراد من الإشراق العلمي حضور المعلوم بنفسه في رتبة كونه ووجوده عند العالم وتتساوى المعلومات فيه .

وقوله : (إلّا بواسطة ما له وضع) ، صحيح ولكن الصورة الملكوتية المماثلة مما لا وضع له فلم يجعل النفس مدركة للمحسوس بواسطة إدراكها لها إلّا أن يجعلها الروح البخاري فلا تكون ملكوتية بل جسمية .

بيان معنى المراد من المحسوسات الخمس

وقوله : (وعلى تقدير صحتها بالواسطة لم تكن إضافة علمية إشراقية) ، فيه أنّا نريد ألا يكون إدراك المحسوسات الخمس علميّاً إشراقيّاً بل وضعي مادي ولذا يضعف إدراك المحسوسات ببعدها عن الحواس الظاهرة البعد المحسوس ، ولا يختلف في حق النفوس .

وقوله : (إذ جميع أفاعيل القوى المادية وانفعالاتها بمشاركة الوضع) ، صحيح ولكنه المطلوب .

وقوله : (بل الحق في الإبصار كما أفاده الله لنا بالإلهام أنّ النفس ينشأ منها بعد حصول الشرائط المخصوصة بإذن الله صورة قائمة بها حاضرة عندها متمثلة في عالمها لا في هذا العالم) .

وأقول : كلامه هذا بعين معناه ذكره قبل هذا ، وقد تكلمنا عليه هناك فلا فائدة في كثرة التكرار مرة بعد أخرى ، وإن كانت عادتي أني أعتني بالتكرير للبيان إلّا أنه مع الفاصلة الطويلة ، أو لخفاء في البيان الأول .

وقوله : (والناس في غفلة ، إلى آخره) ، نقول : عليه لعلّه هو الذي غفل فإن المواد إذا لم يتعلق بها إدراك كانت من علم الغيب وعالم الغيب يكون من عالم الشهادة لتعلق الإدراك وعلم الطب كلّه مبني في التنمية والتحليل والتبريد والتسخين والترطيب

والتجفيف وغير ذلك على ثبوت إدراك القوى المادية لهذه الكيفيات ولو انحصر الإدراك في النفس والصور الملكوتية بطل علم الطب المجرب المقطوع على صحته وتأثير بعض الماديات في بعض وإدراك بعضها لبعض ، كيف لا وهي النامية والفاعلة والقابلة والحاسة والمحسوسة .

وقد اتفق الفلاحون على أنّ النخلة تأنس وتستوحش وتعشق وتخاف ، وقد صحح هذه الأمور وأمثالها المجربون بلا نكير بينهم كما هو مذكور في علم الفلاحة وصح لكلّ من جرّبه مع أنها ليس لها نفس ملكوتية ، وإنما نفسها نباتية من هذا العالم مؤلفة من هذه العناصر المشاهدة وإحساسها لذلك من نوع إحساس هذه الخمس الظاهرة .

وكلّ من فهم كلامي وأمثاله عرف أنّ المصنف هو الذي كان في غفلة عن هذا لا العلماء والحكماء الذي سمّاهم الناس .

معنى الإضافة الإشراقية

وقوله : (والذي حصّلناه من كيفية الإبصار هو الحريّ باسم الإضافة الإشراقية ، إلى آخره) ، ليس كذلك فإن الإضافة الإشراقية لم يفهم المصنف مراد القائلين بها منها فإنها كما تتحقق من العقول والنفوس تتحقق من الجمادات من بعضها لبعض فإنّ بيتك إذ بنى زيد له بيتاً عن يمين بيتك ، فقد حصلت النسبة

الإشراقية لبيتك من نفس حضور بيت زيد وكونه عن يمين بيتك ولو هدمه ونقله ، زالت النسبة اليمينية الإشراقية فلم يتصف بيتك بها فإذا فهمت معنى النسبة الإشراقية والإضافة الإشراقية والعلم الإشراقي من هذا المثال فهمت معنى الإشراقي الذي يريدون أهله لا أنه شيء ينبعث من المشرق كما يتوهم .

وقوله : (لأن المضاف إليه كالمضاف موجود بوجود نوري كالذات) ، ليس بصحيح بل قد يكون المضاف إليه نورياً دهرياً وسرمدياً وأزلياً والمضاف جماداً وحجراً ، فإنّ الإضافة تتحقق في بيتك الذي هو حجر وطين إليك وأنت المضاف إليه بنفسك فتقول : هذا ملك نفسي فهو منسوب إلى نفسك في الملك له والعلم به .

وكلّ ما خلق الله سبحانه حاضر عنده مضاف إلى ملكه وليس هذا العند في الأزل بل كلها في الإمكان في الأوقات السرمد كالفعل وكالحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله باعتبار والدهر كالعقل الكلي والروح الكلية والنفس الكلية والطبيعة الكلية وجوهر الهباء .

والزمان كالأجسام من المحدّد إلى الأرض السابعة السفلى وكلّ هذه معلومة له بالعلم الإشراقي بحضورها كلّ في رتبة كونه ، أو إمكانه ووقته من ملكه ، وهو تعالى سيدي في عز جلاله متعال في توحده عمن سواه وحده لا شريك له ، وهو الآن على ما

كان : ﴿ وَلَا يَئُودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾(١) ﴿ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴾(٢) ، ونوراً وهداية لقوم عارفين ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾(٣) .

ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم .

القاعدة السادسة في الصور الخيالية للإنسان

قال : (قاعدة : إنّ الصور الخيالية للإنسان جوهر مجرد عن هذا العالم أعني عالم الأكوان الطبيعية والمواد المستحيلة والحركات وعليه براهين قطعية أوردتها في الأسفار الأربعة وليست هي مجردة عن الكونين وإلّا لكانت عقلاً ومعقولاً بل وجودها في عالم آخر يحذو حذو هذا العالم في كونه مشتملاً على أفلاك وأنواع سائر الحيوانات والنباتات وغير ذلك بأضعاف أضعاف هذا العالم وجميع ما يدركه الإنسان ويشاهده بقوة خياله وحسّه الباطن ليست حالة في جرم الدماغ ، ولا في قوة حالة في تجويفه ، ولا هي موجودة في أجرام الأفلاك ، ولا في عالم منفصل عن النفس كما زعمه أتباع الإشراقيين بل هي قائمة بالنفس لا كقيام الحال بالمحل بل كقيام الفعل بالفاعل) .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥.

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٦.

(٣) سورة العنكبوت ، الآية : ٤٣.

قول المصنف : قاعدة :

إنّ الصور الخيالية للإنسان جوهر مجرد

أقول : لمّا فرغ من الكلام على المشاعر الظاهرة أخذ في بيان المشاعر الباطنة ، والذي يناسب أن يبتدئ إمّا بأولها ذكراً كالحس المشترك ثم الفكر ثم الخيال ، أو أقربها إلى الجسمانيات من حيث الأفلاك الحاملة لها كالحياة ثم الفكر ثم الخيال لكنه ذكرها على سبيل التعداد واكتفى به من جهة أنه تابع للقومِ ولهم كلام طويل عجيب على الخيال ولعلّه لم يقف على ما قالوا في الفكر ونحن نشير إلى ما لم يذكره ، وإلى ما ذكره .

بيان المشاعر الباطنة

١ ـ الحسّ

أمّا الحس المشترك فإنه في الحقيقة من البرازخ ، والبرزخ جامع للطرفين فهو قوة في مقدم الدماغ حياته من نوع حياة الحشرات كالخنافس والذباب والبق وما أشبهها ، لأنه قوة نفسانية تحجرت وتجسدت ، فهي ذات وجهين وجهها الأسفل جسماني يشاهد الجسمانيات كالقوى الظاهرة الخمس على المذهب الحق ويأخذ منها ما حصّلته من المدركات الخمسة الملموس والمذوق والمشموم والمسموع والمبصر ، ويشافِه الخيال بوجهه الأعلى النفساني ، ويؤدي إليه ما اكتسبه بعدما يترجمه بلغة الخيال ، لأنه

يتلقاه بلغة الأجسام والجسمانيات والخيال لا يعرف لغتهم وهذا بابه المترجم لما يكتسبه منها لخازنة عزّ وجلّ الخيال .

٢ ـ الفكر ومركزه وملائكته

وأمّا الفكر فمحلّه من الدماغ كمحل عطارد من الأفلاك ، لأنّ الفكر في العالم الكبير نفس فلك عطارد .

وقالوا : إنه موكل به ثلاثة ملائكة : شمعون وسيمون وزيتون وتحت كلّ من الجنود من الملائكة ما لا يحصي عددهم إلّا الله الذي خلقهم عزّ وجلّ فهم موكلون بإنزال الخيالات والصور وسائر الهيئات وهم المركبون للصور المختلفة كصورة أجنحة للإنسان وكرجل له ألف رأس ، على حسب ما يأمرهم الله تعالى مما ينزل من الخزائن كما قال الله : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[1] فالفكر قوة نفسانية ، قيل : إذا تصرفت بسبب القوة العقلية فهي فكر وإذا تصرفت بالقوة الوهمية فهي خيال .

والحاصل ؛ هي في العالم الصغير كنفس فلك عطارد في العالم الكبير فهو يرتب الصور ويفككها ويؤلفها على حسب مقتضى باعثه من العقل ، أو الوهم وأمّا الحياة فهي بمنزلة النور للقوى النفسانية وهي في الإنسان الصغير بمنزلة نفس فلك القمر

(١) سورة الحجر ، الآية : ٢١.

للإنسان الكبير ، وقد قال تعالى : ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾(١) فافهم ، وقد تقدم بيان ومثال للحياة الحيوانية الحسية .

٣ ـ الخيال

وأمّا الخيال فقال المصنف : (إنّ الصور الخيالية للإنسان جوهر مجرد عن هذا العالم أعني عالم الأكوان الطبيعية والمواد المستحيلة والحركات) .

أقول : أما أنه جوهر ، فيصح باعتبار الباطن من أنّ الصفات والأعراض ذوات يعني أبداناً تعليمية معنوية ولو ظهرت أعراض زيد لك كحركته وكلامه وحرارته وبرودته لم تفرق بينها وبين زيد إلّا أنّ زيداً يسند ما يحكيه عن نفسه ، وهي تسند ما تحكيه عن زيد وهي تأويل أهل الكهف والرقيم فهي جواهر بهذا المعنى .

وبالنسبة إلى أعراضها إلّا أنها جواهر مستقلة وإلّا لما كانت قوى للنفس ولكانت نفوساً على حدة ، ألا ترى أنك أنت ذو نفس واحدة وتنسب إليها هذه فتقول : حسي وخيالي ووهمي .

نعم هي باعتبار انبعاثها من نفسك تكون وجوهاً لها فهي جواهر في رتبتها وهي في رتبة النفس آلات فعلية .

وأمّا أنه مجرد ، فنعم هو مجرد عن المادة العنصرية والمدة

---

(١) سورة نوح ، الآية : ١٦.

الزمانية وله مادة نفسانية ، أو برزخية مثالية وله مدة مركبة من بين الزمان والدهر ، ويأتي تمام الكلام .

وقوله : (أعني عالم الأكوان الطبيعية) ، قد تقدم أنه يريد بالطبيعة الطبيعة الجسمية المركبة إمّا من العناصر الظاهرة ، أو من الطبائع كالأفلاك .

وقوله : (وعليه براهين أوردتها في الأسفار الأربعة) ، أما المبرهن عليه من أنه مجرد على ما ذكرنا وجوهر كذلك فصحيح .

وأمّا البراهين ففيها غلطات كثيرة لابتنائها على أصوله وإيرادها يطول به الكلام .

وقوله : (وهي ليست مجردة عن الكونين وإلّا لكانت عقلاً ومعقولاً) ، يعني أنها ليست مجردة عن الكون البرزخي ، وإن كانت مجردة عن الجسمي ولو كانت مجردة عن البرزخي كما تجردت عن الجسمي لكانت نفساً ، إذ ليس وراء البرزخ إلّا النفس والنفس إذا كملت كانت عنده عقلاً فتكون عاقلة لغيرها ولنفسها فهي معقولة ويريد به التنبيه على اتحاد العاقل والمعقول ، وقد تقدم بطلانه .

بيان القوة الخيالية ووجودها

وقوله : (بل وجودها) ، يعني القوة الخيالية (في عالم آخر) ، وهو عالم البرزخ بين المجردات والأجسام المادية

(يحذو حذو هذا العالم) ، يعني على هيئة تركيبه من الأبعاد والألوان والروائح والأصوات وسائر الكيفيات (في كونه مشتملاً على أفلاك) ، وتسمى تلك الأفلاك هورقليا[١] يعني ملكاً آخر أي : عالم ملك غير عالم ملك الماديات العنصرية (وعناصر وأنواع سائر الحيوانات والنباتات) ، وهذه عالمه السفلي ، وهو كما دلت عليه الروايات يشتمل على بلد في المشرق يقال له : جابلقا ، وعلى بلد في المغرب يقال له : جابرسا[٢] .

وفي بعض الأخبار : (**إنّ لكلّ واحدة سبعين ألف بابِ بين الباب إلى الباب فرسخ**)[٣] .

---

(١) قال المصنف في الجزء الأول من شرح العرشية : (وجسم برزخي : وهو جسم مقداري له طول وعرض وعمق بلا مادة هو الجسم المثالي الظلّي الشبحي ، وهو الذي يسمونه التعليمي ، وهو الذي يسمون عالمه العلوي بـ (هورقليا) ، يعني ملكاً آخر وعالمه السفلي بجابلقا وجابرسا الشرقية والغربية) انتهى . وقيل عالم هورقليا هو عالم الأفلاك المثالي أو سماواته ، وقيل : هو ما يقابل عالم المثال ، انظر المبدأ والمعاد للشيرازي : ٥٢٢ .

(٢) كما يأتي في الحديث .

(٣) معجم البلدان للحموي : ٣ / ٢٤٧ باب السين والميم .
عن جابر عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : (**إن لله مدينتين إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب ، عليهما سور من حديد له سبعون ألف باب ، من الباب إلى الباب فرسخ على كل باب سبعون مصراع من الذهب الأحمر ، أهلها يتكلّمون بسبعين ألف لغة ، كل لغة بخلاف الأخرى ، وأنا والله أعرف لغاتهم ، وأنا الحجّة عليهم**) مشارق أنوار اليقين : ٦٠ ، وبحار الأنوار : ٥٧ / ٣٢٦ ح ٦ و : ٢٧ / ٤١ ح ٢ .

وفي رواية أخرى : (**مئة فرسخ ، وعلى كلّ باب خمسون ألفاً شاكي السلاح ينتظرون قيام القائم عليه السلام**)[١] عجّل الله فرجه وسهّل مخرجه وجعلنا من أعوانه وأنصاره والمستشهدين بين يديه .

مدن الله تعالى العجيبة

والروايات مختلفة الظاهر في ذكرهما ففي الكافي[٢] عن ابن أبي عمير عن رجاله عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (**إنّ الحسن عليه السلام قال : إن لله مدينتين إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب عليهما سور من حديد ، وعلى كلّ واحد منهما ألف ألف مصراع وفيها سبعون ألف ألف لغة يتكلم كلّ لغة بخلاف لغة صاحبها وأنا أعرف جميع اللغات وما فيهما وما بينهما وما عليهم حجة غيري وغير الحسين أخي**)[٣] انتهى .

وروى الحسن بن سليمان الحلي[٤] في منتخب بصائر سعد بن

---

(١) وسوف تأتي هنا .

(٢) هو لمحمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي ، ويعرف بالسلسلي البغدادي أبو جعفر الأعور .
كان زمن وكلاء الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه ، انتهت إليه رئاسة فقهاء الإمامية في أيام المقتدر .
توفي في بغداد في شهر شعبان سنة ٣٢٩ هـ وقيل ٣٢٨ هـ .

(٣) بصائر الدرجات : ٣٥٩ ح ٤، والكافي : ١ / ٦٢ ح ٥.

(٤) هو الشيخ عزّ الدين أبو محمّد الحسن بن سليمان بن محمّد بن خالد الحلّي =

عبد الله الأشعري[١] بإسناده عن الصادق عليه السلام قال : (إن لله عزّ وجلّ مدينتين مدينة بالمشرق ومدينة بالمغرب فيهما قوم يعرفون إبليس ، ولا يعلمون بخلق إبليس نلقاهم في كلّ حين فيسألونا عما يحتاجون إليه ويسألونا عن الدعاء فنعلّمهم ويسألونا عن قائمنا متى يظهر ، وفيهم عبادة واجتهاد شديد . ولمدينتهم أبواب ما بين المصراع إلى المصراع مئة فرسخ ، لهم تقديس وتمجيد ودعاء واجتهاد شديد لو رأيتموهم لاحتقرتم عملكم ، يصلي الرجل منهم شهراً لا يرفع رأسه من سجدته ، طعامهم التسبيح ولباسهم الورق[٢] وجوههم مشرقة بالنور وإذا رأوا منا واحداً لحسوه[٣] واجتمعوا إليه وأخذوا من أثره من الأرض يتبركون به لهم دويّ إذا صلوا كأشد من دويّ الريح العاصف . منهم جماعة لم يضعوا السلاح منذ كانوا ينتظرون قائمنا عليه السلام يدعون الله عزّ وجلّ أن يريهم إياه ، وعمر أحدهم ألف

= المولد ، العاملي المحتد ، من تلامذة الشهيد الأوّل المستشهد سنة ٧٨٦ هـ ، كان حيّاً سنة ٨٠٢ هـ . انظر روضات الجنّات : ٢ / ٢٩٣ ـ ٢٩٤، وأمل الآمل : ٢ / ٦٦.

(١) هو الشيخ سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمّي ، المعاصر للإمام الحسن العسكري عليه السلام .

(٢) في مختصر البصائر : لباسهم الورع .

(٣) في مختصر البصائر : احتوشوه : أي أحدقوا به وجعلوه في وسطهم (لسان العرب) ، وفي هامشه في (م) : لجشوه ، وفي تبصرة الولي : لخشوه .

سنة إذا رأيتهم رأيت الخشوع والاستكانة وطلب ما يقربهم إلى الله عزّ وجلّ إذا احتبسنا عنهم ظنوا أنّ ذلك من سخط يتعاهدون أوقاتنا التي نأتيهم فيها لا يسأمون ، ولا يفترون يتلون كتاب الله عزّ وجلّ كما علمناهم ، وإنّ فيما نعلمهم ما لو تُلِيَ على الناس لكفروا به ولأنكروه . ويسألونا عن الشيء إذا ورد عليهم من القرآن لا يعرفونه فإذا أخبرناهم به انشرحت صدورهم لما يسمعون منا وسألوا لنا طول البقاء وألا يفقدونا ويعلمون أنّ المِنّة من الله عليهم فيما نعلمهم عظيمة . ولهم خرجة مع الإمام عليه السلام إذا قام ، يسبقون فيها أصحاب السلاح ويدعون الله عزّ وجلّ أن يجعلهم ممن ينتصر بهم لدينه ، فيهم كهول وشبان إذا رأى شباب منهم الكهل جلس بين يديه جلسة العبد لا يقوم حتى يأمره ، لهم طريق هم أعلم به من الخلق إلى حيث يريد الإمام عليه السلام ، فإذا أمرهم الإمام عليه السلام بأمر قاموا عليه أبداً حتى يكون هو الذي يأمرهم بغيره لو أنهم وردوا على ما بين المشرق والمغرب من الخلق لأفنوهم في ساعة واحدة لا يحثل (كذا) فيهم الحديد . لهم سيوف من حديد غير هذا الحديد لو ضرب أحدهم بسيفه جبلاً لقدّه حتى يفصله ويغزو بهم الإمام عليه السلام الهند والديلم والكرد والروم وبربر وفارس ، وبين جابرسا إلى جابلقا وهما مدينتان واحدة بالمشرق وواحدة بالمغرب لا يأتون إلى أهل دين إلّا دعوهم إلى الله عزّ وجلّ ، وإلى الإسلام

والإقرار بمحمد صلى الله عليه وآله والتوحيد وولايتنا أهل البيت فمن أجاب منهم ودخل في الإسلام تركوه وأمروا عليه أميراً ، ومن لم يجب ولم يقر بمحمد صلى الله عليه وآله ولم يقر بالإسلام ولم يسلم قتلوه حتى لا يبقى بين المشرق والمغرب وما دون الجبل أحد إلّا آمن)(١) انتهى .

وسئل أمير المؤمنين عليه السلام هل كان في الأرض خلق من خلق الله تعالى يعبدون الله قبل خلق آدم وذريته ؟

فقال : (نعم قد كان في السماوات والأرض خلق من خلق الله يسبّحون الله ويقدسونه ويعظمونه بالليل والنهار لا يفترون فإن الله عزّ وجلّ لما خلق الأرضين خلقها قبل السماوات ثم خلق الملائكة روحانيين لهم أجنحة يطيرون حيث يشاء الله فأسكنهم ما بين أطباق السماوات يقدسونه الليل والنهار واصطفى منهم إسرافيل وميكائيل وجبرائيل . ثم خلق عزّ وجلّ في الأرض الجن الروحانيين لهم أجنحة فخلقهم دون خلق الملائكة وخفضهم دون أن يبلغوا مبلغ الملائكة في الطيران وغير ذلك فأسكنهم فيما بين أطباق الأرضين السبع وفوقهنّ يقدسون الله الليل والنهار لا يفترون . ثم خلق خلقاً

---

(١) مختصر بصائر الدرجات : ١١، والمحتضر : ١٨٤، ومدينة المعاجز : ٦ / ٢٤ ح ١٨٢١ وتبصرة الولي : ٢٥٩ ح ٩٧، والبرهان : ١ / ٤٨ ح ١٤، والبحار : ٥٧ / ٣٣٢ ح ١٧، وإثبات الهداة : ٣ / ٥٢٢ ح ٤٠٥، وبصائر الدرجات : ٤٩ ح ٤ مختصراً .

دونهم لهم أبدان وأرواح بغير أجنحة يأكلون ويشربون نسناس أشباه خلقهم وليسوا بإنس وأسكنهم أوساط الأرض على ظهر الأرض مع الجن يقدسون الله الليل والنهار لا يفترون .

قال : وكانت الجن تطير في السماء فتلقى الملائكة في السماء فيسلّمون عليهم ويزورونهم ويستريحون إليهم ويتعلّمون منهم الخير . ثم إن طائفة من الجن والنسناس الذين خلقهم الله وأسكنهم أوساط الأرض مع الجن تمردوا وعصوا عن أمر الله فمرحوا وبغوا في الأرض بغير الحق وعلا بعضهم على بعض في العتو على الله تعالى ، حتى سفكوا الدماء فيما بينهم وأظهروا الفساد وجحدوا ربوبية الله تعالى .

قال : وأقامت طائفة المطيعين من الجن على رضوان الله وطاعته وباينوا الطائفتين من الجن والنسناس الذين عتوا عن أمر الله .

قال : فحطّ الله أجنحة الطائفة من الجن الذين عتوا عن أمر الله وتمردوا فكانوا لا يقدرون على الطيران إلى السماء ، وإلى ملاقاة الملائكة لما ارتكبوا من الذنوب والمعاصي . ثم خلق الله تعالى خلقاً على خلاف خلق الملائكة وعلى خلاف خلق الجن ، وعلى خلاف خلق النسناس يدبّون كما تدب الهوام[1] في الأرض

---

(١) الهامة : الدابة .

يأكلون ويشربون ما تأكل الأنعام من مراعي الأرض كلهم ذكران ليس فيهم إناث لم يجعل الله فيهم شهوة النساء ، ولا حب الأولاد ، ولا الحرص ، ولا طول الأمل ، ولا لذة عيش لا يلبسهم الليل ، ولا يغشيهم النهار ليسوا ببهائم ، ولا هوام لباسهم ورق الشجر وشربهم من العيون الغزار والأودية الكبار . ثم أراد الله أن يفرقهم فرقتين فجعل فرقة عند مطلع الشمس من وراء البحر وكوّن لهم مدينة أنشأها تسمى جابرسا طولها اثنا عشر ألف فرسخ في اثني عشر ألف فرسخ وكوّن عليها سوراً من حديد يقطع الأرض إلى السماء ثم أسكنهم فيها . وأسكن الفرقة الأخرى خلف مغرب الشمس من وراء البحر وكوّن لهم مدينة أنشأها تسمى جابلقا طولها اثنا عشر ألف فرسخ في اثني عشر ألف فرسخ ، وكوّن لهم سوراً من حديد يقطع الأرض إلى السماء . وأسكن الفرقة الأخرى فيها لا يعلم أهل جابرسا بموضع أهل جابلقا ، ولا يعلم أهل جابلقا بموضع أهل جابرسا ، ولا يعلم بهم أوساط الأرضين من الجن والنسناس . فكانت الشمس تطلع على أهل أوساط الأرضين من الجن والنسناس فينتفعون بحرّها ويستضيئون بنورها ، ثم تغرب في عين حمئة فلا يعلم بها أهل جابلقا إذا غربت ، ولا يعلم بها أهل جابرسا إذا طلعت لأنها تطلع من دون جابرسا وتغرب من دون جابلقا . فقيل : يا أمير

المؤمنين فكيف يبصرون ويحيون وكيف يأكلون ويشربون وليس تطلع الشمس عليهم ؟ .

فقال عليه السلام : إنهم يستضيئون بنور الله فهم في أشد ضوء من نور الشمس ، ولا يرون أنّ الله خلق شمساً ، ولا قمراً ولا نجوماً ، ولا كواكب ، ولا يعرفون شيئاً غيره .

فقيل : يا أمير المؤمنين فأين إبليس عنهم ؟

قال : لا يعرفون إبليس ، ولا سمعوا بذكره لا يعرفون إلّا الله وحده لا شريك له لم يكتسب أحد منهم قط خطيئة ولم يقترف إثماً لا يسقمون ، ولا يهرمون ، ولا يموتون إلى يوم القيامة يعبدون الله لا يفترون الليل والنهار عندهم سواء)[١] انتهى .

التشابه بين جابرسا وجابلقا وعَالَمِنا

وأقول : إنّ هاتين المدينتين ، ومن فيهما وأرضوهم وسماواتهم على هيئة أراضينا وسماواتنا وإنهم في الإقليم الثامن وأسفل عالمهم فوق محدب محدد الجهات ، ومع هذا فقد جمعهم وأفلاكهم المسماة بهورقليا في جوفه وجنان الدنيا ونيران الدنيا في ذلك العالم ، ومن مات من المؤمنين الماحضي الإيمان حملت الملائكة روحه على نجائب من نور إلى جنان الدنيا في ذلك العالم .

(١) بحار الأنوار : ٥٤ / ٣٢٢، وقصص الأنبياء : ٣٩.

وإن كان من المنافقين والكافرين الماحضين قادت الملائكة روحه بكلاليب وسلاسل من نار إلى نار الدنيا في ذلك العالم .

وماء الفرات والنيل وسيحان وجَيحان ينزل من ذلك العالم إلى فلك المحدد الجهات ثم إلى الملائكة ثم إلى السحاب ثم إلى الأنهار الأربعة ماء كلّ نهر من نظيره هناك .

وفي بعض الروايات ما معناه : (**أنه يخرج من كلّ مدينة منهما كلّ يوم سبعون ألفاً لا يعودون ويدخلها سبعون ألفاً لا يخرجون إلى يوم القيامة**)[1] .

واعلم أنّ الذي علمته في هؤلاء الخارجين والداخلين أنهم يخرجون من جابرسا لا يعودون ويدخلون جابلقا لا يخرجون ، ومن خرج من جابلقا دخل جابرسا كذلك .

وإذا كنت في مكان خال لا يحس بحركة ، ولا صوت ، ولا ريح في ليل ونهار فإنك تسمع كلامهم ، لأنّ المغربين والمشرقين

---

(١) عن أبي سعيد عقيصا الهمداني قال : قال الحسن بن عليّ عليهما السلام : (**إنّ لله مدينة بالمشرق ومدينة بالمغرب ، على كلّ واحدة منهما سور من حديد ، في كلّ سور سبعون ألف مصراع ذهباً ، يدخل في كلّ مصراع ألف ألف لغة آدميّ ، ليس منها لغة إلّا وهي مخالفة للأُخرى ، وما منها لغة إلّا وقد علمناها ، وما فيهما وما بينهما ابن نبيّ غيري وغير أخي ، وأنا الحجّة عليهم**) . مدينة المعاجز : ٣ / ٢٥٤ ح ٨٧٥ وج ٤ / ٢٠ ح ١٠٥٦ وحلية الأبرار : ٣ / ٤٦ ح ٤ ، والبحار : ٢٧ / ٤٤ ح ، وبصائر الدرجات : ٤٩٤ ح ١٢ ، والمحتضر : ١٠٤ .

يتلاقون في الهواء بين الأرض والسماء فيتكالمون فتسمع كلامهم وتسبيحهم دويّاً كدوي النّخْل وكذلك تسمع صوت الماء النازل من عالمهم إلى الأنهار الأربعة لأنه ينزل في حوض واسع والملائكة تكيل السحاب منه فإذا أردت أن تسمع ذلك الانصباب فاربط أذنيك بإصبعيك لئلّا تسمع شيئاً من هذا العالم فإنك تسمع صوت انصباب الماء في الحوض والحوض لا يمتلئ أبداً ، لأنّ الملائكة دائماً تغرف منه فافهم .

وحكي عن الحكماء الأقدمين أنّ في الوجود عالماً مقدارياً غير العالم الحسي لا تتناهى عجائبه ، ولا تُحصى مدنه من جملة تلك المدن جابلقا وجابرسا وهما مدينتان عظيمتان لكلّ منهما ألف باب لا يُحصى ما فيها من الخلائق .

وقال بعض العلماء : (في كلّ نَفَس خلق الله عوالم يسبّحون الليل والنهار لا يفترون وخلق الله من جملة عوالمها عالماً على صورنا إذا أبصرها العارف يشاهد نفسه فيها .

ثم قال : وكلّ ما فيها حي ناطق وهي باقية لا تفنى ، ولا تتبدل إذا دخلها العارفون فإنما يدخلون بأرواحهم لا بأجسامهم فيتركون هياكلهم في هذه الأرض الدنيا ويجردون أرواحهم وفيها مدائن لا تُحصى تسمى مدائن النور لا يدخلها من العارفين إلّا كلّ مصطفى مختار . وكلّ حديث وآية وردت عندنا فصرفها العقل عن ظاهرها وجدناها على ظاهرها في هذه الأرض ، وكلّ جسد

يتشكل فيه الروحاني من ملك وجنّ ، وكلّ صورة يرى الإنسان فيها نفسه في النوم فمن أجساد هذه الأرض) ، انتهى .

أقول في كلام هذا البعض ، بعضُ الكلام .

سكان مدينتي جابرسا وجابلقا

أمّا قوله : (لا يدخلها من العارفين إلّا كلّ مصطفى مختار) ؛ ففيه أنهّما مدينتان قائمتان وبإزائهما مدينتان منكوستان وهما متشابهتان في الشكل مختلفتان في الحقيقة .

فأمّا القائمتان فلا يدخلها إلّا كلّ مصطفى مختار .

وأمّا المنكوستان فلا يدخلها إلّا الفجار وسكان النار .

وأمّا قوله : (وجدناها على ظاهرها) ، إن كان ظاهرها حقّاً وجد في القائمتين ، وإن كان باطلاً وجد في المنكوستين .

واعلم أنّ لنا كلاماً في ترجمة لغات أهل هاتين المدينتين على جهة الإجمال والتمثيل لا تحتمله أكثر الأفهام فلذا اقتصرنا على ذكر الروايات .

وإنما قلنا على جهة الإجمال ، لأنّ تفصيلها لا يعلمها كلها إلّا العالم من آل محمد صلى الله عليه وآله .

وقول المصنف : (بأضعاف أضعاف هذا العالم) ، مراده به أنّ جميع الخلق من الإنس والجن والملائكة والحيوانات البرية

والبحرية والجن والنسناس والشياطين والنباتات والمعادن والجمادات كلها مَن نزل من الخزائن ومرّ على هذا العالم اكتسى منه حلة ينزل بها ، ومن صعد منها ومرّ عليها ألقى فيها حلته وخلق الله على شكل هذا العالم عوالم مشابهة له بعدد كلّ واحد من سكان عالمِنا مما له روح في قناديل وعلّقها بهذا العالم فتكون أضعاف أضعافه مضاعفة ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[1] .

بيان أن القوى الباطنة ليست من عالم الأجسام

وقوله : (وجميع ما يدركه الإنسان ويشاهده بقوة خياله وحسه الباطن ليست حالة في جرم الدماغ) ، يريد به أنّ القوى الباطنة ليست من عالم الأجسام لتكون حالة في الأجسام كالماء في الكوز ، أو كالماء في العود الأخضر ، وإنما هي من عالم الملكوت .

وأقول : إنها ليست من عالم الأجسام كما قال ، ولكنها تتعلق بلطائف الأجسام المادية لأنها إنما تظهر آثارها في انتزاع الصور الخيالية التي هي هيئات وأشعة من الصور المتصلة الحالة بالمواد على الصحيح بالنفس البخارية المتعلقة بمثل الدماغ وليس ما في الخيال أصلاً للخارجية كما زعمه الصوفية بل عندهم أنّ ما

(١) سورة المدثر ، الآية : ٣١.

في الخيال أصل للصور الخارجية والمواد المتقومة بها حتى قال بعضهم : ما تتحرك نملة في الشرق ، أو المغرب إلّا بقدرتي ، على أنّ القوة الحاسة الخيالية من أعالي الأجسام كما تصدق على المادية ، تصدق على المجردة عن المواد .

ويشير قوله عليه السلام في تأويل قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ﴾[١] قال عليه السلام : (**يعني بموت العلماء**)[٢] وما دل على أنّ النفس جسم .

وقوله : (في تجويفه) ، كما قلنا : أي ليست حالة كحلول الأجسام المادية بعضها في بعض ، وإنما هي إشراق من نفس فلك الزهرة يتعلق بالنفس البخارية وهي تتعلق بالدماغ وسريانها في النفس البخارية بواسطة نور نفس فلك القمر الساري في جميع الآلات بتوسط النفس البخارية قال الله سبحانه : ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾[٣] ، لأنّ الحياة الحيوانية التي هي إشراق من نفس فلك القمر سريان جميع القوى الإدراكية بتوسطها فافهم سرّ قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾ .

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٤٤ .
(٢) التفسير الأصفي : ٢ / ٧٨٣.
(٣) سورة نوح ، الآية : ١٦.

بيان النفس المتخيلة ووجودها

وقوله : (ولا هي موجودة في أجرام الأفلاك) ، فيه أنّ أصلها موجود في أجرام الأفلاك وهي النفس المتخيلة الكلية في نفس فلك الزهرة إذ ليس فلك الزهرة وغيره من الأفلاك كما توهمه كثير أنها متحجرة صلبة كما نقل عن بليناس أنها في صلابة الياقوت فإن هذا غلط ، ومن صعد منهم إلى السماوات وجدها بصلابة الياقوت حتى يخبر بذلك ، وإنما هي كما أخبر عنها خالقها العالم بما خلق في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾[1] فأخبر بأنه تعالى خاطبها وهي دخان والخطاب بعد تمام الصنع .

وكون الخطاب كناية عن التكوين خلاف الظاهر ؛ بمعنى أنه بمعنى التكوين في التأويل ، وعلى ظاهره في التكليف ، وكلّ منهما مراد ، والدليل القاطع المؤيد بقول الرضا عليه السلام : **(قد علم أولو الألباب أنّ الاستدلال على ما هناك لا يكون إلّا بما هنا)**[2] انتهى ، هو أنّ العلماء والحكماء اتفقوا على أنّ الإنسان هو العالم الصغير وأنه فيه كلّ ما في العالم الكبير فهو

(١) سورة فصلت ، الآية : ١١ .
(٢) نور البراهين : ٢ / ٤٧٩ ، التوحيد : ٤٣٨ ، وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٥٦ .

أنموذج منه وآية عليه وشاهدهم قوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[2] ، وما نسب إلى علي عليه السلام من قوله :

أَتَحسَبُ أَنَّكَ جُرمٌ صَغِيرٌ وَفِيكَ انطَوى العَالَمُ الأَكبَرُ[3]
وَأنتَ الكِتَابُ المُبِينُ الذي بِأحرُفِهِ يَظهَرُ المُضمَرُ

بيان الأفلاك السبعة

فإذا ثبت أنك نسخة العالم الأكبر ثبت أنّ فيك أفلاكاً سبعة ، فلك حياتك كفلك القمر ، وفلك فكرك كفلك عطارد ، وفلك خيالك كفلك الزهرة ، وفلك وجودك الثاني كفلك الشمس ، وفلك وهمك كفلك المريخ ، وفلك علمك كفلك المشتري ، وفلك عقلك أي تعقلك كفلك زحل ، وفلك نفسك وصدرك أعني خزانة علومك كفلك الثوابت ، وفلك قلبك أي عقلك كفلك الأطلس ، وجسدك كالعناصر الأربعة فهل فيك أفلاك جزئية في صلابة الياقوت أم تكون أفلاكك دخاناً بخارياً ؟ فقد كشفت لك

---

(١) سورة فصلت ، الآية : ٥٣.

(٢) سورة الذاريات ، الآية : ٢١.

(٣) التفسير الصافي : ١ / ٩٢، والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ١٤ / ١٤٨.

السر وأريتك الغيب شهادة في نفسك فإن فهمت وإلّا فخطابي مع غيرك .

فظهر لمن فهم أنّ السماوات دخان بخارية وفيك كذلك فتلك القوى النفسانية الكلية تعلقت بأفلاكها البخارية الدخانية تعلق إشراق بتوسط نفس فلك القمر وكذلك القوى النفسانية الجزئية تتعلق بأفلاكها الجزئية أعني بطون الدماغ الثلاثة فإنها خمسة وواحد باعتبار مقدم كلّ بطن ومؤخره كما ذكروا خمسة والواحد الذي هو منزلة إشراق نور نفس فلك القمر على الأفلاك تتعلق تلك القوى بتوسط إشراقه هو نور الحياة .

وقوله : (ولا في عالم منفصل عن النفس كما زعمه أتباع الإشراقيين) ، صحيح وإلّا لزم كون تلك القوى نفوساً متعددة متباينة وليس هذا موجوداً فينا فهو باطل .

وقوله : (بل هي قائمة بالنفس لا كقيام الحال بالمحل) ، صحيح سواء أريد بالحال العرض أم الجوهر .

وقوله : (بل كقيام الفعل بالفاعل) ، يعني قيام صدور .

في أن إدراكات النفس بلا توسط شيء

وقوله : (كقيام الفعل بالفاعل) ، بناه على ما ذهب إليه من أنّ المدرَك هو النفس بلا توسط شيء ، وإنما هذه المتوسطات مُعّدات لإدراكها ، وهذا ليس بصحيح بل الصحيح أنها تدرك بهذه

الوسائط ، والوسائط هي المدركة المترجمة وأما النفس فتدرك ما ترجمته الوسائط لا أنها تدرك بها قبل الترجمة كما توهمه أتباع الإشراقيين ، ولا أنها تدرك أمثال ما أدركته الوسائط ، وأنّ الوسائط غير مدركة بل معدّة كما توهمه المصنف نعم تلك القوى قائمة بالنفس كقيام نور الشمس المشرق على الجدار بالشمس قيام صدور .

قال : (وتلك الصورة الحاضرة في عالم النفس قد تتفاوتِ في الظهور والخفاء والشدة والضعف ، وكلّما كانت النفس الخيالية أشد قوة وأقوى جوهراً وأكثر رجوعاً إلى ذاتها وأقل التفاتاً إلى شواغل هذا البدن واستعمال قواها المحركة كانت الصورة الممثلة عندها أتم ظهوراً وأقوى وجوداً ، وهذه الصور إذا قويت واشتدت كانت لا نسبة بينها وبين موجودات هذا العالم في تأكد الوجود والتحصيل وترتب الأثر وليست هي كما ظنه الجمهور أنها أشباح مثالية لا يترتب عليها آثار الوجود كما في المقامات غالباً ، لأنّ ذلك لسبب اشتغال النفس بالبدن عند النوم أيضاً وتمام ظهور تلك الصورة وقوة وجودها إنما يكون بعد الموت حتى أنّ التي يراها الإنسان بعد الموت يكون هذه الصورة التي يراها في هذا العالم كالأحلام بالنسبة إليها ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام :

(الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا)[١] وحينئذ صار الغيب شهادة العلم عيناً وفيه سر المعاد وحشر الأجساد) .

قول المصنف : وتلك الصورة الحاضرة في عالم النفس قد تتفاوت

أقول : قوله : (وتلك الصورة الحاضرة في عالم النفس) ، يخالفه قوله قبل هذا : (بل وجودها في عالم آخر إلى آخره) ، يعني به عالم المثال والبرزخ وذلك تحت عالم النفس فإنّ كلّ واحد منهما عالم على حدة ، وهنا جعله في عالم النفس .

وكلامه الأول أصح من كلامه هذا ، وقد نصّ على الأول بأنه ليس ما فيه مجرداً عن الكونين وذكرناه هناك فراجع .

وهنا جعله مجرداً عن الكونين الملكي والكون البرزخي .

وقوله : (قد تتفاوت في الظهور والخفاء والشدة والضعف) ، ظاهر .

وقوله : (وكلّما كانت النفس الخيالية أشد قوة ، إلى قوله : وأقوى وجوداً) ، ظاهر لا إشكال فيه .

---

(١) عيون الحكم والمواعظ : ٦٦، بحار الأنوار : ٤ / ٤٣ ح ١٨، وعوالي اللآلي : ٤ / ٧٣ ح ٤٨.

بيان اشتداد الصورة الحاضرة في عالم النفس والبرزخ

وقوله : (وهذه الصور إذا قويت واشتدت كانت لا نسبة بينها وبين موجودات هذا العالم في تأكد الوجود والتحصيل وترتب الأثر) .

فأقول : المفهوم من كلامه أنها قبل اشتدادها بينها وبين موجودات هذا العالم نسبة في تأكد الوجود وبناء منطوق كلامه على ما قدم من أنها جواهر ، وأنّ الجواهر لها حركة تسير بها إلى الله تعالى في السلسلة الطولية وبناء مفهوم كلامه على أنّ النفوس أصلها جسمانية وتترقى في معارج كمالاتها إلى أن تكون هي العقل إذ ليس عقل غيرها عنده ، وفي المنطوق والمفهوم هفوات وأغلاط .

أمّا أنها جواهر ففيه أنها من عالم المثال كما هو صريح كلامه ، وكلّ ما في عالم المثال أشباح وأظلة ، وتوهم جوهريتها مما روي[١] ومما قيل : إنهم رجال وإنهم يعبدون الله تعالى وبأيديهم سيوف وأسلحة ينتظرون قيام القائم عليه السلام عجل الله فرجه فإن كلّ شيء يعبد الله ، وكلّ ينصر القائم عليه السلام الجواهر والأعراض أما سمعت قوله تعالى : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[٢] ، وقوله عليه السلام في الزيارة الجامعة

---

(١) كما تقدم سابقاً .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٤٤.

الصغيرة : (**يسبح الله بأسمائه جميع خلقه**)(١) .

وخطاب الحسين عليه السلام للحمّى التي كانت في عبد الله ابن شداد حين عاده فلمّا دخل عليه السلام عليه طارت عنه الحمى فقال عبد الله : رضيت بما أوتيتم والحمى تهرب منكم .

فقال عليه السلام : (**والله ما خلق الله شيئاً إلّا وأمره بالطاعة لنا ثم قال عليه السلام يا كناسة .**

قال : فسمعنا الصوت ولم نر الشخص يقول لبيّك .

فقال عليه السلام : **ألم يأمرك أمير المؤمنين ألّا تقربي إلّا عدوّاً ، أو مذنباً ليكون كفارة له فما بال هذا**) رواه الميرزا(٢) في

---

(١) مصباح المتهجد : ٢٨٩ ح ٣٩٩، ووسائل الشيعة لآل البيت عليهم السلام : ١٤ / ٥٨٠ ح ١٩٨٥٧.

(٢) هو الميرزا محمد بن علي بن إبراهيم الأسترابادي . كان فاضلاً عالماً محققاً مدققاً عابداً ثقةً عارفاً بالحديث والرجال ، له كتاب الرجال الكبير والمتوسط والصغير ، ما صنف في الرجال أحسن من تصنيفه ولا أجمع إلا أنه لم يذكر المتأخرين ، وله أيضاً شرح آيات الأحكام ، وحاشية التهذيب ، ورسائل مفيدة .
وذكره صاحب سلافة العصر ، وذكر أكثر مؤلفاته وأثنى عليه ، وذكر أنه توفي بمكة سنة ١٠٣٦ .
وذكره السيد مصطفى التفرشي في رجاله فقال : فقيه متكلم ثقة من ثقات هذه الطائفة وعبادها وزهادها ، حقق الرجال والرواية والتفسير تحقيقاً لا مزيد عليه ، كان من قبل من سكان العتبة العلية الغروية واليوم من مجاوري بيت الله الحرام ونساكهم ، له كتب جيدة منها : كتاب الرجال حسن الترتيب يشتمل =

كتاب الرجال الكبير[١] .

فانظر فإن الحمى من أنصارهم : ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[٢] .

وإذا تأملت في الحديث المتقدم عن أمير المؤمنين عليه السلام في أهل جابرسا وجابلقا أنهم كلهم ذكور وهم برزخ يشعر بأنهم أشباح بخلاف الملائكة والشياطين في كونهم ذكوراً وليسوا بأشباح لأنهم ليسوا برزخاً والبرازخ منهم كذلك .

ومرادنا بالبرازخ ليست الجامعة بين الشيئين فإنهم جواهر ، وإنما المراد بها الواصلة بين العوالم المتباينة كالأفعال والصفات فإنها لا تكون إلّا أعراضاً وعالم البرزخ هذا ظل العالم الأخروي قد مررنا عليه في النزول ونحن الآن سائرون إلى الآخرة ونمرّ عليه في الصعود .

= على أسماء جميع الرجال يحتوي على جميع أقوال القوم في المدح والذم إلّا شاذاً ، ومنها كتاب آيات الأحكام .
انظر كتاب أمل الآمل : ٢٨١ رقم ٨٣٥.

(١) اختيار معرفة الرجال : ١ / ٢٩٩ ح ١٤١ ، وموسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام : ٧٦١ ح ٨٠٦، ومعجم رجال الحديث : ١١ / ٢٣٢ ح ٦٩٢٩ .

(٢) سورة المدثر ، الآية : ٣١.

بيان الصور الخيالية وأنها ليست جواهر

وقوله : (وليست هي كما ظنه الجمهور أنها أشباح مثالية) ، اضطراب منه فإن الصور الخيالية ليست جواهر ، خلافاً للصوفية فإنك إذا تخيلت زيداً لم تكن تلك الصورة زيداً ، ولا ذاتاً قائمة بنفسها وأنت لا تذكرها إلّا بأن تلتفت إلى زيد فينتزع خيالك منه صورة شبحه كما نطقت به الأخبار ، فإذا ثبت أنها أمثلة وأشباح وأظلّة لم تترتب عليها الآثار الوجودية ، وإنما تترتب عليها الآثار من جهة مقبولاتها فإنها كانت حاملة للجواهر الهبائية المجردة فلمّا نزلت إلى هذا العالم لحقتها الأعراض المادية منه وتلك الأشباح دالة على تلك الجواهر كما تدل صورتك الشبحية في المرآة عليك فترتب آثار الوجود عليها في الرؤيا والمنام ، وفي اليقظة إنما هو لدلالتها على تلك الجواهر الهبائية كما إذا رأيت صورة زيد في المرآة فإنّ كلّ ما يترتب عليها فإنما هو لدلالتها على زيد .

وقوله : (لأنّ ذلك لسبب اشتغال النفس بالبدن عند النوم) ، لا يلزم مع هذا عدم حصول الآثار بل قد توجد الآثار أيضاً قبل الموت كما هو شأن الأقوياء وأصحاب المعاجز .

بيان أن قوة الصورة الحاضرة بعد الموت

وقوله : (وتمام ظهور تلك الصورة وقوة وجودها إنما يكون

بعد الموت) ، يريد به أنها جواهر ولكن المانع من ترتب الآثار إنما هو اشتغال النفس وليس كذلك ، لأنّ الأمثال للأمور الحقة الصالحة كلها الموجودة في نفس فلك البروج وهي جواهر في رتبتها وأشباح لمّا فوقها والأمثال للأمور الباطلة الطالحة كلها الموجودة في الثرى الذي تحت الطمطام الذي تحت جهنم التي تحت الريح العقيم التي تحت البحر الذي تحت الحوت الذي تحت الثور الذي تحت الصخرة التي هي كتاب الفجار المقابلة لفلك البروج الذي هو كتاب الأبرار فالأمور الحقة في نفس فلك البروج وأمثالها في فلك البروج ، وهو كتاب الأبرار .

والأمور الباطلة في الثرى وأمثالها في سجين وهي الصخرة التي هي كتاب الفجار فالخيال الحق ينتزع الصور في الغائب من كتاب الأبرار ، وفي الشاهد مما أمره به الشارع عليه السلام .

والخيال الباطل ينتزع الصور في الغائب من الصخرة سجين كتاب الفجار ، وفي الشاهد مما نهاه عنه الشارع عليه السلام .

فتتصف النفس بصفات أفعالها كما أشار تعالى إليه في قوله : ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ﴾(١) .

وقوله : ﴿ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾(٢) .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٣٩ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ١٨ .

والآثار المترتبة عليها إنما يمنع النفس من إظهارها عدم كمال اتصافها بها لغفلتها وتقصيراتها كمن يتعلم صنعة ولم يتم له العلم بها فإنه لا يقدر على إظهار آثارها وليست تلك القوى جواهر مستقلة لتظهر آثارها إذا قويت وكملت ، وإنما هي صفات فعلية للنفس فإذا قويت النفس في الاتصاف أظهرت الآثار بأن تشرق من نور وجودها نوراً وتلبسه صورة واحدة من تلك الصور إذا شاءت فيخرج كذلك جوهراً ، أو عرضاً كما شاءت بإذن الله تعالى كما أمر الهادي عليه السلام صورة السبع التي في مسند المتوكل أن يقوم سبعاً ويفترس الساحر الهندي لأنه عليه السلام تصورها سبعاً بأن أعطاها مادة من فاضل وجوده ، وألبس ذلك الفاضل أعني الشعاع تلك الصورة وأخرجه بإذن الله سبعاً ، فلمّا افترسه أمرها بالرجوع إلى المسند وجذبت صفة ذاته شعاعها .

فقال المتوكل : يا بن الرضا لو رجعته من الصورة يعني الهندي ؟

فقال عليه السلام : **(لو رجعت عصيّ السحرة وحبالهم من عصا موسى عليه السلام لرجع)**[(١)] .

---

(١) عن علي بن يقطين قال : استدعى الرشيد رجلاً يبطل به أمر أبي الحسن موسى ابن جعفر عليه السلام ويقطعه ويخجله في المسجد فانتدب له رجلاً معزماً فلما أحضرت المائدة عمل ناموساً على الخبز فكان كلما رام أبو الحسن عليه السلام تناول رغيف من الخبز طار من بين يديه واستفز من هارون الفرح =

فليست الآثار من الصفة ، وإنما هي من الموصوف بمعنى أنّ الموصوف إذا تحقق في الاتصاف أظهر بفعله ما شاء من الآثار بأن يظهر من أثر فعله ما شاء ويلبسه صورة من صور تلك الصفة .

والتحقق قد يكون في الدنيا وقد تحصل موانع للتحقق ، مثل اشتغال النفس بالبدن وبأحوال الدنيا فيكون في الآخرة لتساوي الخلائق يوم القيامة في التحقق بصفات أعمالهم بنسبة قوابلهم من الأعمال والأقوال والأحوال .

تشبيه الصورة الخيالية في عالم الدنيا

وقوله : (حتى إنّ التي يراها الإنسان بعد الموت تكون هذه الصورة التي يراها في هذا العالم كالأحلام بالنسبة إليها) ، يعني

= والضحك لذلك فلم يلبث أبو الحسن عليه السلام أن رفع رأسه إلى أسد مصور على بعض الستور فقال له : يا أسد خذ عدوّ الله قال : فوثبت تلك الصورة كأعظم ما يكون من السباع ، فافترست ذلك المعزم فخرّ هارون وندماؤه على وجوههم مغشياً عليهم فطارت عقولهم خوفاً من هول ما رأوه فلما أفاقوا من ذلك قال هارون لأبي الحسن عليه السلام : سألتك بحقي عليك لما سألت الصورة أن ترد الرجل .

فقال : (**إن كانت عصا موسى ردت ما ابتلعته من حبال القوم وعصيهم فإن هذه الصورة ترد ما ابتلعته من هذا الرجل**) فكان ذلك أعمل الأشياء في إفاتة نفسه . انظر عيون أخبار الرضا عليه السلام باب (٨) الأخبار التي رويت في صحة وفاة أبي إبراهيم موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ح ١ .

أنّ الصور الخيالية في الدنيا بالنسبة إليها في الآخرة كالصورة التي يراها الشخص في المنام بالنسبة إليها في اليقظة .

والتشبيه إما تبعاً للحديث ، أو لظنه مغايرة المنام لما في الخيال والحق أنّ الخيال يدرك الصورة الشبحية في المنام في عالم المثال ، وفي اليقظة لأنه مرآة تنتزع الصور من الجواهر ، ومن الصور والألوان والأعراض فتتصف به النفس لأنه من باب الكيف وظهور الآثار منها كما ذكرنا .

إدراك النائم لحقائق الأشياء

وقوله عليه السلام : (**الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا**)(١) انتهى ، يعني أنهم إنما يدركون الصور كالنائم وهم سائرون إلى الأعيان فإذا ماتوا وصلوا إليها ، مثاله أنك تسمع بأصفهان وتتصورها من السماع فإذا أتيت البلد أصفهان عرفت أنّ هذه هي صاحبة تلك الصورة التي عندك والمطابقة والاختلاف مما فهمت ولو كانت أصفهان بذاتها هي التي في خيالك لوجبت المطابقة لكلّ أحد ، لأنّ وجدان الشيء بنفسه لا يختلف ، ولا يُختَلف فيه .

وقوله : (وحينئذ صار الغيب شهادة والعلم عيناً) ، لا يصح

---

(١) عيون الحكم والمواعظ : ٦٦، بحار الأنوار : ٤ / ٤٣ ح ١٨، وعوالي اللآلي : ٤ / ٧٣ ح ٤٨.

على مراده إذ مراده أنّ ذلك الذي في الخيال هو بعينه ذات زيد الغائب فإذا حضر زيد حضر بتلك الذات المتخيلة ، وهو غلط ، وإنما الغيب الخيالي هو الوصف والحاضر هو الموصوف .

بيان سرّ المعاد وحشر الأجساد

وقوله : (وفيه سر المعاد وحشر الأجساد) ، يشير به إلى أنّ هذا الحاضر هو ذلك الخيال كما أنّ هذا المعاد هو ذلك الفاني ، وقد بيّنا لك بطلان هذا نعم هو دليله وآيته كما روي ما معناه (**إنّ نبيّاً من أنبياء الله عليهم السلام أنكر قومه المعاد وقالوا : إن كنت صادقاً فارجع لنا أسلافنا الماضين ، فسأل الله تعالى أن يبين لهم فألقى الله سبحانه عليهم الرؤيا في المنامات فكان أحدهم يرى أباه وجدّه وأمه وأمها فاستدلوا بذلك على البعث ولم تعد آباؤهم ، وإنما رأوا صورهم وأشباحهم**)[1] وآمنوا بما لم يقبله المصنف .

القاعدة السابعة في نفسية النفس

قال : (قاعدة نفسية النفس : ليست إضافة عارضة لوجودها كما زعمه الجمهور من الحكماء من أنّ نسبتها إلى البدن كنسبة المَلِك إلى المدينة والربان إلى السفينة بل نفسية النفس إنما هي نحو

---

(١) لم نجده فيما توفر لدينا من مصادر .

وجودها ، لا كحال الملك والربان وغيرهما مما له ذات مخصوصة تعرضها إضافة إلى غيره بعد وجود الذات إذ لا يتصور للنفس ما دام كونها نفساً وجود لم تكن هي بحسبه متعلقة بالبدن مستعمله لقواه إلّا أن تتقلب في وجودها وتشتد في تجوهرها حتى تستقل بذاتها وتستغني عن التعلق بالبدن الطبيعي : ﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴾[1] ، أو ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾[2] ﴿ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴾[3]) .

قول المصنف : قاعدة نفسية : النفس ليست إضافة عارضة

أقول : اختلفوا في النفس هل هي نفس بذاتها أم هي نفس لغيرها ؟ ويرجع الخلاف إلى شيئين :

بيان أن النفس نفس لذاتها أم لغيرها

أحدهما : إلى الوضع أي : وضع لفظ نفس للذات المعينة ، أو وضع لفظ نفس لغيب شيء آخر وذلك الآخر ظاهره .

وثانيهما : إلى استقلالها بذاتها في الذات والفعل ، أو عدم

---

(١) سورة الانشقاق ، الآية : ٩.

(٢) سورة المسد ، الآية : ٣.

(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٦.

استقلالها بدون ذلك الغير ذهب المصنف إلى الأخيرين من الشيئين وهما أنّ الوضع لا على الارتجال لهذا الجوهر المعروف فليست ذات إضافة في أصل التسمية ، وفي الذات ، وأنّ ليس لها وجود مستقل لم تكن هي من جهته متعلقة بالبدن مستعملة له ولقواه في سائر مداركها نعم يؤول أمرها إلى أن تلحق بالمفارقات الجزئية بعد أن تنقلب في أطوارها وتتخلص مما تلوثت به من أوساخ البدن المادي .

وأنت إذا تتبعت استعمالات لفظة النفس وجدتها مستعمَلة في المعنيين الاستقلالي والإضافي .

والذي أعرفه أنّ ما ذكره المصنف من أول الأولَيْن أعني الوضع لذات معينة من غير ملاحظة إضافة صحيح ، وأنّ استعمالها في ذات تعرض لها الإضافة إنما هو لملاحظة الاشتقاق الذي أفاده قصد الواضع من المناسبة بين اللفظ والمعنى فلأجل ملاحظة المناسبة قيل : نفس هذا البدن مثل ملك المدينة وربّان السفينة ، وأنّ ما ذكره من أول الاحتمالين الأخيرين من أنّ ليس لها وجود مستقل لم تكن هي من جهته متعلقة بالبدن إلخ ، فإن المراد بهذا الوجود ليس نفس مادتها كما ذكرنا سابقاً مكرراً .

وعندنا من أنّ مادتها في أصل كونها مجردة عن المواد العنصرية الزمانية بخلاف ما ذهب إليه المصنف من أنّ أصلها من

الطبيعة العنصرية إلّا أنها تتقلب في مراتب أطوارها حتى تكون عقلاً بل مادتها الأصلية نورية ، ولكنها ذات أبعاد نفسانية ملكوتية والأفعال تتبع هيئات الأشياء لا موادّها فلذا كانت مقارنة في أفعالها فلا تنفك عن التعلق بالأبدان أبداً لأنها جسم ، ولا تكون بنفسها عقلاً لأنها إذا كملت كانت تعي عن العقل وتدل عليه وإليه تشير فهي ابنته ومطيّته الحاملة لثقله إلى بلد يجتني من شجرها المعاني ولم يكن بدونها بالغاً إلا بشقّ نفسه .

فثاني الاحتمالين الأخيرين على هذا صحيح .

كيفية تعلق النفس بالبدن

وقوله : (وتستغني عن التعلق بالبدن الطبيعي) ، ليس بصحيح لأنها إذا كان أصلها من البدن الطبيعي العنصري كيف تستغني عن التعلق به بل ينبغي على قوله أن يكون تعلقها بالبدن الطبيعي إذا كملت أقوى ، لأنّ الشيء إذا كمل اشتد ارتباطه بأصله وقوي رجوعه إليه .

وأمّا نحن فنقول كما قدمنا : إنها هبطت إلى البدن من المحل الأرفع ، وهو عالم الملكوت وكانت غيباً في النفس النباتية التي في النطفة لخراب مسكنها بعد التكليف الأول وتبقى كامنة في النباتية والنباتية تبني لها مسكنها وهي مجتمعة قد وضعت رأسها بين ركبتيها ونامت فإذا تم بناء بيتها رفعت رأسها وتربعت على

الطبائع الأربع وأخذت شيئاً فشيئاً تقتنص أطيار الأفكار فإذا علّمها العقل مما علّمه الله حلّ صيدها له ، لأنها إذا تعلمت وأرسلها صعدت إلى ما فوق السماوات وأتت له بالصيد الحلال المذكّى ، وإن لم يعلمها أو لم تتعلم سقط ريشها .

وبإزاء هذه النفس الصالحة نفس أمّارة وهي الكلب من أهل الكهف ، ولها سبع مراتب :

مراتب النفس السبع

١ ـ النفس الأمّارة

الأولى : أمّارة مغايرة لتلك الصالحة وهي كلب الهراش .

٢ ـ النفس الملهمة

الثانية : الملهمة ، أو اللوامة ، على الخلاف .

٣ ـ النفس اللوامة

الثالثة : هي اللوامة ، أو الملهمة ، على الخلاف .

٤ ـ النفس المطمئنة

الرابعة : هي المطمئنة وهي حين تعلّمت مما علّمها العقل مما علّمه الله تعالى فإذا أرسلها طارت صاعدة إلى ما فوق السماوات واصطادت له الصيد الحلال المذكى .

وفي المرتبة الثانية والثالثة تصطاد مرة من السماوات صيداً حلالاً مذكّى ومرة تصطاد من الأرضين حراماً ، أو ميتاً .

وفي الأولى تصطاد بغير إرسال من تحت الأرضين السبع حراماً ، أو ميتاً لا غير .

٥ ـ النفس الراضية

والخامسة تكون راضيةً .

٦ ـ النفس المرضية

والسادسة : تكون مرضيةً .

٧ ـ النفس الكاملة

والسابعة تكون كاملة .

وفي هذه المراتب الأربع الأخيرة تتحد بالنفس الصالحة التي نحن بصددها وليس هنا مكان هذا الكلام فيه .

وإنما ذكرت هذا استطراداً تنبيهاً ، على أنّ هذه النفس ليست هي الأمّارة ، ولا شيئاً من مراتبها الثلاث الأولى .

وأمّا الأربع الأخيرة فتتحد معها اتحاد مجاورة وتعارف ومصافاة ولهذا تكون في المراتب الأربع أخت العقل ومطيّته والتي نحن بصددها ابنته وتكون مطية له كما مرّ .

والحاصل أنّ هذه النفس ليس أصلها من البدن الطبيعي بل

أصلها من الملكوت كما قال علي عليه السلام : (**أصلها العقل منه بُدِئَت وعنه وعت وإليه دلّت وأشارت**)[١] انتهى ، فهي بنته ، وإذا كملت عادت إليه أي إلى رتبة بدئها من تنزله لأنها لم تُبدأ منه عقلاً لتعود إليه عقلاً ، وإنما بُدِئت منه نفساً فتعود كما بُدِئَت ، ولا تستغني عن التعلق بالبدن أبداً لمّا بينهما لذاتهما من المناسبة والمشابهة من الأبعاد المقدارية .

بيان أن تجوهر النفس يُلحقها بأعلى المرتب

وقوله : ﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴾[٢] ، أو ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾[٣] ، يريد به الإشارة إلى أنها إذا اشتدت في تجوهرها لحقت بالمراتب العلية فكانت عقلاً ، وإن بقيت في إنيتها انحطت من أوج الملكوت إلى حضيض الناسوت .

وأقول : إنها إذا تزكّت شابهت مبدأها من النفس الكلية واللوح المحفوظ ، وإن ركبت مناهي الله انحطت إلى سجين وشابهت ما في الثرى قال أمير المؤمنين عليه السلام : (**وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة إن زكّاها بالعلم والعمل فقد شابهت أوائل**

---

(١) شرح الأسماء الحسنى : ٢ / ٤٦، والتعليقة على الفوائد الرضوية : ١١١ .

(٢) سورة الانشقاق ، الآية : ٩.

(٣) سورة المسد ، الآية : ٣.

جواهر عللها فإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد)[١] انتهى .

وقال تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾﴾[٢] ، فإنها إذا تزكّت رجعت إلى أهلها وهي مبادئها من اللوح المحفوظ فانقلابها صعودها بعِلمها وعَملِها إلى رتبة علتها من النفس الكلية .

وإذا ركبت مناهي الله خرّت من السماء فتخطفها الطير ؛ أي : الشياطين ، أو تهوي بها الريح ؛ أي هواها وشهواتها في مكان سحيق ، أي : في سجين ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣] .

القاعدة الثامنة في كينونة النفس الآدمية

قول المصنف : قاعدة : للنفس الآدمية كينونة سابقة على البدن

قال : (قاعدة للنفس الآدمية كينونة سابقة على البدن من غير لزوم التناسخ ، ولا استيعاب قدم النفس كما اشتهر عن أفلاطون ، ولا تعدد أفراد نوع واحد وامتيازها من غير مادة واستعداد ، ولا

---

(١) مناقب آل أبي طالب عليهم السلام : ١ / ٣٢٧، والصراط المستقيم : ١ / ٢٢٣.

(٢) سورة المطففين ، الآيات : ٧ ـ ١٠.

(٣) سورة الحجر ، الآية : ٧٧.

صيرورة النفس منقسمة بعد وحدتها كالمقادير المتصلة ، ولا تعطيلها قبل الأبدان بل كما بيّنا دليله وأوضحنا سبيله في حواشي حكمة الإشراق بما لا مزيد عليه وإليه الإشارة في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾[1] .

وقوله صلى الله عليه وآله : (الأرواح جنود مجندة . . .) الحديث[2] .

وعن أبي عبد الله عليه السلام : (إن الله خلقنا من نور عظمته ثم صوّر خلقنا من طينةٍ مكنونةٍ تحت العرش فأسكن ذلك النور فيه فكنّا نحن بشر نورانيين وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا)[3] .

وروى محمد بن بابويه قدّس سرّه في كتاب التوحيد مسنداً عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : (إن الله خلق المؤمنين من طينة الجنان وأجرى فيهم من ريح روحه)[4] .

وعن أبي جعفر عليه السلام مثله ، وهو : (إن الله عزّ وجلّ خلق

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢ .

(٢) الأمالي للصدوق : ٢٠٩ ح ٢٣٢، ومن لا يحضره الفقيه : ٤ / ٣٨٠ ح ٥٨١٨ .

(٣) الكافي : ١ / ٣٨٩ ح ٢، والمحتضر : ٢٨٣ ح ٣٧٥ .

(٤) المحاسن : ١ / ١٣٣ ح ١٠ باب خلق المؤمن من طينة الجنان ، والكافي : ٢ / ١٦٦ ح ٢ .

المؤمنين من طين الجنان ، وأجرى صورهم من ريح الجنان)[١] .

وعن أبي عبد الله عليه السلام : (المؤمن أخو المؤمن . .)[٢] ، و(إنّ أرواحها من روح الله عزّ وجلّ) ، و(إنّ روح المؤمن أشد اتصالاً بروح الله من اتصال الشمس بالشعاع)[٣] . والروايات في هذا الباب من طريق أصحابنا لا تحصى كثرة حتى إنّ كينونة الأرواح قبل الأجساد كأنها كانت من ضروريات مذهب الإمامية رضوان الله عليهم .

أقول قوله : (للنفس الآدمية كينونة) ، أي حصول وكون سابقة على البدن يعني كينونة سابقة على البدن والمفهوم من كلامه أنّ ذلك سبق زمان ، لأنّ التقدم بهذا النمط تقدم زماني ، وهو ينافي قوله : (إنها من الملكوت) ، ومعلوم عند جميع العلماء والحكماء أنّ الملكوت ليس من عالم الملك ، وأنّ عالم الملك هو الذي في الزمان ، وأنّ عالم الملكوت سابق على الزمان فلا

---

(١) شرح أصول الكافي : ٩ / ٣٦ ح ٧، وبحار الأنوار : ٧١ / ٢٧١ ح ١١.

(٢) مصادقة الإخوان للصدوق : ٤٨ ح ٢.

(٣) قال عليه السلام : (المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد ، إن اشتكى شيءٌ منه وجد ألم ذلك في سائر جسده ، وأرواحهما من روح واحدة ، وإن روح المؤمن لأشدّ اتّصالاً بروح الله عزّ وجلّ من اتّصال شعاع الشمس بها) أُصول الكافي : ٢ / ١٦٦ ح ٤.

يكون سبقه زمانياً بل دهرياً ولكنه في سائر كتبه يذهب إلى أنّ الزمان لا يتقدم عليه إلّا البارئ سبحانه والذي يظهر لي أنه لا يتصور الدهر ، ولا كيفية سبقه كما هو شأن الجمهور حتى إنّ منهم من يقول : إنّ المجردات سابقة على الماديات سبقاً دهرياً ، ولا يتصور إلّا السبق الزماني وأنا أمثل لك بالتقدم الدهري لعلك تتصوره ولو بعد حين .

بيان قدم وسبق الأنفس على الأرواح

فأقول : إنّ المحققين من أهل العلم والمعرفة ذهبوا إلى أنّ الأجسام قبل الأرواح في الزمان والأرواح قبل الأجسام في الدهر وبيانه يتوقف على ذكر مسألة ذكرها الرضا عليه السلام وهي أنه قال : (**إنّ الله خلق الحروف ـ إلى أن قال عليه السلام : والحروف لا تدل على غير أنفسها**) .

قال المأمون : كيف لا تدل على غير أنفسها ؟ .

قال الرضا عليه السلام : (**لأنّ الله تعالى لم يجمع لها منها شيئاً لغير معنًى أبداً فإذا ألف منها أربعة ، أو خمسة ، أو ستة ، أو أكثر من ذلك ، أو أقل لم يؤلّفها لغير معنًى ولم يكن إلّا لمعنى محدث لم يكن قبل ذلك شيء**)[1] الحديث .

(١) التوحيد : ٤٣٧، وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٥٥.

فأخبر عليه السلام بأنّ المعنى لم يكن قبل تأليف الحروف شيئاً فافهم هذا وتفهم به مثالي هو أني إذا قلتُ لك : قام زيد وأنت لم تعلم بقيامه إلّا من إخباري لم يحصل لك هذا المعنى إلّا بعد إخباري ، وإخباري لفظ سمعته أنت بأذنك لأنه من عالم الزمان سمعته الآن وفهمتَ معناه الذي ما حصل لك إلّا بعد إخباري إياك بعقلك ، وعقلك خلق في الدهر ومكانه المجرد قبل الزمان وقبل الأجسام بأربعة آلاف سنة وعقلك الآن هو هناك فقد فهمت معنى قولي بعقلك في رتبة عقلك .

ووقته قبل خلق السماوات بأربعة آلاف سنة فافهم كيف سمعتَ كلامي في الزمان قبل معناه وفهمتَ معناه قبل كلامي بأربعة آلاف سنة ، فتصور سبق الدهر ، لأنّ الدهر ظرف العقول والمعاني والأرواح والرقائق والنفوس والصور الجوهرية والأجسام والجسمانيات في الزمان ، وقد لوّح قول علي عليه السلام إلى هذا حين قال : (**الروح في الجسد كالمعنى في اللفظ**)(١) .

التسابق بين ما بالفعل وما بالقوة

بقينا في فائدة وهي أنّ ما بالفعل على مذهبنا تبعاً لمذهب أئمتنا عليهم السلام سابق في الكون على ما بالقوة ، لأنّ أول

---

(١) مستدرك سفينة البحار : ٤ / ٢١٧.

فائض من المبدأ الفياض ، وهو فعله عزّ وجلّ أقوى من الفائض الذي بعده وأشرف وهكذا كلّ سابق أقوى من لاحقه وأشرف .

ولا ريب أنّ ما بالفعل أقوى مما بالقوة وأشرف فيكون ما بالفعل سابقاً على ما بالقوة بالذات كحبّة الحنطة فإنها سابقة على السنبلة الخضراء والعود الأخضر ثم تغيب في العود الأخضر ثم تكون السنبلة ثم تعود الحبة وتظهر من غيبها مع أمثالها متكثرة بتكثّر قوابلها ، لأنّ أصلها وهي الحبة الواحدة وتكثرت المواد منها بحسب تكثر القوابل كتكثر الصور في المرايا المتعددة من صورة الوجه الواحدة واختلافها لاختلاف قوابلها أعني المرايا المختلفة كذلك الحبة والنفس .

فسبق النفس على البدن سبق دهري ، لأنّ وقتها قبل البدن هو عين وقتها بعد البدن .

بيان الآراء في التناسخ وبطلانه

وقوله : (من غير لزوم التناسخ) ، رد على من توهم أنها إذا كانت موجودة قبل الأبدان ثم انتقلت إلى البدن لزم التناسخ المجمع ، على أنّ القول به كفر .

والتناسخ انتقال الأرواح بعد مفارقة أبدانها إلى أبدان غيرها وافترق أهل هذا القول على أربعة مذاهب : النسوخية والمسوخية والفسوخية والرسوخية .

فالنسوخية بالنون جوّزوا تناسخ الأرواح من الآدمي إلى الآدمي ، ومن هؤلاء من أوجب التناسخ للنفوس الشقية وحدها حتى تكمل بالترداد من بدن إلى بدن فتتخلص من الجسد الكثيف وتلحق بعالمها .

والمُسوخية بالميم جوّزوا انتقالها من الآدمي إلى البهائم والسباع والطير ومنهم من جوّز أنّ السعيدة ترجع إلى حيوان شريف كالفرس .

والشقيّة ترجع إلى حيوان خسيس كالكلب والخنزير .

ومنهم من زعم أنها ترجع إلى حيوان يشاكلها بالطبع وبالعمل حتى إنّ روح القصّار ترجع إلى حيوان الماء وروح الصياد ترجع إلى جوارح الطير .

والفسوخية ـ بالفاء ـ أوجبوا انتقالها إلى جميع دواب الأرض من الحيات والعقارب والديدان وسائر الحشرات وربما يستشهدون على ذلك من كتاب الله بقوله تعالى : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾[1] .

وقوله : ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾[2] زعموا أنه تدخل روح جمل في دودة كانت في الصغر تدخل في سم الخياط الإبرة أي في ثقبها فتدخل الكافر الجنة .

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٣٨.
(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٤٠.

وربما استشهد لهم بما روي عن الصادق عليه السلام ما معناه أنه سئل عن الخنفس والحية والعقرب.

فقال عليه السلام: (**إن الله تعالى يقول: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾[1] أخرجوا من النار فقال الله لهم: كونوا نِشْنيشاً[2]**)[3] انتهى.

---

(١) سورة السجدة، الآية: ٢٦.

(٢) في بعض المصادر: ششاً، وفي بعضها: حنشاً، وفي بعضها: شيئاً.

(٣) عن محمد بن المثنى قال: حدثنا عبد المسلم بن سالم، عن ابن أبي البلاد، عن عمار بن عاصم السجستاني، قال: جئت إلى باب أبي عبد الله عليه السلام وأردت أن لا أستأذن عليه فأقعد، فأقول: لعله يراني بعض من يدخل، فيخبره، فيأذن لي، قال: فبينا أنا كذلك إذ دخل عليه شباب أدم في أزر وأردية ثم لم أرهم خرجوا، فخرج عيسى شلقان، فرآني، فقال: (**أبا عاصم! أنت هاهنا!؟**) فدخل، فاستأذن لي، فدخلت عليه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: (**مذ متى أنت هاهنا يا عمار؟**) قال: فقلت: من قبل أن يدخل إليك الشباب الأدم، ثم لم أرهم خرجوا، فقال أبو عبد الله: (**هؤلاء قوم من الجن جاؤوا يسألون عن أمر دينهم**). قال: فقلت: أخبرني عن الحية والعقرب والخنفس وما أشبه ذلك، قال: فقال: (**أما تقرأ كتاب الله؟**) قال: قلت: وما كل كتاب الله أعرف، فقال: (**أما تقرأ: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ قال: فقال: (هم أولئك أخرجوا من النار، فقيل لهم: كونوا نَشَشاً**). الأصول الستة عشر من الأصول الأولية، تحقيق ضياء الدين المحمودي: ٢٧٠ - ٢٧١، وبحار الأنوار: ٦٣ / ١٠٨ ح ٧٠ عن كتاب محمد بن المثنى وليس فيه ذيل الحديث.

والرسوخية ـ بالراء ـ جوّزوا انتقالها إلى نوع الشجر والنبات .

ومنهم من يعدّ لذلك بعض الأشجار كالغرس في الغرب وغيرها ، وكلها خباط وظلمات بعضها فوق بعض ، إن اللبيب بمثلها لا يخدع ، وقد صدق من قال : الناس كلهم أكياس فإذا جاؤوا إلى الأديان افتضح الأكثرون كذا في سراج العقول مع اختلاف قليل .

وأصحاب التناسخ يقال لهم : الخرمية ـ بضم الخاء المعجمة ـ ، وعلى ما ذهب إليه من تقدم كينونة النفوس قبل الأبدان توهّم بعض بأنه يلزم منه التناسخ وليس بصحيح ، لأنّ التناسخ إنما يلزم لو قلنا بأنها تنتقل إلى أبدان غريبة منها وأمّا إذا قلنا بأن البدن ظهورها وتنزّلها فلا يلزم ذلك ، على أنّ الذين حكموا بكفرهم لإنكارهم المعاد لا بقولهم بانتقالها من أجساد إلى أجساد .

رأي الشيخ الأوحد في تقدم النفس على الزمان

وقوله : (ولا استيعاب قدم النفس كما اشتهر عن أفلاطون) ، يعني أنّ كونها سابقة على البدن لا يوجب قدمها إذ على قوله من أنها زمانية يكون زمانها سابقاً على زمان البدن ، ولا محذور فيه والزمان كلّ ما فيه حادث .

وعلى قول غيره بتقدمها على الزمان كما هو الحق لا يلزمها

قدمها لأنها محدثة بتوسط العقل والمسبوق بالغير لا يكون قديماً .

ونقل عن أفلاطون[١] أنه قال : (إن النفوس كانت في عالم الذكر مغتبطة مبتهجة بعالمها وما فيه من الروح والبهجة والسرور فأهبطت إلى هذا العالم حتى تدرك الجزئيات وتستفيد ما ليس لها بذاته بواسطة القوى الحسية فسقطت رياشها قبل الهبوط وأهبطت حتى يستوي ريشها وتطير إلى عالمها بأجنحة مستفادة من هذا العالم)[٢] انتهى .

بيان المراد من عالم الذِّكر

وأراد بعالم الذكر العلم ، ويحتمل بعيداً أنه أراد بعالم الذكر اللوح المحفوظ فإن أراد الاحتمال الثاني فقد أصاب الحق .

وإن أراد بالعلم على الاحتمال الأول العلم الحادث ، فقد أصاب الحق إلّا أنّا قد قررنا أنّ العلم الحادث على قسمين : علم إمكاني راجح الوجود ، وهو عين معلومه .

وعلم كوني ، وهو أيضاً عندنا عين معلومه ، وهما علمان

---

(١) هو أحد حكماء اليونان واسمه أرسطو قليس بن أرسطون ، ولقب بأفلاطون لعموم نفعه ، ولد سنة ٤٢٧ وتوفي سنة ٣٤٧ قبل الميلاد ، له عدة تآليف منها : العقل ، والربوبية .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني : ٢ / ٩٢ .

إشراقيان حضوريان حصوليان ، لأنّ المعلوم في رتبة حصوله ووقته حاضر عند العالم بما هو به هو وهذا معنى لا يذهب إليه المصنف ، ولا أفلاطون .

إن أراد بالذكر العلم الذي هو الذات كما يذهبون إليه من الأعيان الثابتة بمعنى أنها لا موجودة ، ولا معدومة بل ثابتة فقد أخطأ الحق إذِ الذات ليس فيها شيء غيرها لا في الذهن ، ولا في الخارج ، ولا في نفس الأمر ، وإنما أسقط الله رياشها لأنه نُقل (**أنه تعالى لمّا خلقها قال لها : من أنا ؟**

فقالت : فمن أنا ؟ فأركسها في بحر الرجوع الباطن حتى وصلت إلى نشأتها وخلصت عن رذائل دعوى الإنيّة فقال لها : من أنا ؟ .

قالت : أنت الله الواحد القهار فلهذا قال : اقتلوا أنفسكم فإنها لا تنال مقاماتها إلّا بالقتل) انتهى .

بيان معنى سقوط ريش النفس

ومعنى سقوط ريشها أنها كانت في حال تجردها تتصرف فيما لها كيف شاءت بلا تكلف فلكراهة أن تدّعي الربوبية أهبطت إلى هذا البدن وحبست في هذا السجن الضيق بعد مكانها الواسع الفسيح فإذا استفادت ما ليس لها إلى ما لها حدثت لها أجنحة ملكيّة وريش ملكوتي فطارت في العالم الملكوتي بالطول ، وفي

العالم الملكي بالعرض ، وإلى هذا المعنى أشار ابن سينا[(١)] في أبياته التي في الروح في قوله :

إن كَانَ أَهبَطَهَا الإِلَهُ لِحِكمَة طُوِيَت عَن الفَطِنِ اللَّبِيبِ الأروَعِ
فَهُبُوطُهَا لا شَكَّ ضَربَةُ لازِب لِتَكُونَ سَامِعَةً بِمَا لَم يُسمَع
وَتَكُونَ عَالِمَةً بِكُلِّ خَفيَّة فِي العَالَمَيْنِ فَخَرقُهَا لَم يُرقَعِ[(٢)]

تقدم النفس على الأبدان لا يمنع من تعددها

وقوله : (ولا تعدّد أفراد نوع واحد وامتيازها من غير مادة واستعداد) ، يريد به أنّ النفس مجردة فلو كانت سابقة على البدن مع تساوي ما في الأبدان في الحقيقة ، ولا يصح تعددها ، لأنّ

---

(١) هو الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا البلخي ، ثم البخاري ، ويلقب بالشيخ الرئيس (أبو علي) فيلسوف ، طبيب ، شاعر ، مشارك في أنواع من العلوم .
ولد بخرميشن من قرى بخارى في صفر (٣٧٠ هـ ـ ٩٨٠ م) ، وتوفي بهمذان في رمضان سنة (٤٢٨ هـ ـ ١٠٣٧ م) .
وفي الكامل لابن الأثير : مات بأصبهان في شعبان .
من تصانيفه الكثيرة : القانون في الطب ، تقاسيم الحكمة ، لسان العرب في اللغة ، الموجز الكبير في المنطق ، وديوان شعر .
انظر معجم المؤلفين لعمر كحالة : ٤ / ١٩ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٩ / ١٥٧ .

(٢) عيون الأنبياء في طبقات الأطباء : ٤٤٦ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان : ٢ / ١٦١ .

التعدد في متحد الحقيقة إنما يكون بالمميزات وحصولها في البسائط يلزم منها التركيب المنافي للتجرد لكانت تلك الحقيقة نوعاً لتلك الأفراد المتعددة ولزم تعدد أفرادها والتعدد يمتنع في الشيء الذي لا مادة له ، ولا استعداد لزيادة ، أو نقصان كما هو شأن المجردات وعدم التعدد مناف للواقع .

فأجاب بأن تقدمها على الأجسام والأبدان لا يلزم منه ذلك المحذور ، وهو كما قال : أما عنده فلأنها مادية الأصل ، كما تقدم ولكنها تتقلب في أطوارها حتى تلحق بمراتب العقول فتكون عقلاً وتقلّبها في أطوارها هو تقلبها في الأبدان المادية وعودها عقولاً مجردة طارئ[1] على أصلها ، وقد بيّنا بطلان هذه المعاني التي عناها سابقاً .

وأمّا عندنا فلا نريد بالمجرد عن مطلق المادة إلّا الواجب الحق عزّ وجلّ ، وكلّ ما سوى الذات القديم تعالى فهو ليس بمجرد عن مطلق المادة بل ما هو غير الذات البحت تعالى فهو محدث ، وكلّ محدث فإنما خلق من مادة وصورة محدثتَين مخترعتَيْن لا من شيء ، نعم المادة لا تنحصر في العناصر بل تكون مادة عنصرية للحوادث التي في الأرض وما عليها وما تحتها ، ومادة طبيعية للأفلاك والكواكب وملائكتها ، ومادة

---

(١) في نسخة : طار .

برزخية لهورقليا[١] وجابلقا وجابرسا ، ومن فيها ومادة جوهرية للنفوس ومادة نورانية للعقول ومادة سرية لعالم الأمر ومادة عرضية للأعراض والصفات ، فمادة كلّ شيء بحسبه وكذلك المميزات فإنها في كلّ رتبة من مراتب الممكنات الراجحة والمتساوية من نوع هيئات تلك الرتبة فالنفس مجردة عن المادة العنصرية والمدة الزمانية لا أنها مجردة عن مطلق المادة ومميزاتها من نوع هيئاتها فتكون سابقة على الأجسام .

ولا يلزم تعدد أفراد نوع واحد من غير مادة واستعداد بل تتعدد أفراد نوعها لوجود المادة الجوهرية والاستعداد والمميزات الجوهرانية ، ولا نقول إنها نشأت من المواضع الطبيعية بل كما قال ابن سينا في أبياته :

---

(١) قال المصنف في الجزء الأول من شرح العرشية : (وجسم برزخي : وهو جسم مقداري له طول وعرض وعمق بلا مادة هو الجسم المثالي الظلّي الشبحي ، وهو الذي يسمونه التعليمي ، وهو الذي يسمون عالمه العلوي بـ (هورقليا) ، يعني ملكاً آخر وعالمه السفلي بجابلقا وجابرسا الشرقية والغربية) انتهى . وقال في : وقوله : (بل وجودها) ، يعني القوة الخيالية (في عالم آخر) ، وهو عالم البرزخ بين المجردات والأجسام المادية (يحذو حذو هذا العالم) ، يعني على هيئة تركيبه من الأبعاد والألوان والروائح والأصوات وسائر الكيفيات (في كونه مشتملاً على أفلاك) ، وتسمى تلك الأفلاك هورقليا يعني ملكاً آخر أي : عالم ملك غير عالم ملك الماديات العنصرية) انتهى . وقيل : عالم هورقليا هو عالم الأفلاك المثالي أو سماواته ، وقيل : هو ما يقابل عالم المثال ، انظر المبدأ والمعاد للشيرازي : ٥٢٢ .

هَبَطتُ إلَيكَ مِن المَحَلِ الأرفَعْ ورقاءُ ذَاتِ تَعَزُز وَتَمَنُّعِ[(١)]

سبق النفس على البدن لا يلزم منه انقسامها

وقوله : (ولا صيرورة النفس منقسمة بعد وحدتها كالمقادير المتصلة) ؛ يريد به أنه لا يلزم من سبقها على الأبدان مع وحدتها في نفسها قبل خلق الأبدان وتعددها كونها منقسمة بعد تعلقها بالأبدان المتعددة كانقسام المقادير المتصلة كالأجسام ، فيكون كلّ بدن تعلق به جزء غير الجزء الذي تعلق بالبدن الآخر ، وهو كما قال : بل انقسامها انقسام النوع إلى أفراده الجزئية كما سمعتَ .

وقوله : (بل كما بيّنا دليله ، . . . إلخ) ، نقول عليه بل كما بيّنا دليله .

وقوله : (وإليه الإشارة في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ . . . ﴾ ، إلى آخر الآية) ، يريد به أن كون النفس لها كينونة قبل الأبدان يشير إليه قوله تعالى فإن قوله : ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾[(٢)] ، دليل عليِ اعترافهم جميعاً قبل إنكارهم في هذه الدنيا بقرينة قوله : ﴿ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ

(١) تاريخ الإسلام : ٢٩ / ٢٣٠، الوافي بالوفيات : ١٢ / ٢٥٢، وأعيان الشيعة : ٢ / ٣٣١.

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢ .

﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ﴾[١] الآية ، وبقرينة قوله تعالى في الإخبار عن حال المنكرين في هذه الدار : ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾[٢] .

تعدد عالم الذرّ في موضعين

وهنا فائدة أحب أن تتطلع عليها على جهة الاختصار والإشارة :

اعلم أنّ الواقعة التي أقام عليها عباده تعالى لتكليفهم بما فيه نجاتهم في عالم الذر حين كلّف الأرواح كان ذلك في موضعين :

١ ـ عند الركن العراقي بالكعبة

الموضع الأول : جمعهم عند الركن العراقي من الكعبة المشرفة والخلائق حصص مواد متميزة غير مصورة وجعل فيهم التمييز والاختيار متساوين في جهة التكليف فيهما كما قال تعالى : ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾[٣] ليجرى التكليف على الاختيار : ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾[٤] ثم كشف لهم عن علّيّين كتاب الأبرار من نفس فلك

---

(١) سورة الأعراف ، الآيتان : ١٧٢ ـ ١٧٣ .

(٢) سورة يونس ، الآية : ٧٤.

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢١٣.

(٤) سورة الأنفال ، الآية : ٤٢.

البروج وقال لهم : (**يا عبادي هذه صور طاعتي من أجابني وأطاعني ألبسته صورة إجابته منها**) .

ثم كشف لهم عن سجّين كتاب الفجار من نفس الصخرة التي تحت الأرضين السبع وقال لهم : (**يا عبادي هذه صور معصيتي من لم يجبني وعصاني ألبسته صورة معصيته منها** ﴿ وَمَآ أَنَاْ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾[1]) .

ثم قال لهم : (**ألست بربكم ومحمد نبيكم ؟**) .

قالوا : بلى ، بأجمعهم إلّا أنّ إجابتهم مختلفة في مقاصدهم فالمؤمنون قالوا بلى بألسنتهم وقلوبهم فخلقهم بصور الإسلام ظاهراً وباطناً .

والمنافقون والكفار قالوا بلى عند قوله : ﴿ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ ﴾[2] بألسنتهم .

وعند قوله : (ومحمد نبيكم) قالوا : بلى ، متوقفين منتظرين يعني بمعنى سكنوا فخلقهم بصور الإسلام ظاهراً ولم يخلق بواطنهم لأنهم لم يقولوا بلى بقلوبهم ، وإنما قالوا : بلى ، على جهة الوقف فوقف تعالى كما وقفوا وإليه الإشارة بقوله في التأويل : ﴿ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾[3] .

---

(١) سورة ق ، الآية : ٢٩.
(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢ .
(٣) سورة هود ، الآية : ١٢٢ .

٢ ـ في غدير خمّ

ثم جمعهم أيضاً في عالم الذر مرة ثانية في الموضع الثاني في غدير خم[١] من الذر الأول فقال لهم : (**ألست بربكم ومحمد نبيكم وعلي وليكم وإمامكم والأئمة من ولده أئمتكم ؟**) .

فقال المؤمنون : بلى ، بألسنتهم وقلوبهم فخلقهم الله بصورة إجابتهم صورة الإيمان ظاهراً وباطناً[٢] .

---

(١) في نسخة زيادة : لأخذ ميثاق الولاية .

(٢) عن حمران ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : (**إنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ حيث خلق الخلق خلق ماءً عذباً ، وماءً مالحاً أُجاجاً فامتزج الماءان ، وأخذ طيناً من أديم الأرض فعركه عركاً شديداً . فقال لأصحاب اليمين وهم كالذرّ يدبّون : إلى الجنّة بسلام ، وقال لأصحاب الشمال : إلى النار ولا أُبالي ، ثم قال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] . ثم أخذ الميثاق على النبيّين ، فقال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ وأنّ هذا محمّد رسولي ، وأنّ هذا عليّ أمير المؤمنين ؟ ﴿ بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾ ، فثبتت لهم النبوّة . وأخذ الميثاق على أُولي العزم أنّني ربّكم ، ومحمّد رسولي ، وعليّ أمير المؤمنين وأوصياؤه عليهم السلام من بعده ولاة أمري ، وخزّان علمي ، وأنّ المهديّ أنتصر به لديني ، وأُظهر به دولتي ، وأنتقم به من أعدائي ، وأُعبد به طوعاً وكرهاً . قالوا : أقررنا يا ربّ وشهدنا**) انظر الكافي : ٢ / ٨ ح ١ ، ومختصر البصائر : ١٥٥ ، وتفسير نور الثقلين : ٢ / ٩٥ ح ٣٤٤ . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : (**أنت الذي احتجّ الله بك في ابتداعه الخلق حيث أقامهم أشباحاً ، فقال لهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ! وقال : محمد رسولكم ؟ قالوا : بلى** . =

وقال المنافقون والكفار : بلى بألسنتهم مستهزئين منكرين جاحدين فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وآله : ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾[١] ، وأنـــزل : ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[٢] ، فتمّت كلمته وبلغت حجته : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[٣] .

وكثير من علمائنا كالعلامة[٤] والسيد المرتضى[٥] وغيرهما

= **قال : وعلي أمير المؤمنين ؟ فأبى الخلق جميعاً إلّا استكباراً وعتوّاً عن ولايتك إلّا نفر قليل وهم أقل القليل وهم أصحاب اليمين)** أمالي الصدوق : ٢٣٣ ح ٤١٢ .

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٥ .

(٢) سورة النمل ، الآية : ١٤ .

(٣) سورة فصلت ، الآية : ٤٦ .

(٤) هو العلامة الشيخ جمال الدين أبو منصور الحسن بن سديد الدين يوسف بن زين الدين علي بن محمد بن مطهر الحلي .
ولد في عشر شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وست مئة (٦٤٨ هـ) .
توفي في يوم السبت ٢١ محرم سنة ٧٢٦ هـ .

(٥) هو السيد علم الهدى أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى ابن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام .
ولد السيد المرتضى في رجب سنة ٣٥٥ .
وعاصر من الخلفاء المطيع سنة ٣٣٤ هـ ثم الطائع سنة ٣٦٣ ثم القادر سنة ٣٨١ ثم ابنه القائم .
وتوفي السيد المرتضى في ٢٥ ربيع الأول سنة ٤٣٦ ودفن في داره ثم نقل إلى المشهد الحسيني عليه السلام .

أنكروا عالم الذر وقالوا : إنّ التكليف المذكور في الآية إنما هو التكليف في هذه الدنيا بدليل قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ ، ولم يقل : من آدم وقال : ﴿ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ، ولم يقل : من ظهره ذريته .

وأيضاً قالوا : من المستبعد أن يكلّف ما هو كالذر .

رأي الشيخ الأوحد في عالم الذرّ

والحق أنّ التكليف في الآية سابق على هذه الدنيا سبقاً دهرياً ، وإن كانت هذه الدنيا سابقة سبقاً زمانياً .

وأمّا قوله تعالى : ﴿ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾(١) فإن للأرواح والنفوس توالداً كتوالد الأبدان فأخذ تعالى كلّ نسمة من صلب أبيه ونثرهم بين يديه كما تأخذ بخيالك ألف رجل كلّ واحد من صلب أبيه وأباه من صلب أبيه وهكذا إلّا أنك لا تقدر على إبراز ما في خيالك في الخارج ، وهو أخذهم هكذا بفعله وأقامهم في الخارج وكلفهم ثم رجعهم في أصلاب آبائهم إلّا عيسى المسيح عليه السلام فإنه مسح على ظهر آدم عليه السلام وأخرج منه المسيح ولمّا كلفه لم يردّه في صلب آدم عليه السلام بل بقي على حكم المسح الأول فلذا سمي المسيح كما روي عنهم عليهم السلام .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢ .

وأمّا استبعاد تكليف ما هو كالذر فغلط لوجهين :

بيان أن الذرّ وما دونه مكلّف

الأول : أنّ الذر وما هو أصغر منه دلّ الكتاب والسنّة على أنه مكلف كقوله تعالى : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾(١) ، فقد دلّ الكتاب على أنّ كلّ ذي روح في الأرض مكلف وأنه يحشر ويحاسب بأعماله .

وكذا قوله : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ﴾(٢) ، والتسبيح فرع التكليف .

وأمّا السنّة فمشحونة من ذلك .

الثاني : أنّ المراد بقوله كالذر هو الكناية عن صغرهم بالنسبة إلى فسحة عالم التكليف .

ومثاله : أنك ترى الرجل والجمل الذي تحت الجبل كالذرة والجبل إذا نسبته إلى كرة الأرض كان كالذرة وأصغر ، والأرض على ما ذكره بعض علماء الهيئة قدر جزء من خمسة عشر جزءاً من السّها النجم الذي عند الوسطى من الثلاث من بنات نعش .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٣٨.

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٤٤.

والسّها أخفى من أكثر النجوم ، فهو كالذرة فكون المكلفين كالذر لعظم ذلك المكان وسعته وإلّا فهم على هيئتهم في الدنيا وأشد تمييزاً منهم في الدنيا .

بيان تقدم الأرواح على الأبدان

وقوله صلى الله عليه وآله : (**الأرواح جنود مجندة . . .**) الحديث[1] ، لا دلالة فيه على تقدمه على الأبدان ، وإنما المراد أنها بنسبة بعضها إلى بعض عالم متجانس ومتنوع كما أنّ الأبدان كذلك ، وقد ذكرنا في الفوائد وشرحها كيفية تعارف الأرواح وتناكرها وتخالفها وتماثلها ، نعم فيه تلويح إلى التقدم إلّا أنه لا يقطع حجة الخصم .

بيان كيفية خلق الله محمد وآل محمد من نور عظمته تعالى

وقوله : (**وعن أبي عبد الله عليه السلام : إنّ الله خلقنا من نور عظمته ثم صوّر خلقنا من طينة مكنونة تحت العرش فأسكن ذلك النور فيه فكنا نحن خلقاً وبشراً نورانيين ولم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً ، وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا**)[2] انتهى .

---

(١) الأمالي للصدوق : ٢٠٩ ح ٢٣٢، ومن لا يحضره الفقيه : ٤ / ٣٨٠ ح ٥٨١٨.

(٢) الكافي : ١ / ٣٨٩ ح ٢، والمحتضر : ٢٨٣ ح ٣٧٦.

فاعلم أنّ بيان هذا ليس على ظاهر لفظه ، والاستدلال على البيان جلّه من الأحاديث المتكثّرة المتفرقة ، ولا يمنعنا من الإيراد إلّا طول الكلام ولكن أشير لك إلى معنًى من معانيه مجرداً عن الأدلة فقوله عليه السلام : (**من نور عظمته**) المراد بالنور هنا هو الماء ، وهو الوجود ، وهو مادتهم عليهم السلام ، وليس المراد به الشعاع إذا أريد بالعظمة المفعولية أعني الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله لأنهم عليهم السلام منه كالضوء من الضوء لا كالنور من الضوء(١) .

وإن أريد بالعظمة الفعلية احتمل كون المراد بالنور الشعاع بمعنى متعلق الفعل فإنّ الحدث أعني الضرْب بسكون الراء ناش من فعل زيد أعني ضرب بفتح الراء ، لأنّ الحدث تأكيد الفعل مثل ضَربْتُ ضرْباً ، ولا يصح أن يُراد من العظمة الأزلية ، لأنّ الأزل لا يخرج منه شيء ، ولا يدخله شيء ، ولا يخلق منه شيء .

---

(١) بحار الأنوار ٣٨/ ٧٩ ـ ٨٢، ومعاني الأخبار : ٣٥٠ ـ ٣٥٢، وغاية المرام : ١ / ٣٤ باب ٢ ح ١ ، وأمالي الصدوق : ٤١٥ مجلس ٧٧ ح ١٠ والطرائف لابن طاوس : ٥١٩، والخصائص الفاطمية : ٢ / ٦٠٩، واللّمعة البيضاء : ٦٤ .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : (**والله ما قلعت باب خيبر ورميت به خلف ظهري أربعين ذراعاً ؛ بقوة جسدية ولا حركة غذائية ، لكن أيدت بقوة ملكوتية ونفس بنور ربها مضيئة ، وأنا من أحمد كالضوء من الضوء**) أمالي الصدوق : ٤١٥ مجلس ٧٧ ح ١٠ .

وقوله عليه السلام : (**ثم صوّر خلقنا**) أي صورتنا أعني هيكل التوحيد الذي حدوده غايات الخيرات والطاعات من المعارف والعلوم والأعمال والحدود هي الطينة أعني الصورة وهي صورة القابلية .

وكانت تلك الهيئات الشريفة مكنونة تحت العرش الفعلي ، أو المفعولي فإن أريد بالعرش الفعلي كان المعنى أنه تعالى صوّر صورنا على هيئة فعله ومشيّته وإرادته كما يصوّر الكاتب الكتابة على هيئة حركة يده .

وإن أريد به المفعولي ، كان المعنى أنه تعالى صوّر صورنا على هيئة صورة نبيه محمد صلى الله عليه وآله ، وهو سرّ التحتية فأسكن ذلك النور فيه يعني أسكن تلك المادة في تلك الصورة بمعنى أنه أُلبس تلك المادة التي هي النور تلك الصورة التي هي الطينة ، لأنّ الطينة التي هي منشأ الحسن والقبح هي الصورة كما مثّلنا في السرير الطيب والصنم الخبيث كلاهما من الخشب .

فقوله عليه السلام : (**فكنا نحن خلقاً وبشراً نورانيين**) ، (البشر) عبارة عن الخلق العنصري الجسمي فإن جعلنا الفاء في فكنّا للتفريع لم يكن في ظاهر الحديث دلالة على المدّعى لكون الظاهر أنّ المراد بالنور المادة الطبيعية الجسمانية ، والطينة الصورة الإنسانية البشرية لقرينة قوله : (**فكنّا نحن خلقاً وبشراً**)

فإنه مقتضى التفريع ولقرينة قوله : (**وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا**) فقد نطقت الأخبار عنهم عليهم السلام (**إن الله خلق قلوب شيعتهم من فاضل أجسامهم**) والمراد من الفاضل هنا الشعاع .

وإن أريد بالفاء الاستئناف أمكن الاستدلال به على المدّعى هذا كلّه على رأي الغير .

وأمّا عندنا فهو ظاهر في المدّعى ، لأنّ مادّتهم عليهم السلام سابقة على جميع المكونات سبقاً سرمدياً على إرادة التفريع والاستئناف .

وما رواه ابن بابويه في كتابه التوحيد[1] عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : (**إنّ الله عزّ وجلّ خلق المؤمنين من طينة الجنان**)[2] أعني من صوّر علّيين أي : صوّرهم بصور الإجابة والطاعة كما تقدم (**وأجرى صورهم**) أي الصور الجوهرية (**من ريح الجنة**) وهي الروح المنفوخة في تلك الطينة وهي المادة

---

(١) هو للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه المشتهر بالصدوق .
ولد بدعاء الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه بقم المقدسة بعد سنة ٣٠٥ هـ .
توفي بالري سنة ٣٨١ هـ ودفن فيها قرب السيد عبد العظيم الحسني .

(٢) محاسن البرقي : ١ / ١٣٣ ح ١٠ باب خلق المؤمن من طينة الجنان ، وأصول الكافي للكليني : ٢ / ١٦٦ ح ٢.

النورية المعبر عنها بالصور ، لأنّ الأرواح والنفوس صور جوهرية .

ومعنى الحديث الثاني مثله .

بيان أُخوّة المؤمنين واتصال أرواحهم

وما روي عن أبي عبد الله عليه السلام : (**المؤمن أخو المؤمن . . . لأنّ أرواحهما من روح الله**)[١] ، يعني أنّ المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمّه كما روي عن الصادق عليه السلام : (**إن الله خلق المؤمنين من نوره وصبغهم في رحمته فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه ، أبوه النور وأمّه الرحمة**)[٢] الحديث .

والمراد بقوله عليه السلام : (**أبوه النور**) أي : المادة (**وأمّه**

---

(١) قال عليه السلام : (**المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد ، إن اشتكى شيءٌ منه وجد ألم ذلك في سائر جسده ، وأرواحهما من روح واحدة ، وإن روح المؤمن لأشدّ اتّصالاً بروح الله عزّ وجلّ من اتّصال شعاع الشمس بها**) أُصول الكافي : ٢ / ١٦٦ ح ٤ ، والاختصاص : ٣٢ ، وبحار الأنوار : ٧١ / ٢٧٧ باب ١٧ ح ٩ .

(٢) قال الإمام الصّادق عليه السلام لسليمان : (**يا سُلَيْمانِ إنّ الله تعالى خلق المؤمنين من نوره وصبغهم في رحمته وأخذ ميثاقهم لنا بالولاية ولعليّ أمير المؤمنين فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه أبوهُ النور وأمّه الرحمة ، وإنّ المؤمن ينظر بنور الله الذي خُلق منه**) بصائر الدرجات : ١٠٠ باب ١٢ ح ١ ـ ٢ ، وبحار الأنوار : ٦٤ / ٧٥ ح ٦ ، وتفسير الصافي للفيض الكاشاني : ٥ / ٥١ ، ومحاسن البرقي : ١ / ١٣١ ح ١ ، وميزان الحكمة : ٣ / ٢٣٩٥ .

الرحمة) أي : الصورة وهذا بخلاف ما اشتهر عن الحكماء من أنّ الأب هو الصورة والأم هي المادة وهذا غلط لأنه قال عليه السلام : (**السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه ، الخ**)(١) انتهى ، ولا يصح أن تكون السعادة والشقاوة في المادة ، وإنما تكون في الصورة كما مثلنا بالسرير والصنم المعمولين من الخشب .

بيان أنّ أرواح المؤمنين من روح الله تعالى

وقوله عليه السلام : (**إنّ أرواحهما من روح الله**) على حدّ قوله تعالى : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾(٢) ، لأنّ المعنى روح الله تعالى خلقها وقدّسها ونسبها إليه تعظيماً لها وتشريفاً وهي روحهم عليهم السلام .

ومعنى أنّ المؤمن ينفخ فيه من روحهم عليهم السلام أنه يخلق من شعاع روحهم عليهم السلام ، لا أنّ روح المؤمن جزء من روحهم عليهم السلام ، وإنما روح المؤمن من شعاع أرواحهم عليهم السلام .

ومثاله : أنّ روحهم عليهم السلام كجرم الشمس المنير ، وهو

---

(١) شرح أصول الكافي : ١ / ٢٣٣، وشرح الأسماء الحسنى : ١ / ٢٦٢، وكتاب الزهد للكوفي : ١٤، وميزان الحكمة : ٢ / ١٤٧٨ .

(٢) سورة الحجر ، الآية : ٢٩، وسورة ص ، الآية : ٧٢.

في السماء الرابعة وشعاعها الذي في الأرض مثل لأرواح الأنبياء من روحهم عليهم السلام وإذا وضعت مرآة في شعاع الشمس الذي في الأرض انعكس عنها نور وهذا المنعكس مثال لروح المؤمن من شعاع روحهم عليهم السلام أي : شعاع الشعاع .

وقوله : (**وإنّ روح المؤمن أشد اتصالاً بروح الله من اتصال الشمس بالشعاع**)(١) ، في ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام ما معناه : (**وإن شيعتنا لأشد اتصالاً بنا من شعاع الشمس بها ، وإنا لأشد اتصالاً بالله من شعاع الشمس بها**) ومعنى هذا الاتصال في الحديثين واحد .

والمراد باتصال شيعتهم بهم ما أشرنا إليه من الخلق من الشعاع .

والمراد باتصالهم بالله اتصالهم بفعله ومشيّته وإرادته فاتصالهم بمشيّته في المواد الكونية الأصلية وبإرادته في الصور العينية .

ووجه الأشدية مع أنّ الشعاع والشمس ضربه الله تعالى مثلاً وآية لأولي الألباب فليس فيه نقص بوجه ما هو أنّ الشمس وشعاعها أمثال وآيات وهي صفات استدلال وتعريف ، وهم عليهم السلام وشيعتهم ذوات وموصوفون والحكم في الموصوف أقوى وأشد من الحكم في الصفة .

---

(١) مصادقة الإخوان للصدوق : ٤٨ ح ٢ .

بيان الخلاف في تقدم الأرواح على الأبدان

وقوله : (والروايات في هذا الباب من طريق أصحابنا) ، إلى قوله : (من ضروريات مذهب الإمامية رضي الله عنهم) ، ليس بمتجّه بل الخلاف بين العلماء من الفريقين مشهور ، نعم الروايات ظاهرة في كينونة الأرواح قبل الأجساد إلّا أنها قبلية دهرية كما قلنا .

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث
- الفهرس الموضوعي
- فهرس المحتويات

فهرس الآيات القرآنية

الآية	الرقم	الصفحة
سورة البقرة		
- ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾	١٥	٣٨٨
- ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾	٣١	٣٩ ، ٤٢
- ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾	١١٥	٤٧
- ﴿ يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾	١١٧	٧٠ ، ٧١
- ﴿ كُن ﴾	١١٧	٥١
- ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾	١٤٨	٨٢ ، ٩٧
- ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾	٢١٣	٣٨٥
- ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾	٢٥٥	٣٣٢
سورة آل عمران		
- ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾	٩	١٢٧

سورة النساء

- ﴿ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ ١٥٥ ٤٥

سورة المائدة

- ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ٥٤ ٢٦٢
- ﴿ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ ٧٧ ٥٤
- ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴾ ١١٦ ٤٣

سورة الأنعام

- ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ ٣٨ ٣٧٦
- ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ ٣٨ ٣٩٠
- ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ ٥٩ ٣٩ ، ٥٣

- ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾	٧٣	٥١
- ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾	١٢٤	٢٨٢
- ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ﴾	١٣٩	٣٥٩

سورة الأعراف

- ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾	٢٩	٢٧٣
- ﴿ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾	٤٠	٣٧٦
- ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾	١٧٢	٢٥٢
- ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾	١٧٢	٢٢٣ ، ٢٢٥ ٢٨١ ، ٣٨٦
- ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾	١٧٢	٣٧١
- ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾	١٧٢	٣٨٤
- ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾	١٧٢	٣٨٩
- ﴿ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا ﴾	١٧٢ ، ١٧٣	٣٨٥
- ﴿ وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾	١٧٩	٣٠٠ ، ٣٢٣
- ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾	١٨٠	٣٩ ، ٤٠

- ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ ﴾ ١٨٠ ٤٦

سورة الأنفال

- ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ ﴾ ٤٢ ٣٨٥

سورة التوبة

- ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ ﴾ ١١ ١٧١
- ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ ﴾ ١١٥ ٤٥

سورة يونس

- ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ ٦١ ٢٢
- ﴿ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ ﴾ ٧٤ ٣٨٥

سورة هود

- ﴿ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ ١٢٢ ٣٨٦

سورة يوسف

- ﴿ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾	٣٩	١٢٣

سورة الرعد

- ﴿ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ﴾	٤	٩٢
- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾	٣١	١٢٧
- ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾	٣٩	٢٢٨

سورة إبراهيم

- ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾	٤	٩٥
- ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾	١٩	١١٨ ، ١٢٢
- ﴿ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾	٤٨	١٢٣

سورة الحجر

- ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾	٢١	١٠٥ ، ١٤٢ ، ١٥٦ ، ٢٢٥ ، ٣٣٤
- ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾	٢٩	١٦٧ ، ٣٩٦
- ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٧٧	٣٧٠

سورة النحل

- ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ﴾	٦٠	٤٦
- ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ﴾	٩٦	١٦٤ ، ٢٠٠

سورة الإسراء

- ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ﴾	٤٤	٨٥ ، ٢٩٧ ، ٣٥٥ ، ٣٩٠
- ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾	٨٥	٢٤٧
- ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾	٨٥	٢٧٦
- ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾	١١٠	٤٨

سورة مريم

- ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾	٤٠	١١٨ ، ١٢٢
- ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا (٦١) لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٦٢)﴾	٦١ ، ٦٢	٢١٩

- ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾	٦٣	٢١٩

سورة طه

- ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾	١١٤	١٢٢ ، ٢٦٩

سورة الأنبياء

- ﴿ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾	١٨	٣٥٩
- ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾	١٩ ، ٢٠	٢٨٠
- ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾	٢٣	٩٨
- ﴿ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾	٢٦ ، ٢٧	١٩٢
- ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾	٣٣	٨٥
- ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ ﴾	٤٤	١٠٤ ، ٢٥٠ ، ٣٤٩
- ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ		

مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾	٩٤	٦٧
- ﴿ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴾	١٠٦	٣٢٦ ، ٣٣٢ ، ٣٦٤

سورة الحج

- ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾	٧٨	١٩٤

سورة الفرقان

- ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ﴾	٢٠	٢١٧

سورة النمل

- ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾	١٤	٣٨٨
- ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾	٨٨	١١٧ ، ١١٨ ، ١٢١
- ﴿ وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍ ﴾	٩١	٤١

سورة العنكبوت

- ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾	٤٣	١٢٦ ، ٣٣٢

سورة الروم

- ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ

يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	٤٠	٤٢

سورة لقمان

- ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾	٢٨	٩١ ، ١٤٧ ، ٢٠٢

سورة السجدة

- ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾	٢٦	٣٧٧

سورة الأحزاب

- ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾	٤	١٥
- ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾	٤٦	٢٨٢

سورة سبأ

- ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٣	٢١

سورة فاطر

- ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ ١٦ ١٢٢
- ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ ٣٤ ١٦١

سورة يس

- ﴿ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ ٦٨ ١٨٦

سورة الصافات

- ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٢) وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (١٣) وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (١٤) ﴾ ١٢ ـ ١٤ ١٦٠

سورة ص

- ﴿ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴾ ٧ ١٥٨
- ﴿ صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ ٣٨ ٢٤٠
- ﴿ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ ٦٥ ١٢٣
- ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ ٧٢ ١٦٧ ، ٣٩٦

سورة غافر

- ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾ ١٦ ١٢٣
- ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ﴾ ٤٦ ٢١٩

سورة الزمر

- ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ ٦٧ ١١٨

سورة فصلت

- ﴿ وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ ١١ ٨٥ ، ٣٥٠
- ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ ٤٦ ٤٦ ، ٣٨٨
- ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ ٥٣ ١٢٦ ، ٢٢٠ ، ٣١٧ ، ٣٥١

سورة محمد

- ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ﴾ ٣٠ ١٢٨

سورة ق

- ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعُۢ بَعِيدٌ ﴾ ٣ ٢٣
- ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴾ ٤ ٢٣ ، ١٢٩
- ﴿ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ ١٥ ١١٨ ، ١١٩
- ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ ٢٩ ٣٨٦
- ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ ٣٧ ١٨٦

سورة الذاريات

- ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ ٢١ ٢٢٠ ، ٣٥١
- ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ﴾ ٤٩ ٦٢ ، ١٠٦

سورة النجم

- ﴿قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾ ٩ ١٨٣

سورة القمر

- ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ ٥٠ ٩١ ، ١٤٧

سورة الرحمن

- ﴿وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٞ﴾ ١٠ ، ١١ ١٠٤
- ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴿٢٦﴾ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ ٢٦ ، ٢٧ ١١٨ ، ١٢١

سورة الواقعة

- ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ ٦٠ ، ٦١ ١١٨
- ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ وَنُنشِئَكُمۡ﴾ ٦١ ١١٩

سورة الحديد

- ﴿ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ ١٣ ٤٢ ، ٢٦٣

سورة الملك

- ﴿ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ ٣ ١٦
- ﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾ ٣ ١٨٩ ، ٢٠٢
- ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ ١٤ ٢٢

سورة القلم

- ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ ٤ ٢٨٢

سورة نوح

- ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾ ١٦ ٣٣٥ ، ٣٤٩

سورة المدثر

- ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ ٣١ ٣٤٨ ، ٣٥٧

سورة النازعات

- ﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤ ﴾ ١٣ ، ١٤ ٢٣٨ ، ٢٥٥

سورة عبس

- ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ ﴾	٢٤ ـ ٢٩	١٠٤

سورة التكوير

- ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾	٢٤	٧٢

سورة الانفطار

- ﴿ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴾	٢	٢٢٠
- ﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾	٨	٢٤٠

سورة المطففين

- ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ﴾	٧ ـ ١٠	٣٧٠

سورة الانشقاق

- ﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴾	٩	٣٦٤ ، ٣٦٩

سورة الفجر

- ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ ﴾ ٢٧ ، ٢٨ ١٦٧

سورة المسد

- ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ ٣ ٣٦٤ ، ٣٦٩

فهرس الأحاديث

حرف الألف

- (إذا كملت وشابهته) .... ١٧١ ، ١٧٢
- (اطفئ السراج فقد طلع الصبح) ٢٤٤
- (اطلبوا العلم من معدن العلم وإياكم والولائج فهم الصادون عن الله) ٦٨
- (الأرواح جنود مجندة . . .) ٣٧١
- (الإرادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل ، وأما من الله تعالى فإرادته إحداثه لا غير ذلك لأنه لا يروّي ، ولا يهم ، ولا يفكر وهذه الصفات منفية عنه وهي صفات الخلق ، فإرادة الله الفعل لا غير ذلك ﴿ يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ بلا لفظ ، ولا نطق بلسان ، ولا همة ، ولا تفكر ، ولا كيف لذلك كما أنه لا كيف له) ٧٠
- (الأرواح جنود مجندة . . .) ٣٩١
- (الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة) ٢٤٣

- (الدنيا مزرعة الآخرة) ٢١٩
- (الروح في الجسد كالمعنى في اللفظ) .... ٧٨ ، ٣٧٤
- (السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه ، الخ) ٣٩٦
- (العقل جوهر درّاك ، محيط بالأشياء من جميع جهاتها ، عارف بالشيء قبل كونه فهو علة الموجودات ونهاية المطالب) ... ١٦٩
- (الكواكب منها معلق في سلاسل ومنها مركب كالفص في الخاتم) ٢٢٠
- (اللهم زدني فيك تحيراً) .... ١٢١ ، ٢٦٩
- (المشيّئة والإرادة والإبداع أسماؤها ثلاثة ومعناها واحد) . ٩٣
- (المؤمن أخو المؤمن) ٣٧٢
- (المؤمن أخو المؤمن . . وإنّ أرواحهما من روح الله) ... ٣٩٥
- (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا) .... ٣٥٤ ، ٣٦٢
- (إنّ الحسن عليه السلام قال : إن لله مدينتين إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب عليهما سور من حديد ، وعلى كلّ واحد منهما ألف ألف مصراع وفيها سبعون ألف ألف لغة يتكلم كلّ لغة بخلاف لغة صاحبها وأنا أعرف جميع اللغات وما فيهما وما بينهما وما عليهم حجة غيري وغير الحسين أخي) ٣٣٨
- (إن القلم أول غصن أخذ من شجرة الخلد) ٢١٤
- (إن الله تعالى يقول : ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ

يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾ أخرجوا من النار فقال الله لهم : كونوا نِشْنيشاً) ٣٧٧

- (إنّ الله خلق الحروف ـ إلى أن قال عليه السلام : والحروف لا تدل على غير أنفسها) ٣٧٣

- (إن الله خلق المؤمنين من طينة الجنان وأجرى فيهم من ريح روحه) ٣٧١

- (إن الله خلق المؤمنين من نوره وصبغهم في رحمته فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه ، أبوه النور وأمّه الرحمة) ٣٩٥

- (إن الله خلق قلوب شيعتهم من فاضل أجسامهم) ٣٩٤

- (إن الله خلقنا من نور عظمته ثم صوّر خلقنا من طينة مكنونة تحت العرش فأسكن ذلك النور فيه فكنّا نحن البشر نورانيين وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا) ٣٧١

- (إنّ الله خلقنا من نور عظمته ثم صوّر خلقنا من طينة مكنونة تحت العرش فأسكن ذلك النور فيه فكنا نحن خلقاً وبشراً نورانيين ولم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً ، وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا) ٣٩١

- (إن الله عزّ وجل تفرد بخمس لم يطلع عليها أحداً من خلقه وتلا الآية ، وقال له : لولا آية في كتاب الله ، وهو قوله : ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ ﴾ ، لأخبرتكم بما كان وما يكون إلى يوم القيامة) ٢٢٨

- (إنّ الله عزّ وجلّ خلق المؤمنين من طينة الجنان) ٣٩٤

- (إن الله عزّ وجلّ خلق المؤمنين من طينة الجنان ، وأجرى صورهم من ريح الجنان) ٣٧١
- (إن الله لم يخلق فرداً قائماً بذاته دون غيره للذي أراد من الدلالة على نفسه وإثبات وجوده) ٦٢
- (إن النفس أصلها العقل منه بُدئت وعنه وعت وإليه دلّت وأشارت) ١٧٢
- (إنّ أرواحها من روح الله عزّ وجلّ) ٣٧٢
- (إنّ أرواحهما من روح الله) ٣٩٦
- (انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله) ٩٠
- (انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله الطريق مسدود والطلب مردود) ٢١٥
- (إنّ روح المؤمن أشد اتصالاً بروح الله من اتصال الشمس بالشعاع) ٣٧٢
- (إنّ لكلّ واحدة سبعين ألف باب بين الباب إلى الباب فرسخ) ٣٣٧
- (إن لله عزّ وجلّ مدينتين مدينة بالمشرق ومدينة بالمغرب فيهما قوم يعرفون إبليس ، ولا يعلمون بخلق إبليس نلقاهم في كلّ حين فيسألونا عما يحتاجون إليه ويسألونا عن الدعاء فنعلّمهم ويسألونا عن قائمنا متى يظهر ، وفيهم عبادة واجتهاد شديد . ولمدينتهم أبواب ما بين المصراع إلى المصراع مئة فرسخ ، لهم تقديس وتمجيد ودعاء واجتهاد شديد لو رأيتموهم لاحتقرتم عملكم ، يصلي الرجل منهم شهراً لا يرفع رأسه من سجدته ،

طعامهم التسبيح ولباسهم الورق وجوههم مشرقة بالنور وإذا رأوا منا واحداً لحسوه واجتمعوا إليه وأخذوا من أثره من الأرض يتبركون به لهم دوي إذا صلوا كأشد من دوي الريح العاصف . منهم جماعة لم يضعوا السلاح منذ كانوا ينتظرون قائمنا عليه السلام يدعون الله عزّ وجلّ أنّ يريهم إياه ، وعمر أحدهم ألف سنّة إذا رأيتهم رأيت الخشوع والاستكانة وطلب ما يقربهم إلى الله عزّ وجلّ إذا احتبسنا عنهم ظنوا أنّ ذلك من سخط يتعاهدون أوقاتنا التي نأتيهم فيها لا يسأمون ، ولا يفترون يتلون كتاب الله عزّ وجلّ كما علمناهم ، وإنّ فيما نعلمهم ما لو تُلِيَ على الناس لكفروا به ولأنكروه . ويسألونا عن الشيء إذا ورد عليهم من القرآن لا يعرفونه فإذا أخبرناهم به انشرحت صدورهم لما يسمعون منا وسألوا لنا طول البقاء وألا يفقدونا ويعلمون أنّ المِنّة من الله عليهم فيما نعلمهم عظيمة . ولهم خرجة مع الإمام عليه السلام إذا قام ، يسبقون فيها أصحاب السلاح ويدعون الله عزّ وجلّ أن يجعلهم ممن ينتصر بهم لدينه ، فيهم كهول وشبان إذا رأى شباب منهم الكهل جلس بين يديه جلسة العبد لا يقوم حتى يأمره ، لهم طريق هم أعلم به من الخلق إلى حيث يريد الإمام عليه السلام ، فإذا أمرهم الإمام عليه السلام بأمر قاموا عليه أبداً حتى يكون هو الذي يأمرهم بغيره لو أنهم وردوا على ما بين المشرق والمغرب من الخلق لأفنوهم في ساعة واحدة لا يحثل (كذا) فيهم الحديد . لهم سيوف من حديد غير هذا

الحديد لو ضرب أحدهم بسيفه جبلاً لقدّه حتى يفصله ويغزو بهم الإمام عليه السلام الهند والديلم والكرد والروم وبربر وفارس ، وبين جابرسا إلى جابلقا وهما مدينتان واحدة بالمشرق وواحدة بالمغرب لا يأتون إلى أهل دين إلّا دعوهم إلى الله عزّ وجلّ ، وإلى الإسلام والإقرار بمحمد صلى الله عليه وآله والتوحيد وولايتنا أهل البيت فمن أجاب منهم ودخل في الإسلام تركوه وأمروا عليه أميراً ، ومن لم يجب ولم يقر بمحمد صلى الله عليه وآله ولم يقر بالإسلام ولم يسلم قتلوه حتى لا يبقى بين المشرق والمغرب وما دون الجبل أحد إلّا آمن) ٣٣٩

- (إن لنا أوعية نملؤها علماً وحكماً وليست لها بأهل ، وما نملؤها إلا لتنقل إلى شيعتنا ، فانظروا إلى ما في الأوعية فخذوها ، ثم صفّوها من الكدورة تأخذونها بيضاء نقية صافية ، وإياكم والأوعية فإنها وعاء سوء فتنكّبوها) ٦٩

- (إنّ نبيّاً من أنبياء الله عليهم السلام أنكر قومه المعاد وقالوا إن كنت صادقاً فارجع لنا أسلافنا الماضين ، فسأل الله تعالى أنّ يبين لهم فألقى الله سبحانه عليهم الرؤيا في المنامات فكان أحدهم يرى أباه وجدّه وأمه وأمها فاستدلوا بذلك على البعث ولم تعد آباؤهم ، وإنما رأوا صورهم وأشباحهم) ٣٦٣

- (إنه سعد ، وهو بارد رطب ، وهو نجم سيدنا أمير المؤمنين عليه السلام) ٢٦٣

- (إني أنا الله لا إله إلّا أنا خلقت الخير فطوبى لمن أجريته على

يديه ، وأنا الله لا إله إلّا أنا خلقت الشر فويل لمن أجريته على يديه) ٤٤
- (أبوه النور وأمّه الرحمة) ٣٩٥
- (أدبر فأدبر) ٣٣
- (أصلها العقل منه بُدِئَت وعنه وعت وإليه دلّت وأشارت) .. ٣٦٩
- (أصلها العقل منه بُدِئَت ، وعنه وعت وإليه دلت وأشارت ، وعودتها إليه إذا كملت وشابهته) ١٧٠
- (أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه) ٢٤٠
- (أقبل فأقبل) ٣٣
- (ألست بربكم ومحمد نبيكم؟) ٣٨٦
- (ألست بربكم ومحمد نبيكم وعلي وليكم وإمامكم والأئمة من ولده أئمتكم؟) ٣٨٧
- (ألقى في هويتها مثاله ، فأظهر عنها أفعاله) ١٥٢
- (ألم يأمرك أمير المؤمنين ألّا تقربي إلّا عدوّاً ، أو مذنباً ليكون كفارة له فما بال هذا) ٣٥٦
- (إن النطفة إذا وقعت في الرحم أرسل الله ملكين خلّاقين يقتحمان بطن المرأة من فمها ، فيقولان : يا ربنا نخلقه ذكراً أم أنثى فيأمرهم . ثم يقولان : شقياً أم سعيداً فيأمرهم بما يريد) ١٩١
- (أنه يخرج من كلّ مدينة منهما كلّ يوم سبعون ألفاً لا يعودون ويدخلها سبعون ألفاً لا يخرجون إلى يوم القيامة) ٣٤٥

- (أيها السائل حكم الله عزّ وجلّ لا يقوم له أحد من خلقه بحقه ، فلمّا حكم بذلك وهب لأهل محبته القوة على معرفته ، ووضع عنهم ثقل العمل بحقيقة ما هم أهله ووهب لأهل المعصية القوة على معصيته لسبق علمه فيهم ومنعهم إطاقة القبول منه) ... ٢٨٤

حرف الباء

- (بلى ولكن يرشح عليك ما يطفح مني) ٢٤٣

حرف التاء

- (تبقى الأرواح ساهرة لا تنام) .... ٢٣٨ ، ٢٥٥

حرف الثاء

- (ثم صوّر خلقنا) ٣٩٣

حرف الجيم

- (جذب الأحديّة لصفة التوحيد) ٢٤٣

حرف الخاء

- (خلق الله المشيّئة بنفسها ، ثم خلق الأشياء بالمشيّئة) ٢١٦

حرف الذال

- (ذهب العلم وبقيت غبرات العلم في أوعية سوء ، واحذروا باطنها فإن في باطنها الهلاك وعليكم بظاهرها فإن في ظاهرها النجاة) ٦٨

- (ذهب الناس إلى عيون كدرة ، يفرغ بعضها في بعض ، وذهب من ذهب إلينا ، إلى عيون صافية تجري بأمر الله لا نفاد لها) ١١٥

حرف العين

- (عبدي وأرضي ، وسمائي وبيتي ، وخَلقي وملكي) ٢٤١
- (عن أي الأنفس تسأل؟) ١٦٧

حرف الفاء

- (فإذا فارقت عادت إلى ما منه بُدِئَت ، عَوْد ممازجة لا عَوْد مجاورة) ١٧٣
- (فإرادة الله الفعل لا غير ذلك ﴿ يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾)... ٧٠ ، ٧١
- (فإنه ينظر بنور الله) ٨٨
- (فكنّا نحن خلقاً وبشراً) ٣٩٣
- (فكنا نحن خلقاً وبشراً نورانيين) ٣٩٣
- (في أي شيء اختلفوا؟) ١١٣

حرف القاف

- (قد علم أولوا الألباب أنّ الاستدلال على ما هناك لا يُعلم إلّا بما هاهنا)...................... ٢٠٣ ، ٣١٥ ، ٣٥٠
- (قل بقول هشام في هذه المسألة) ٢٥٨
- (قل في هذا بقول هشام ، ولا تقل بقول زرارة) ١١٤
- (قوم من شيعتنا من الخلق الأول جعلهم الله خلف العرش لو

قسم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم . ولمّا سأل موسى ربه ما سأل أمر رجلاً من الكروبيين فتجلّى للجبل فجعله دكًّا) ٢٧٦

- (قوة أصلها الطبائع الأربع ، بدءُ إيجادها عند مسقط النطفة ، مقرّها الكبد ، مادتها من لطائف الأغذية ، فعلها النمو والزيادة ، وسبب فراقها اختلاف المتولدات فإذا فارقت عادت إلى ما منه بُدئت عود ممازجة لا عود مجاورة) ١٦٨

- (قوة فلكية ، وحرارة غريزية ، أصلها الأفلاك) ١٧٣

- (قوة فلكية ، وحرارة غريزية ، أصلها الأفلاك ، بدءُ إيجادها عند الولادة الجسمانية ، فعلها الحياة ، والحركة والظلم ، والغشم والغلبة ، واكتساب الأموال ، والشهوات الدنيوية ، مقرّها القلب ، سبب فراقها اختلاف المتولدات ، فإذا فارقت عادت إلى ما منه بُدئت عود ممازجة لا عود مجاورة فتنعدم صورتها ويبطل فعلها ووجودها ويضمحل تركيبها) ١٦٨

- (قوة لاهوتية ، بدءُ إيجاها عند الولادة الدنيوية ، مقرّها العلوم الحقيقية الدينية ، موادها التأييدات العقلية ، فعلها المعارف الربانية ، فراقها عند تحلل الآلات الجسمانية ، فإذا فارقت عادت إلى ما منه بُدِئَت عود مجاورة لا عود ممازجة) ١٦٨

- (قوة لاهوتية وجوهرة بسيطة حية بالذات ، أصلها العقل ، منه بُدِئَت ، وعنه وَعَت ، وإليه دلّت وأشارت ، وعودتها إليه إذا كملت وشابهته ، ومنها بُدِئَت الموجودات ، وإليها تعود بالكمال ، فهي ذات الله العليا ، وشجرة طوبى ، وسدرة

المنتهى ، وجنة المأوى ، من عرفها لم يشق ، ومن جهلها ضل سعيه وغوى) ١٦٩

حرف الكاف

- (كشف سبحات الجلال) ٢٤٤
- (كلّ شيء خاضع له ، وكل شيء قائم به غنى كلّ فقير ، وعز كلّ ذليل وقوة كلّ ضعيف ، وفزع كلّ ملهوف) ٥٧
- (كلّ شيء سواك قام بأمرك) ٢١٣
- (كلّما رفَعتُ لهم علماً وضَعتُ لهم حلماً ، وليس لمحبتي غاية ، ولا نهاية) ٢٧١
- (كلّ ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه ، فهو مخلوق مصنوع مثلكم ، مردود إليكم أو عليكم) ، ١٤٠

حرف اللام

- (لا تحيط به الأوهام ، بل تجلّى لها بها ، وبها امتنع منها وإليها حاكمها) ٨٩
- (لأحرقت سبحات وجهه كلّ ما في السماوات والأرضين) ١٧٤
- (لا زلت يا حسان مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك) . ٢٧٨
- (لأنّ الله تعالى لم يجعل لها منها شيئاً لغير معنًى أبداً فإذا ألف منها أربعة ، أو خمسة ، أو ستة ، أو أكثر من ذلك ، أو أقل لم يؤلّفها لغير معنًى ولم يكن إلّا لمعنى محدث لم يكن قبل ذلك شيء) ٣٧٣

- (لا يسعني أرضي ، ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن) ٤٣
- (لم يخلق شيئاً فرداً قائماً بذاته دون غيره للذي أراد من الدلالة عليه وإثبات وجوده) ٢٠٣
- (لو رجعت عصىّ السحرة وحبالهم من عصى موسى عليه السلام لرجع) ٣٦٠
- (لولاك لما خلقت الأفلاك) ٢١٣

حرف الميم

- (مئة فرسخ ، وعلى كلّ باب خمسون ألفاً شاكي السلاح ينتظرون قيام القائم عليه السلام) ٣٣٨
- (ما بهذا أمروا) ١٨٢
- (ما بين سيتها إلى رأسها فقال : كان بينهما حجاب يتلألأ بخفق ، ولا أعلمه إلّا وقد قال : زبرجد . . .) ١٨٣
- (ما زال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ، ويده التي يبطش بها إن دعاني أجبته ، وإن سألني أعطيته ، وإن سكت عني ابتدأته) ٢٨٢
- (ما لك والحقيقة يا كميل؟) ٢٤٣
- (محو الموهوم وصحو المعلوم) ٢٤٣
- (من أحببته قتلته ، ومن قتلته فعليّ ديته ، ومن عليّ ديته فأنا ديته) ٢٧١

- (من ريح الجنة) ٣٩٤

- (من عرف نفسه بالجهل عرف ربه بالعلم ، ومن عرف نفسه بالعجز عرف ربه بالقدرة ، ومن عرف نفسه بالفناء عرف ربه بالبقاء) ٢٤١

- (من عرف نفسه فقد عرف ربه) .... ٢٤١ ، ٢٤٥

- (من غير إشارة) ٢٤٥

- (من نور عظمته) ٣٩٢

- (من يزرع خيراً يحصد غبطة ، ومن يزرع شراً يحصد ندامة) ٢١٩

حرف النون

- (نحن الأسماء الحسنى التي أمر الله أن يدعى بها) ٤٩

- (نحن الصلاة في كتاب الله عزّ وجلّ ، ونحن الزكاة ونحن الصيام ونحن الحج ، ونحن الشهر الحرام ، ونحن البلد الحرام ، ونحن كعبة الله ، ونحن قبلة الله ونحن وجه الله ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ﴾ ، ونحن الآيات ، ونحن البيّنات . وعدوّنا في كتاب الله عزّ وجلّ الفحشاء والمنكر والبغي ، والخمر والميسر ، والأنصاب والأزلام ، والأصنام والأوثان ، والجبت والطاغوت ، والميتة والدم ، ولحم الخنزير . يا داود : إن الله خلقنا فأكرم خلقنا وفضّلنا وجعلنا أمناءه وحفظته وخزّانه على ما في السماوات وما في الأرض ، وجعل لنا أضداداً وأعداءً فسمانا في كتابه وكنّى عن أسمائنا

بأحسن الأسماء ، وأحبها إليه تكنية عن العدو . وسمى أضدادنا وأعداءنا في كتابه ، وكنّى عن أسمائهم وضرب لهم الأمثال في كتابه في أبغض الأسماء إليه ، وإلى عباده المتقين) ٤٧

- (نعم قد كان في السماوات والأرض خلق من خلق الله يسبّحون الله ويقدسونه ويعظمونه بالليل والنهار لا يفترون فإن الله عزّ وجلّ لمّا خلق الأرضين خلقها قبل السماوات ثم خلق الملائكة روحانيين لهم أجنحة يطيرون حيث يشاء الله فأسكنهم ما بين أطباق السماوات يقدسونه الليل والنهار واصطفى منهم إسرافيل وميكائيل وجبرائيل . ثم خلق عزّ وجلّ في الأرض الجن الروحانيين لهم أجنحة فخلقهم دون خلق الملائكة وخفضهم دون أن يبلغوا مبلغ الملائكة في الطيران وغير ذلك فأسكنهم فيما بين أطباق الأرضين السبع وفوقهنّ يقدسون الله الليل والنهار لا يفترون . ثم خلق خلقاً دونهم لهم أبدان وأرواح بغير أجنحة يأكلون ويشربون نسناس أشباه خلقهم وليسوا بإنس وأسكنهم أوساط الأرض على ظهر الأرض مع الجن يقدسون الله الليل والنهار لا يفترون) ٣٤١

- (نعم نفس نامية نباتية ، ونفس حيوانية حسية ، ونفس ناطقة قدسية ، ونفس إلهية ملكوتية) ١٦٨

- (نقض الوضوء بالإغماء) ١٨١

- (نور أشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل) ٢٤٣

حرف الهاء

- (هتك الستر وغلبة السرّ) ٢٤٣

حرف الواو

- (والروح الذي على ملائكة الحجب) ٢٧٥
- (والروح الذي هو من أمرك) ٢٧٥
- (والعقل وسط الكل) ١٧٢
- (والله ما خلق الله شيئاً إلّا وأمره بالطاعة لنا ثم قال عليه السلام يا كناسة) ٣٥٦
- (وإنّ روح المؤمن أشد اتصالاً بروح الله من اتصال الشمس بالشعاع) ٣٩٧
- (وإن شيعتنا لأشد اتصالاً بنا من شعاع الشمس ، وإنا لأشد اتصالاً بالله من شعاع الشمس بها) ٣٩٧
- (وإنما تنقلون من دار إلى دار) ٢١٨
- (وأجرى صورهم) ٣٩٤
- (وأحاط بكلّ شيء علماً ، وهو في مكانه) ٦٦
- (وأمّا قول علي عليه السلام في الخنثى : إنه يورّث من المبال فهو كما قال وينظر إليه قوم عدول فيأخذ كلّ واحد منهم المرآة فيقوم الخنثى خلفهم عرياناً وينظرون في المرآة فيرون الشبح فيحكمون عليه) ٣٠٠

- (وأما من الله فإرادته إحداثه لا غير ذلك) .... ٧٠ ، ٧١
- (وأي الأنفس تريد أن أعرّفك؟) ١٦٦
- (وجعل ما امتنّ به على عباده كفاءً لتأدية حقه) ٢٨٣
- (وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا) ٣٩٤
- (وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة إن زكّاها بالعلم والعمل فقد شابهت أوائل جواهر عللها فإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد) ٣٦٩
- (وخلقت بها الظلمة وجعلتها ليلاً وجعلت الليل سكناً وخلقت بها النور وجعلته نهاراً ، وجعلت النهار نشوراً مبصراً ، وخلقت بها الشمس ، وجعلت الشمس ضياء ، وخلقت بها القمر وجعلت القمر نوراً ، وخلقت بها الكواكب وجعلتها نجوماً وبروجاً ، ومصابيح وزينة ورجوماً ، وجعلت لها مشارق ومغارب) ١٤١
- (وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة) ٢١٣
- (وكانت الجن تطير في السماء فتلقى الملائكة في السماء فيسلّمون عليهم ويزورونهم ويستريحون إليهم ويتعلّمون منهم الخير . ثم إن طائفة من الجن والنسناس الذين خلقهم الله وأسكنهم أوساط الأرض مع الجن تمردوا وعصوا عن أمر الله فمرحوا وبغوا في الأرض بغير الحق وعلا بعضهم على بعض في العتو على الله تعالى ، حتى سفكوا الدماء فيما بينهم وأظهروا الفساد وجحدوا ربوبية الله تعالى . قال : وأقامت طائفة

المطيعين من الجن على رضوان الله وطاعته وباينوا الطائفتين من الجن والنسناس الذين عتوا عن أمر الله . قال : فحطّ الله أجنحة الطائفة من الجن الذين عتوا عن أمر الله وتمردوا فكانوا لا يقدرون على الطيران إلى السماء ، وإلى ملاقاة الملائكة لما ارتكبوا من الذنوب والمعاصي . ثم خلق الله تعالى خلقاً على خلاف خلق الملائكة وعلى خلاف خلق الجن ، وعلى خلاف خلق النسناس يدبّون كما تدب الهوام في الأرض يأكلون ويشربون ما تأكل الأنعام من مراعي الأرض كلهم ذكران ليس فيهم إناث لم يجعل الله فيهم شهوة النساء ، ولا حب الأولاد ، ولا الحرص ، ولا طول الأمل ، ولا لذة عيش لا يلبسهم الليل ، ولا يغشيهم النهار ليسوا ببهائم ، ولا هوام لباسهم ورق الشجر وشربهم من العيون الغزار والأودية الكبار . ثم أراد الله أن يفرقهم فرقتين فجعل فرقة عند مطلع الشمس من وراء البحر وكوّن لهم مدينة أنشأها تسمى جابرسا طولها اثنا عشر ألف فرسخ في اثني عشر ألف فرسخ وكوّن عليها سوراً من حديد يقطع الأرض إلى السماء ثم أسكنهم فيها . وأسكن الفرقة الأخرى خلف مغرب الشمس من وراء البحر وكوّن لهم مدينة أنشأها تسمى جابلقا طولها اثنا عشر ألف فرسخ في اثني عشر ألف فرسخ ، وكوّن لهم سوراً من حديد يقطع الأرض إلى السماء . وأسكن الفرقة الأخرى فيها لا يعلم أهل جابرسا بموضع أهل جابلقا ، ولا يعلم أهل جابلقا بموضع أهل جابرسا ، ولا يعلم بهم أوساط الأرضين من الجن والنسناس .

فكانت الشمس تطلع على أهل أوساط الأرضين من الجن والنسناس فينتفعون بحرّها ويستضيئون بنورها ، ثم تغرب في عين حمئة فلا يعلم بها أهل جابلقا إذا غربت ، ولا يعلم بها أهل جابرسا إذا طلعت لأنها تطلع من دون جابرسا وتغرب من دون جابلقا . فقيل : يا أمير المؤمنين فكيف يبصرون ويحيون وكيف يأكلون ويشربون وليس تطلع الشمس عليهم؟ . فقال عليه السلام : إنهم يستضيئون بنور الله فهم في أشد ضوء من نور الشمس ، ولا يرون أنّ الله خلق شمساً ، ولا قمراً ولا نجوماً ، ولا كواكب ، ولا يعرفون شيئاً غيره . فقيل : يا أمير المؤمنين فأين إبليس عنهم؟ قال : لا يعرفون إبليس ، ولا سمعوا بذكره لا يعرفون إلّا الله وحده لا شريك له لم يكتسب أحد منهم قط خطيئة ولم يقترف إثماً لا يسقمون ، ولا يهرمون ، ولا يموتون إلى يوم القيامة يعبدون الله لا يفترون الليل والنهار عندهم سواء) ٣٤٢

- (وكان كما قال الله تعالى : ﴿ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾) ١٨٣

- (ولا أكملتك إلّا فيمن أحب) ٢٧٠

- (ولا تقع صورة في وهم أحد إلا وقد خلق الله عزّ وجلّ عليها خلقاً لئلا يقول قائل : هل قدر الله عزّ وجلّ على أن يخلق صورة كذا وكذا ، لأنه لا يقول من ذلك شيئاً إلّا وهو موجود في خلقه ـ تبارك وتعالى ـ فيُعلم بالنظر إلى أنواع خلقه أنه على كلّ شيء قدير) ١٤٣

- (ومثل الموصوف بما ذكرنا أن يكون كمثل النازع روحه إن لم ينزع ، فماذا يصنع) ١٨٢

- (ومحمد نبيكم) ٣٨٦
- (ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كلّ مكان ، يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك وبينها إلّا أنهم عبادك وخلقك . . .) الدعاء ٥٤
- (ومن عليّ ديته فأنا ديته) ٢٧١

حرف الياء

- (يا أرض أين ساكنوك أين المتكبرون أين الذين أكلوا رزقي وعبدوا غيري ﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ ﴾ ، فلا يجيبه أحد فيرد على نفسه ويقول : ﴿ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾) ١٢٣
- (يا علي نفسك أوسع من الدنيا) ٤٩
- (يا كميل إنما هي أربع; النامية النباتية والحسية الحيوانية والناطقة القدسية والكلية الإلهية . ولكل واحد من هذه خمس قوى وخاصيتان ؛ فالنامية النباتية لها خمس قوى : ماسكة وجاذبة ، وهاضمة ودافعة ومربية ، ولها خاصيتان : الزيادة والنقصان ، وانبعاثها من الكبد . والحسية الحيوانية لها خمس قوى : سمع ، وبصر ، وشم ، وذوق ، ولمس ، ولها خاصيتان; الرضا والغضب ، وانبعاثها من القلب . والناطقة القدسية لها خمس قوى : فكر وذكر ، وعلم وحلم ونباهة ، وليس لها انبعاث ، وهي أشبه الأشياء بالنفوس الملكية ، ولها خاصيتان ؛ النزاهة والحكمة . والكلية الإلهية لها خمس قوى : بقاء في فناء ونعيم في شقاء ، وعز في ذلّ ، وفقر في غنًى ، وصبر في بلاء ، ولها خاصيتان : الرضا والتسليم ، وهذه التي

مبدؤها من الله ، وإليه تعود ، قال الله تعالى : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ ﴾ والعقل وسط الكل) ١٦٧

- (يسبح الله بأسمائه جميع خلقه) ٣٥٦
- (يعني بموت العلماء) .... ١٠٤ ، ٢٥٠ ، ٣٤٩
- (يناديهم يوم الغدير نبيهم) ٢٧٧

الفهرس الموضوعي

الموضوع	الصفحة
علم الله	
بيان أن علم الله بكلِّ شيء بنفس حضوره	٢٠
الطرق إلى الله	
بيان الطرق إلى الله تعالى	٩٧
طرق معرفة الله	
بيان طرق معرفة الله تعالى	٢٤٢
١ ـ الطريق المجمل لمعرفة الله تعالى	٢٤٢
٢ ـ الطريق المفصّل لمعرفة الله تعالى	٢٤٢
الحاجة للمدد الإلهي	
في حاجة كل المجردات الى المدد الإلهي	١١٧

بيان خلق وتغيير الأشياء في كلّ آن وتبديلها ١١٩

تقسيم ذات الله تعالى إلى مراتب

الأولى: مرتبة النقطة وهي الرحمة ١٤٧
والثانية : مرتبة الألف، والنفس الرحماني الأولى بفتح الفاء. ١٤٧
والثالثة : مرتبة الحروف والسحاب المزجى. ١٤٨
والرابعة : الكلمة التامة، والسحاب الثقال والسحاب المتراكم، فذلك ١٤٨

وحدة الوجود

بيان الأحدية عند الصوفية ١٧٥
كفر من قال بوحدة الوجود ١٧٨

أقسام أسماء الله تعالى

١ ـ الأسماء الفعلية ٤٠
٢ ـ الأسماء الصورية ٤٠
٣ ـ الأسماء اللفظية ٤٠

عالم الأسماء

سعة عالم الأسماء ٤١
١ ـ الأسماء الحسنى العليا ٤١
٢ ـ الأسماء السوأى السفلى ٤١
بيان الأسماء التي علّمها الله لآدم ٤٢

بيان معنى الأسماء الحسنى في الظاهر والباطن ٤٤
اشتقاق أسماء آل محمد صلى الله عليهم من أسماء الله تعالى ٤٧
الفرق بين اسم الله تعالى واسم الرحمن ٤٩
رأي الملّا صدرا في الأسماء ٥٠
رأي الشيخ الأوحد في الأسماء ٥٣

كل شيء موجود في ذات الله

بيان أن كل شيء موجود في ذات الله تعالى ٥٦
معنى الإفاضة عند الفيض الكاشاني ٥٨
بيان أن حقائق الأشياء موجودة بوجود الواجب تعالى ٦٠
بيان أن كل ما هو خارج عن الذات المقدسة فهو ممكن حادث ٦٤
بيان أن كل وجود هو موجود بوجود الله تعالى ٧٩

خلق الله محمد وآل محمد عليهم السلام

بيان كيفية خلق الله محمد وآل محمد من نور عظمته تعالى ٣٩١

مذهب آل محمد عليهم السلام

لماذ التخلي عن مذهب آل محمد عليهم السلام ؟ ٦٩

خلق الخير والشرّ

خلق الله للخير والشرّ وتأويله ٤٤
بيان أن كل منتهي إلى غيره فهو حادث مخلوق ٩٠

الاختيار

بيان أقسام الفاعل ٨٢
بيان أن كل شيء بالاختيار لا بالجبر ٨٦
بيان المراد من الإلقاء والمثال ٨٨
بيان أن الله تعالى فاعل بالقصد والاختيار ٩٤
بيان معنى أنّ الله إذا أراد فعل وإذا لم يرد لم يفعل ٩٦
بيان أن الله علّة تامة ٩٧

معنى الوجود

بيان معنى الوجود ١٠٠

أقسام الأجسام غير العنصرية

١ ـ جسم عنصري، وهو المعروف. ١٠٢
٢ ـ وجسم فلكي، وهو أجسام الأفلاك التسعة وما فيها من أجرام ... ١٠٢
٣ ـ وجسم برزخي، وهو جسم مقداري له طول وعرض وعمق بلا مادة ١٠٢
٤ ـ وجسم مجرد عنها مفارق بذاته مقارن بفعله، وهو النفس، وهي التفاضل بين الطبيعة والجوهر ١٠٣
رأي علماء الطبيعة في تولد العناصر الأربعة ١٠٦

أول ما خلق الله

بيان أول ما خلق الله تعالى ١١٠

العدم الزماني

بطلان كون النفوس مسبوقة بعدم زماني ١١٣

رأي الشيخ الأوحد في العدم الزماني ١١٣

في أن المجردات لا مادة لها عنصرية ١١٦

بيان معنى التجدد والتبدل في الزمان وغيره ١٤٥

بيان معنى التدرج ١٤٧

بيان الفرق بين تجدد الحركة الذاتية وتجدد الزمان ١٤٩

عدم زمانية النفوس ١٠١

بيان تبدل أو تجدد كل جسم زماني ١٢٨

رأي السيد المرتضى في عدم تبدل الجوهر الفرد ١٣٠

معنى الزمان والحركات

في بيان معنى الزمان والحركات ٢٢٩

حدوث العالم

في بيان حدوث العالم ٩٩

بيان علّة الربط بين الحادث والقديم ١٢٤

١ ـ رأي المصنف ١٢٤

٢ ـ رأي الحكماء الأوائل ١٢٤

٣ ـ رأي الحكماء المشائين ١٢٥

٤ ـ رأي الشيخ الأوحد في علّة الربط بين الحادث والقديم ١٢٥
مراد المصنف من الطبيعة ١٢٨
بيان استدارات العقل ١٣٢
بيان استدارات الروح ١٣٢
بيان استدارات النفس ١٣٣
بيان استدارات الطبيعة ١٣٣
بيان أن جميع الخلق أعراض ١٥١

الحركة الذاتية

بيان حركة الوجود الذاتية الوجودية ١٣٤
رأي الشيخ الأوحد في الحركة الذاتية ١٣٥

معنى الطبيعة

بيان أن الطبيعة أثر الفعل القديم ١٣٧
بيان أن كل شيء غير معلل بعلة غير علة الذات ١٤٠
رأي المصنف في الطبيعة والحركة والحدوث ١٤٤
اتصال الطبيعة بالنفس ٢٠٧

معنى الهيولى

معنى الهيولى وفرقها عن المادة ١٥٤

الكلي الطبيعي

بيان وجود الكلي الطبيعي ١٥٥

بيان أن الكلي الطبيعي واحد شخصي ١٦٢

أقسام الكلي الطبيعي ١٦٣

١ ـ أن كل أفراد الطبيعي الكلي حادثة ١٦٣

٢ ـ أن كل أفراد الطبيعي الكلي قديمة ١٦٣

٣ ـ أن بعض أفراد الطبيعي الكلي حادثة وبعضها قديمة ١٦٣

الوجود معروض للماهية

بيان أن الوجود معروض للماهية في الخارج عارض في الذهن ١٥٩

معنى القديم

بيان الأقوال في قِدم غير الله تعالى ١٥١

بيان المراد من القديم عند العرف الخاص ١٦١

بيان معنى القديم ٢٥٧

كثرة الآدميين والعوالم

بيان كثرة الآدميين والعوالم ١٨٨

١ ـ المشيّئة الكلية ١٨٨

٢ ـ النور المحمدي صلى الله عليه وآله ١٨٨

٣ ـ أرض القابليات المسماة بالأرض الجرز ١٨٨

٤ ـ عقل الكلّ ١٨٩
٥ ـ الروح الكلية ١٨٩
٦ ـ النفس الكلية ١٨٩
٧ ـ طبيعة الكل ١٨٩

الفاعل المباشر للتحريك

بيان أن الفاعل ليس هو المفعول عند أهل البيت عليهم السلام ١٩٣
إمكان تحقق القسر في الكون ١٩٣
بيان اختلاف الحركة الإرادية ١٩٥
في أن الحركة بمنزلة شخص روحه الطبيعة ١٩٦
حلّ إشكال بهمنيار في الطبيعة المسخرة ١٩٨
في بيان حركة الفلك ٢٠١
كل ما في العالم له نفس قام بها ٢٠٤
بيان أن العالم الصغير طبق العالم الكبير ٢٠٤
بيان القوى العشر في الإنسان ٢٠٥
اتصال الطبيعة بالنفس ٢٠٧

أقسام طبيعة الفلك

١ ـ نزول ذي الطبيعة ٢٠٧
٢ ـ الطبيعة الفعلية ٢٠٨
بيان عدم الفرق بين المفارقات المحضة والجمادات ٢٠٩

بيان معنى الفلك المزاول ٢١١
رأي المصنف ٢١١
رأي الشيخ الأوحد في الفلك المزاول ٢١١
إطلاقات الغاية بين فعل الله تعالى والحقيقة المحمدية ٢١٢
في بطلان كون المحرك المباشر للأفلاك الطبيعة ٢١٦

معنى المعاد

بيان معنى المعاد ٢٣٨
بيان سرّ المعاد وحشر الأجساد ٣٦٣

قيام الساعة وأدلتها

بيان فناء الدنيا والانتقال إلى الدار الآخرة ٢١٧
كل ما في علم الدنيا موجود في الآخرة ٢١٨
بعض علامات قيام الساعة ٢٢٠
أدلة قيام الساعة ٢٢٢
للقيامة يومان وبيان مقدارهما ٢٢٤
بيان المراد من الساعة وعلمها ٢٢٧

أقسام الحواس الباطنة

١ ـ الحس المشترك (بنطاسيا) ٢٦٠
بطون الدماغ ٢٦١

أ ـ بنطاسيا والخيال ٢٦١
ب ـ المتخيلة والوهم ٢١٦
ت ـ البطن المؤخر فيه الحافظة ٢٦١
٢ ـ الخيال ٢٦٢
٣ ـ الوهم ٢٦٢
٤ ـ التذكير ٢٦٤
٥ ـ الحفظ ٢٦٥

اتحاد العاقل والمعقول

سرّ في أن العاقل متّحد بالصورة المعقولة ٣١٢
رأي الشيخ الأوحد في اتحاد العاقل والمعقول ٦
بيان أن العالمية عين الفاعلية والمعلومية عين المفعولية ٨
بيان العاقلية والمعقولية ١٠
بيان الصور المعقولة والمحسوسة ١٥
هل وجودات الأشياء وماهياتها ليست محدثة؟ ١٨
بيان أن الصورة نفس فعل المدرك ٢٣
اتحاد أم تغاير الصور الحسية والمحسوسة ؟ ٢٥
عدم لزوم حضور الصورة الحسية عند ملاحظة المحسوسة ٢٨
بيان اتحاد العاقل والمعقول عند الحكماء ٣١
بيان أن العقل الفعال هو العقل الكلي ٣٣
رأي الشيخ الأوحد في مسألة العقل الفعال ٣٣

أثر العقل الفعّال على النفس ٣٤
إحاطة الأشعة بالمنير والنار ٣٧
بيان أن جميع المعقولات بسائط عقلية ٧٩

الحِكمة

بيان معنى الحِكمة المضنونة ٧٢
بيان معنى الحكمة النظرية ٧٦

تعريف العقل

بيان الأقوال في تعريف العقل ٢٦٧

بيان مراتب العقل النظري

١ ـ استعداد بعيد للكمال ٢٦٨
٢ ـ استعداد متوسط لتحصيل النظريات ٢٦٨
٣ ـ استعداد قريب لاستحضار النظريات ٢٦٨
٤ ـ الكمال وتحصيل النظريات مشاهدة ٢٦٨

بيان مراتب العقل العملي

١ ـ تهذيب الظاهر ٢٧٠
٢ ـ تهذيب الباطن ٢٧٠
٣ ـ تحلي النفس بالصور القدسية ٢٧٠
٤ ـ انجلاء ضياء المعرفة بالفؤاد ٢٧١

إطلاقات الروح

١ ـ النور الأبيض ٢٧٤

٢ ـ النور الأصفر ٢٧٤

٣ ـ النور الأخضر ٢٧٥

٤ ـ النور الأحمر ٢٧٥

الروح الأمرية

معنى الأمر الذي منه الروح ٢٧٥

ملائكة الحُجب

بيان معنى ملائكة الحُجب ٢٧٦

بيان الملائكة المهيَّمين ١٨٠

روح القدس

على مَن ينزل روح القدس ؟ ٢٧٧

شرط تنزل روح القدس ٢٧٩

شرط تنزل الروح القدسية العمل والطاعة ٢٨٢

مما يتكون البدن

بيان مما يتكون البدن ١٧٢

بيان الدم الأصفر وخاصيته ١٧٣

قوة اللمس

في قوة اللمس ٢٨٤

بيان الحواس الظاهرة

١ ـ بيان حاسة اللمس ٢٨٦
٢ ـ بيان حاسة الذوق ٢٨٨
معنى التفاهة ....: ٢٨٩
أ ـ عدم الطعم ٢٨٩
ب ـ عدم الاحساس بالطعم ٢٨٩
٣ ـ بيان حاسّة الشمّ ٢٩١
٤ ـ بيان حاسّة السمع ٢٩٢
بيان كيفية حفظ الحروف للوصول الى الأُذن ٢٩٣
بيان معنى المسموع وحاجته للهواء ٢٩٤
٥ ـ بيان حاسة البصر ٢٩٨
في أن الإبصار بالانطباع لا بخروج الشعاع ٢٩٩
بيان أن قوة البصر فاعلة للإبصار لا قابلة له ٣٠١
بيان مدركات الحواس الخمس ٣٠٢
مدركات القوة السامعة والباصرة ٣٠٥
بيان أن القوى المدرِكة لهذه الأشياء قوى نفسانية ٣٠٧
بيان الحرارة الملموسة بالذات ٣١١

آراء العلماء في إبصار المرئي

١ ـ رأي الرياضيين ٣١٦
٢ ـ رأي الطبيعيين ٣١٨
٣ ـ رأي الإشراقيين ٣١٩
٤ ـ رأي الملّا صدرا وأرسطو طاليس ٣٢١
إبطال الشيخ الأوحد لرأي الملّا ٣٢٢
٥ ـ رأي الشيخ الأوحد في إبصار المرئي ٣٢٤
ردّ الشيخ الأوحد على مذهب الإشراقيين ٣٢٥
بيان الحضور الإدراكي والوجود الشعوري ٣٢٧

المحسوسات الخمس

بيان معنى المراد من المحسوسات الخمس ٣٢٩
معنى الإضافة الإشراقية ٣٣٠

بيان المشاعر الباطنة

١ ـ الحسّ ٣٣٣
٢ ـ الفكر ومركزه وملائكته ٣٣٤
٣ ـ الخيال ٣٣٥

في الصور الخيالية للإنسان

بيان القوة الخيالية ووجودها ٣٣٦

مدن الله تعالى العجيبة ٣٣٨
التشابه بين جابرسا وجابلقا وعَالَمِنا ٣٤٤
سكان مدينتي جابرسا وجابلقا ٣٤٧
بيان أن القوى الباطنة ليست من عالم الأجسام ٣٤٨
بيان النفس المتخيلة ووجودها ٣٥٠
بيان الأفلاك السبعة ٣٥١
في أن إدراكات النفس بلا توسط شيء ٣٥٢
بيان اشتداد الصورة الحاضرة في عالم النفس والبرزخ ٣٥٥
بيان الصور الخيالية وأنها ليست جواهر ٣٥٨
بيان أن قوة الصورة الحاضرة بعد الموت ٣٥٨
تشبيه الصورة الخيالية في عالم الدنيا ٣٦١
إدراك النائم لحقائق الأشياء ٣٦٢

النفس

عدم زمانية النفوس ١٠١

معنى النفوس

بيان معنى النفوس ١٦٥
رأي المصنف ١٦٥
رأي أهل البيت عليهم السلام ١٦٥
أقسام النفوس ١٦٦

بيان النفس الناطقة القدسية ١٧٠

معرفة النفس

الإشراق الأول: في معرفة النفس ٢٣٧
في بيان اختلاف الأقوال في معرفة النفس ٢٤٠
بيان أن معرفة النفس يؤدي إلى معرفة الربّ ٢٤٥

مقامات النفس

مقامات النفس الإنسانية ٢٤٦
بيان حقيقة النفس ٢٤٧
بيان مقامات ودرجات النفس ٢٤٩
بيان كون النفس حادثة ٢٥٠
بيان الحدوث والتبدل والسيلان ٢٥٦
بيان النفس النباتية والحساسة ٢٥٩

الفناء والتجلي

بيان الفناء المذموم والممدوح ١٨٢
بيان كيفية اندكاك الجبل لموسى وتجلّي النور فيه ١٨٤

في خصوصيات النفس

بيان جملة من خصوصيات النفس ٣١٣
سرّ في أن حقائق الأشياء كلها ثابتة في علمه تعالى ٣١٥

في نفسية النفس

بيان أن النفس نفس لذاتها أم لغيرها ٣٦٤
كيفية تعلق النفس بالبدن ٣٦٦

مراتب النفس السبع

١ ـ النفس الأمّارة ٣٦٧
٢ ـ النفس الملهمة ٣٦٧
٣ ـ النفس اللوامة ٣٦٧
٤ ـ النفس المطمئنة ٣٦٧
٥ ـ النفس الراضية ٣٦٨
٦ ـ النفس المرضية ٣٦٨
٧ ـ النفس الكاملة ٣٦٨
بيان أن تجوهر النفس يُلحقها بأعلى المرتب ٣٦٩

في كينونة النفس الآدمية

بيان قدم وسبق الأنفس على الأرواح ٣٧٣
التسابق بين ما بالفعل وما بالقوة ٣٧٤
بيان الآراء في التناسخ وبطلانه ٣٧٥
رأي الشيخ الأوحد في تقدم النفس على الزمان ٣٧٨
بيان المراد من عالم الذِّكر ٣٧٩

بيان معنى سقوط ريش النفس ٣٨٠
تقدم النفس على الأبدان لا يمنع من تعددها ٣٨١
سبق النفس على البدن لا يلزم منه انقسامها ٣٨٤

معنى عالم الذِّكر

بيان المراد من عالم الذِّكر ٣٧٩

عالم الذرّ

تعدد عالم الذرّ في موضعين ٣٨٥
١ ـ عند الركن العراقي بالكعبة ٣٨٥
٢ ـ في غدير خمّ ٣٨٧
رأي الشيخ الأوحد في عالم الذرّ ٣٨٩
بيان أن الذرّ وما دونه مكلّف ٣٩٠
بيان تقدم الأرواح على الأبدان ٣٩١

أرواح المؤمنين

بيان أُخوّة المؤمنين واتصال أرواحهم ٣٩٥
بيان أنّ أرواح المؤمنين من روح الله تعالى ٣٩٦
بيان الخلاف في تقدم الأرواح على الأبدان ٣٩٨

آراء الشيخ الأوحد

رأي الشيخ الأوحد في إبصار المرئي ٣٢٤

رأي الشيخ الأوحد في الحركة الذاتية ١٣٥
رأي الشيخ الأوحد في علّة الربط بين الحادث والقديم ١٢٥
رأي الشيخ الأوحد في الأسماء ٥٣
رأي الشيخ الأوحد في العدم الزماني ١١٣
رأي الشيخ الأوحد في الفلك المزاول ٢١١
رأي الشيخ الأوحد في اتحاد العاقل والمعقول ٦
رأي الشيخ الأوحد في مسألة العقل الفعال ٣٣
رأي الشيخ الأوحد في تقدم النفس على الزمان ٣٨٧
رأي الشيخ الأوحد في عالم الذرّ ٣٨٩
ردّ الشيخ الأوحد على مذهب الإشراقيين ٣٢٥

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

القاعدة التاسعة في العاقل والمعقول ٥
قول المصنف : قاعدة عرشية : كلّ معقول الوجود فهو عاقل أيضاً ... ٥
رأي الشيخ الأوحد في اتحاد العاقل والمعقول ٦
بيان أن العالمية عين الفاعلية والمعلومية عين المفعولية ٨
بيان العاقلية والمعقولية ١٠
بيان الصور المعقولة والمحسوسة ١٥
قول المصنف : لأن وجودها وجود إدراكي لا كوجود السماء ١٧
هل وجودات الأشياء وماهياتها ليست محدثة ؟ ١٨
بيان أن علم الله بكلٍّ شيء بنفس حضوره ٢٠
بيان أن الصورة نفس فعل المدرك ٢٣
اتحاد أم تغاير الصور الحسية والمحسوسة ؟ ٢٥
قول المصنف : فإذا كانت نفس وجودها محسوسة الذات ٢٨
عدم لزوم حضور الصورة الحسية عند ملاحظة المحسوسة ٢٨

قول المصنف : وقول بعض المتقدمين من الحكماء باتحاد العاقل ... ٣١
بيان اتحاد العاقل والمعقول عند الحكماء ٣١
قول المصنف : وليس اتحاد النفس بالعقل الفعّال إلّا صيرورتها ٣٣
بيان أن العقل الفعال هو العقل الكلي ٣٣
رأي الشيخ الأوحد في مسألة العقل الفعال ٣٣
أثر العقل الفعّال على النفس ٣٤
إحاطة الأشعة بالمنير والنار ٣٧
القاعدة العاشرة في أسماء الله تعالى ٣٩
قول المصنف : قاعدة في أسمائه تعالى قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ﴾ .. ٤٠
أقسام أسماء الله تعالى ٤٠
١ ـ الأسماء الفعلية ٤٠
٢ ـ الأسماء الصورية ٤٠
٣ ـ الأسماء اللفظية ٤٠
سعة عالم الأسماء ٤١
١ ـ الأسماء الحسنى العليا ٤١
٢ ـ الأسماء السوأى السفلى ٤١
بيان الأسماء التي علّمها الله لآدم ٤٢
بيان معنى الأسماء الحسنى في الظاهر والباطن ٤٤
خلق الله للخير والشرّ وتأويله ٤٤
اشتقاق أسماء آل محمد صلى الله عليهم من أسماء الله تعالى ٤٧
الفرق بين اسم الله تعالى واسم الرحمن ٤٩

رأي الملّا صدرا في الأسماء ٥٠
رأي الشيخ الأوحد في الأسماء ٥٣
بيان أن كل شيء موجود في ذات الله تعالى ٥٦
معنى الإفاضة عند الفيض الكاشاني ٥٨
قول المصنف : كما أن ماهية الممكن موجودة بوجود ذلك الممكن .. ٥٩
بيان أن حقائق الأشياء موجودة بوجود الواجب تعالى ٦٠
بيان أن كل ما هو خارج عن الذات المقدسة فهو ممكن حادث ٦٤
لماذا التخلي عن مذهب آل محمد عليهم السلام ؟ ٦٩
بيان معنى الحِكمة المضنونة ٧٢
قول المصنف : والمعتنون بهذا العلم حققوا ودوّنوا مسائل ٧٦
بيان معنى الحكمة النظرية ٧٦
بيان أن جميع المعقولات بسائط عقلية ٧٩
بيان أن كل وجود هو موجود بوجود الله تعالى ٧٩
القاعدة الحادية عشرة في الفاعلية بالنسبة إلى الله تعالى ٨١
قول المصنف : قاعدة فاعلية : كلّ فاعل إما بالطبع ٨٢
بيان أقسام الفاعل ٨٢
بيان أن كل شيء بالاختيار لا بالجبر ٨٦
بيان المراد من الإلقاء والمثال ٨٨
بيان أن كل منتهي إلى غيره فهو حادث مخلوق ٩٠
بيان أن الله تعالى فاعل بالقصد والاختيار ٩٤
بيان معنى أنّ الله إذا أراد فعل وإذا لم يرد لم يفعل ٩٦

بيان أن الله علّة تامة ٩٧
بيان الطرق إلى الله تعالى ٩٧
القاعدة الثانية عشرة ٩٩
في بيان حدوث العالم ٩٩
قول المصنف : قاعدة مشرقية في حدوث العالم : العالم كلّه حادث . ٩٩
بيان معنى الوجود ١٠٠
عدم زمانية النفوس ١٠١
أقسام الأجسام غير العنصرية ١٠٢
التفاضل بين الطبيعة والجوهر ١٠٥
رأي علماء الطبيعة في تولد العناصر الأربعة ١٠٦
بيان أول ما خلق الله تعالى ١١٠
بطلان كون النفوس مسبوقة بعدم زماني ١١٣
رأي الشيخ الأوحد في العدم الزماني ١١٣
في أن المجردات لا مادة لها عنصرية ١١٦
في حاجة كل المجردات الى المدد الإلهي ١١٧
قول المصنف : ببرهان لاح لنا من عند الله لأجل التدبر ١١٨
بيان خلق وتغيير الأشياء في كلّ آن وتبديلها ١١٩
بيان علّة الربط بين الحادث والقديم ١٢٤
١ ـ رأي المصنف ١٢٤
٢ ـ رأي الحكماء الأوائل ١٢٤
٣ ـ رأي الحكماء المشائين ١٢٥

٤ ـ رأي الشيخ الأوحد في علّة الربط بين الحادث والقديم ١٢٥

مراد المصنف من الطبيعة ١٢٨

بيان تبدل أو تجدد كل جسم زماني ١٢٨

رأي السيد المرتضى في عدم تبدل الجوهر الفرد ١٣٠

بيان استدارات العقل ١٣٢

بيان استدارات الروح ١٣٢

بيان استدارات النفس ١٣٣

بيان استدارات الطبيعة ١٣٣

بيان حركة الوجود الذاتية الوجودية ١٣٤

قول المصنف : وحركته الذاتية الوجودية أصل جميع الحركات ١٣٤

رأي الشيخ الأوحد في الحركة الذاتية ١٣٥

بيان أن الطبيعة أثر الفعل القديم ١٣٧

قول المصنف : ولا سبب لحدوثها وتجددها لأن الذاتي غير معلل ١٤٠

بيان أن كل شيء غير معلل بعلة غير علة الذات ١٤٠

رأي المصنف في الطبيعة والحركة والحدوث ١٤٤

بيان معنى التجدد والتبدل في الزمان وغيره ١٤٥

بيان معنى التدرج ١٤٧

تقسيم ذات الله تعالى إلى مراتب ١٤٧

قول المصنف : والفرق بينهم كالفرق بين الوجود بمعنى ١٤٩

بيان الفرق بين تجدد الحركة الذاتية وتجدد الزمان ١٤٩

بيان أن جميع الخلق أعراض ١٥١

بيان الأقوال في قِدم غير الله تعالى ١٥١
معنى الهيولى واختلافها عن المادة ١٥٤
قول المصنف : وأما الكلي الطبيعي ، فليس عندنا موجوداً ١٥٤
بيان وجود الكلي الطبيعي ١٥٥
بيان أن الوجود معروض للماهية في الخارج عارض في الذهن ١٥٩
بيان المراد من القديم عند العرف الخاص ١٦١
بيان أن الكلي الطبيعي واحد شخصي ١٦٢
أقسام الكلي الطبيعي ١٦٣
١ ـ أن كل أفراد الطبيعي الكلي حادثة ١٦٣
٢ ـ أن كل أفراد الطبيعي الكلي قديمة ١٦٣
٣ ـ أن بعض أفراد الطبيعي الكلي حادثة وبعضها قديمة ١٦٣
قول المصنف : وأمّا النفوس بما هي نفوس فوجوداتها متبدّلة ١٦٥
بيان معنى النفوس ١٦٥
رأي المصنف ١٦٥
رأي أهل البيت عليهم السلام ١٦٥
أقسام النفوس ١٦٦
بيان النفس الناطقة القدسية ١٧٠
بيان مِمَ يتكون البدن ١٧٢
بيان الدم الأصفر وخاصيته ١٧٣
قول المصنف : وأما المفارقات المحضة ، والصور المجردة ١٧٤
بيان الأحدية عند الصوفية ١٧٥

كفر من قال بوحدة الوجود ١٧٨
بيان الملائكة المهيَّمين ١٨٠
قول المصنف : وتلك الصورة هم المُهيَّمون الذين لم ينظروا ١٨٠
بيان الفناء المذموم والممدوح ١٨٢
بيان كيفية اندكاك الجبل لموسى وتجلّي النور فيه ١٨٤
بيان كثرة الآدميين والعوالم ١٨٨
١ ـ المشيئة الكلية ١٨٨
٢ ـ النور المحمدي صلى الله عليه وآله ١٨٨
٣ ـ أرض القابليات المسماة بالأرض الجرز ١٨٨
٤ ـ عقل الكلّ ١٨٩
٥ ـ الروح الكلية ١٨٩
٦ ـ النفس الكلية ١٨٩
٧ ـ طبيعة الكل ١٨٩
القاعدة الثالثة عشرة ١٩٠
الفاعل المباشر للتحريك ١٩٠
قول المصنف : قاعدة : الفاعل المباشر للتحريك في جميع أقسام ... ١٩٠
بيان أن الفاعل ليس هو المفعول عند أهل البيت عليهم السلام ١٩٣
إمكان تحقق القسر في الكون ١٩٣
بيان اختلاف الحركة الإرادية ١٩٥
في أن الحركة بمنزلة شخص روحه الطبيعة ١٩٦
قول المصنف : والذي استشكله بهمنيار موافقاً لأستاذه ١٩٧

حلّ إشكال بهمنيار في الطبيعة المسخرة ١٩٨
قول المصنف : تفريع : فعلى هذا تظهر صحة كلام الفيلسوف ٢٠١
في بيان حركة الفلك ٢٠١
كل ما في العالم له نفس قام بها ٢٠٤
بيان أن العالم الصغير طبق العالم الكبير ٢٠٤
بيان القوى العشر في الإنسان ٢٠٥
اتصال الطبيعة بالنفس ٢٠٧
أقسام طبيعة الفلك ٢٠٧
١ ـ نزول ذي الطبيعة ٢٠٧
٢ ـ الطبيعة الفعلية ٢٠٨
بيان عدم الفرق بين المفارقات المحضة والجمادات ٢٠٩
قول المصنف : توضيح إكمالي : إذا علمت أنّ لكلّ فلك محركاً ٢١١
بيان معنى الفلك المزاول ٢١١
رأي المصنف ٢١١
رأي الشيخ الأوحد في الفلك المزاول ٢١١
إطلاقات الغاية بين فعل الله تعالى والحقيقة المحمدية ٢١٢
في بطلان كون المحرك المباشر للأفلاك الطبيعة ٢١٦
بيان فناء الدنيا والانتقال إلى الدار الآخرة ٢١٧
كل ما في علم الدنيا موجود في الآخرة ٢١٨
بعض علامات قيام الساعة ٢٢٠
أدلة قيام الساعة ٢٢٢

للقيامة يومان وبيان مقدارهما ٢٢٤
بيان المراد من الساعة وعلمها ٢٢٧
تذنيب ٢٢٩
في بيان معنى الزمان والحركات ٢٢٩
المشرق الثاني في علم المعاد ٢٣٧
الإشراق الأول في معرفة النفس ٢٣٧
قول المصنف : المشرق الثاني في علم المعاد وفيه إشراقات ٢٣٧
بيان معنى المعاد ٢٣٨
القاعدة الأولى : ٢٤٠
في بيان اختلاف الأقوال في معرفة النفس ٢٤٠
بيان طرق معرفة الله تعالى ٢٤٢
١ ـ الطريق المجمل لمعرفة الله تعالى ٢٤٢
٢ ـ الطريق المفصّل لمعرفة الله تعالى ٢٤٢
بيان أن معرفة النفس يؤدي إلى معرفة الربّ ٢٤٥
القاعدة الثانية في مقامات النفس الإنسانية ٢٤٦
قول المصنف : قاعدة أن للنفس الإنسانية مقامات ودرجات كثيرة ... ٢٤٦
بيان حقيقة النفس ٢٤٧
بيان مقامات ودرجات النفس ٢٤٩
بيان كون النفس حادثة ٢٥٠
بيان الحدوث والتبدل والسيلان ٢٥٦
بيان معنى القديم ٢٥٧

بيان النفس النباتية والحساسة ٢٥٩
أقسام الحواس الباطنة ٢٦٠
١ ـ الحس المشترك (بنطاسيا) ٢٦٠
بطون الدماغ ٢٦١
٢ ـ الخيال ٢٦٢
٣ ـ الوهم ٢٦٢
٤ ـ التذكير ٢٦٤
٥ ـ الحفظ ٢٦٥
بيان الأقوال في تعريف العقل ٢٦٧
بيان مراتب العقل النظري ٢٦٨
١ ـ استعداد بعيد للكمال ٢٦٨
٢ ـ استعداد متوسط لتحصيل النظريات ٢٦٨
٣ ـ استعداد قريب لاستحضار النظريات ٢٦٨
٤ ـ الكمال وتحصيل النظريات مشاهدة ٢٦٨
بيان مراتب العقل العملي ٢٧٠
١ ـ تهذيب الظاهر ٢٧٠
٢ ـ تهذيب الباطن ٢٧٠
٣ ـ تحلي النفس بالصور القدسية ٢٧٠
٤ ـ انجلاء ضياء المعرفة بالفؤاد ٢٧١
إطلاقات الروح ٢٧٤
١ ـ النور الأبيض ٢٧٤

٢ ـ النور الأصفر ٢٧٤
٣ ـ النور الأخضر ٢٧٥
٤ ـ النور الأحمر ٢٧٥
معنى الأمر الذي منه الروح ٢٧٥
بيان معنى ملائكة الحُجب ٢٧٦
على مَن ينزل روح القدس ؟ ٢٧٧
شرط تنزل روح القدس ٢٧٩
شرط تنزل الروح القدسية العمل والطاعة ٢٨٢
القاعدة الثالثة في قوة اللمس ٢٨٤
قول المصنف : أول ما ينشأ من روائح عالم الغيب ٢٨٥
بيان الحواس الظاهرة ٢٨٥
١ ـ بيان حاسة اللمس ٢٨٦
٢ ـ بيان حاسة الذوق ٢٨٨
معنى التفاهة ٢٨٩
٣ ـ بيان حاسّة الشمّ ٢٩١
٤ ـ بيان حاسّة السمع ٢٩٢
بيان كيفية حفظ الحروف للوصول الى الأُذن ٢٩٣
بيان معنى المسموع وحاجته للهواء ٢٩٤
٥ ـ بيان حاسة البصر ٢٩٨
في أن الإبصار بالانطباع لا بخروج الشعاع ٢٩٩
بيان أن قوة البصر فاعلة للإبصار لا قابلة له ٣٠١

بيان مدركات الحواس الخمس ٣٠٢
قول المصنف : ومدركاتها الخمس كما أشرنا في اللمس مُثُل ٣٠٢
مدركات القوة السامعة والباصرة ٣٠٥
بيان أن القوى المدرِكة لهذه الأشياء قوى نفسانية ٣٠٧
بيان الحرارة الملموسة بالذات ٣١١
سرّ في أن العاقل متّحد بالصورة المعقولة ٣١٢
القاعدة الرابعة في خصوصيات النفس ٣١٣
بيان جملة من خصوصيات النفس ٣١٣
سرّ في أن حقائق الأشياء كلها ثابتة في علمه تعالى ٣١٥
القاعدة الخامسة في الإبصار ٣١٥
قول المصنف : قاعدة : الإبصار ليس بخروج الشعاع من البصر ٣١٦
آراء العلماء في إبصار المرئي ٣١٦
١ ـ رأي الرياضيين ٣١٦
٢ ـ رأي الطبيعيين ٣١٨
٣ ـ رأي الإشراقيين ٣١٩
٤ ـ رأي الملّا صدرا وأرسطو طاليس ٣٢١
إبطال الشيخ الأوحد لرأي الملّا ٣٢٢
٥ ـ رأي الشيخ الأوحد في إبصار المرئي ٣٢٤
قول المصنف : لأنه باطل من وجوه ذكرناها في حواشينا ٣٢٥
ردّ الشيخ الأوحد على مذهب الإشراقيين ٣٢٥
بيان الحضور الإدراكي والوجود الشعوري ٣٢٧

بيان معنى المراد من المحسوسات الخمس ٣٢٩
معنى الإضافة الإشراقية ٣٣٠
القاعدة السادسة في الصور الخيالية للإنسان ٣٣٢
قول المصنف : قاعدة : إنّ الصور الخيالية للإنسان جوهر مجرد ٣٣٣
بيان المشاعر الباطنة ٣٣٣
١ ـ الحسّ ٣٣٣
٢ ـ الفكر ومركزه وملائكته ٣٣٤
٣ ـ الخيال ٣٣٥
بيان القوة الخيالية ووجودها ٣٣٦
مدن الله تعالى العجيبة ٣٣٨
التشابه بين جابرسا وجابلقا وعَالَمِنا ٣٤٤
سكان مدينتي جابرسا وجابلقا ٣٤٧
بيان أن القوى الباطنة ليست من عالم الأجسام ٣٤٨
بيان النفس المتخيلة ووجودها ٣٥٠
بيان الأفلاك السبعة ٣٥١
في أن إدراكات النفس بلا توسط شيء ٣٥٢
قول المصنف : وتلك الصورة الحاضرة في عالم النفس قد تتفاوت .. ٣٥٤
بيان اشتداد الصورة الحاضرة في عالم النفس والبرزخ ٣٥٥
بيان الصور الخيالية وأنها ليست جواهر ٣٥٨
بيان أن قوة الصورة الحاضرة بعد الموت ٣٥٨
تشبيه الصورة الخيالية في عالم الدنيا ٣٦١

إدراك النائم لحقائق الأشياء ٣٦٢
بيان سرّ المعاد وحشر الأجساد ٣٦٣
القاعدة السابعة في نفسية النفس ٣٦٣
قول المصنف : قاعدة نفسية : النفس ليست إضافة عارضة ٣٦٤
بيان أن النفس نفس لذاتها أم لغيرها ٣٦٤
كيفية تعلق النفس بالبدن ٣٦٦
مراتب النفس السبع ٣٦٧
١ ـ النفس الأمّارة ٣٦٧
٢ ـ النفس الملهمة ٣٦٧
٣ ـ النفس اللوامة ٣٦٧
٤ ـ النفس المطمئنة ٣٦٧
بيان أن تجوهر النفس يُلحقها بأعلى المرتب ٣٦٩
القاعدة الثامنة في كينونة النفس الآدمية ٣٧٠
قول المصنف : قاعدة : للنفس الآدمية كينونة سابقة على البدن ٣٧٠
بيان قدم وسبق الأنفس على الأرواح ٣٧٣
التسابق بين ما بالفعل وما بالقوة ٣٧٤
بيان الآراء في التناسخ وبطلانه ٣٧٥
رأي الشيخ الأوحد في تقدم النفس على الزمان ٣٧٨
بيان المراد من عالم الذِّكر ٣٧٩
بيان معنى سقوط ريش النفس ٣٨٠
تقدم النفس على الأبدان لا يمنع من تعددها ٣٨١

سبق النفس على البدن لا يلزم منه انقسامها ٣٨٤
تعدد عالم الذرّ في موضعين ٣٨٥
١ ـ عند الركن العراقي بالكعبة ٣٨٥
٢ ـ في غدير خمّ ٣٨٧
رأي الشيخ الأوحد في عالم الذرّ ٣٨٩
بيان أن الذرّ وما دونه مكلّف ٣٩٠
بيان تقدم الأرواح على الأبدان ٣٩١
بيان كيفية خلق الله محمد وآل محمد من نور عظمته تعالى ٣٩١
بيان أُخوّة المؤمنين واتصال أرواحهم ٣٩٥
بيان أنّ أرواح المؤمنين من روح الله تعالى ٣٩٦
بيان الخلاف في تقدم الأرواح على الأبدان ٣٩٨

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية ٤٠١
فهرس الأحاديث ٤١٧
الفهرس الموضوعي ٤٣٧
فهرس المحتويات ٤٥٧